شرح
كتاب التوحيد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إليكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك دون حصول علىٰ إذن خطي من المؤلف والناشر.

الطبعة الأولىٰ:

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح

كتاب التوحيد

للإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ

خالد بن محمد القحطاني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

المقدمة

إن الله الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له

أما بعد:

هذا شرح لكتاب التوحيد، شرحته عبر لقاءات متعددة مع إخوة لي من طلاب العلم، عبر رسائل مسجلة بالواتس اب، وقد فُرغت تلك الدروس بفضل الله تعالىٰ، ولم يكن قصدي تأليف شرح، وإنما كانت مذاكرة بيني وبين إخواني، فقام أحدهم مشكورًا بتفريغ تلك التعليقات ومراجعتها وإصلاح ما يتناسب مع طبيعة الكتاب.

و كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد، تأليف الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب التميمي رحمه الله، من أجلِّ ما كُتب في هذا الباب، من حيث الترتيب والتبويب، و تنوع الأدلة من الكتاب والسنة النبوية وكلام السلف الصالح، مع قوة الاستنباط و الفهم الدقيق عند الشيخ رحمه الله.

مما حمل العلماء علىٰ العناية به شرحًا و تأليف وتعليقًا، وبيان مقاصده واستخراج الفوائد العلمية وما فيه من المعاني العظيمة و الدلائل التي تنفع القارئ و السامع .

و تعلم التوحيد من أوجب الواجبات علىٰ المسلم، كما جاء في الحديث عندما بعَث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا إلىٰ نحو أهل اليمن، قال له: «**فليَكن أوَّل ما تدعوهم إليه أن يُوحدوا الله تعالىٰ، فإذا عرَفوا ذلك، فأخْبِرهم أن الله فرَض عليهم خمس صلوات**» متفق عليه .

وقد مكَث النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة بعد بَعثته ثلاث عشرة سنة، يدعو الناس إلىٰ تصحيح العقيدة، وإلىٰ التوحيد، ولم تَنزِل عليه الفرائض إلا في المدينة؛ مما يدل علىٰ أن أوَّل أوَّليَّات الدَّعوة تعليم العقيدة، وأوَّل ما تقوم الدعوة علىٰ تصحيح العقيدة، ولا يطالَبُ الإنسان بالأعمال إلا بعد تصحيح العقيدة؛ لأجل أن تَبنبي علىٰ العقيدة الصحيحة سائر الأعمال من العبادات والسلوك .

قال ابن أبي العز رحمه الله: (اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلىٰ الله عز وجل... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب علىٰ المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر،

ولا القصد إلىٰ النظر، ولا الشك، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب) [١].

أسأل الله لي ولكم الثبات علىٰ التوحيد والسنة، وأن يجعلنا مباركين أينما كنا، وأن نكون من دعاة التوحيد والسنة.

* * *

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢١، ٢٣).

كِتَابُ التَّوْحِيْدِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذَّارِيات:٥٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل:٣٦] الآيَة.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسْراء:٢٣] الآيَة.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّساء:٣٦] الآيَات.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنْعام:١٥١] الآيَات.

قَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِيْ عَلَيْهَا خَاتَمُهُ؛ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنْعام:١٥٣] الآيَة».

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: كُنْتُ رَدِيْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ حِمَارٍ؛ فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوْهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،

وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ؛ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». أَخْرَجَاهُ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ عَنْوَن لهذا الباب أو جعل في مقدمة هذا الباب أن سمَّاه كتاب التوحيد، **ومراده من ذلك**: أن يبيِّن السبب الذي بعث الله عَزَّوَجَلَّ به الرسل والذي من أجله خلق الخلق وهو توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعبادته جَلَّ وَعَلَا، وأن هذا الأمر مأخوذٌ من دلالة الكتاب والسنة.

وأيضًا: هذا الكتاب فيه بيان ما ينافي التوحيد من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر ونحو ذلك من الأمور التي يجب علىٰ المسلم أن يحذر منها.

والتوحيد: هو أن يُفرِد العبدُ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعبادة.

وهو ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

۞ **الأول: توحيد الربوبية**: وهو إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأفعاله، كالخلق والرِّزق والتدبير.

۞ **الثاني: توحيد الأسماء والصفات**: وهو أن يوصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في سنته، علىٰ الوجه

اللائق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من غير تحريفٍ ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل.

❁ **الثالث: هو توحيد الألوهية أو توحيد العبادة:** وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادات، كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل والدعاء والنذر وغيرها من العبادات التي شرعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لعباده.

وبدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذَّارِيَات:٥٦]، ومراده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يبين الحكمة التي خلق الله عَزَّوَجَلَّ الإنس والجن من أجلها وهي عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وطاعته، وطاعته تكون بامتثال أمره واجتناب نهيه.

والعبادة: هي كل ما يُقرِّب إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة مما يحبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذه العبادة لابد أن يكون فيها كمال الذُّلِّ مع كمال المحبة والخضوع لله عَزَّوَجَلَّ.

فهذه الآية العظيمة تبيِّن الغاية والحكمة من خلق الناس، فإذا علم العبدُ ذلك وتيقَّنه، وعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يخلقه هملًا ولم يتركه سدىٰ، وإنما أراد منه أن يكون عبدًا لله عَزَّوَجَلَّ وحده لا شريك له، لا يرجو إلا الله، ولا يدعو إلا الله، ولا يستغيث إلا بالله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنه سيسعىٰ في تحقيق هذا الأمر وبيانه.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾

[النَّحل:٣٦] ، ومراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبين أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما ترك أمة من الأمم إلا وبعث إليها رسولًا.

والرسول: هو الذي أرسله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بشرعٍ وبدين إلىٰ أمة مخالفة ومعاندة حتىٰ يدعوها إلىٰ عبادة الله وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وغاية الرسل من ذلك: أن يبينوا للناس أن عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمرٌ واجب علىٰ الناس، وأن ينبذوا عبادة ما سواه من الأصنام ومن الأوثان، ولذلك قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النَّحل:٣٦].

والطاغوت: هو مشتقٌّ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد.

وقد عرَّفه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ فقال:** كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاع.

فهذه الآية تدل علىٰ أن دين الرسل دينٌ واحد لم يختلف، وهو دعوتهم إلىٰ عبادة الله وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك أيضًا مما دلت عليه الآية: أن الرسالة عامة لكل أمة قد مضت.

وأيضًا تبين لنا أمرًا مهمًا وهو: أنه لا يمكن للعبد أن يحقق التوحيد إلا بكفره بما يُعبد من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر أيضًا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ

وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسْرَاء:٢٣].

(قضىٰ) بمعنىٰ: أمر وأوصىٰ بعبادته وحده لا شريك له.

وأيضًا: أوصىٰ بالإحسان إلىٰ الوالدين بالبر، والبر هو طاعتهما وخفض الجناح لهما والتواضع للوالدين.

ثم ذكر أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النِّسَاء:٣٦]، وهذا أمرٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعبادته وحده لا شريك له جَلَّ وَعَلَا بأن يفردوه بالعبادة، وأن لا يشركوا به شيئًا مهما كان ذلك الشيء، مهما كان ذلك الشيء فإنه لا يجوز لهم أن يشركوا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهذه الآية العظيمة جمعت بين وجوب إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا وجوب الابتعاد عن الشرك واجتنابه.

وأيضًا ذكر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنعَام:١٥١]، يعني: قل يا محمد تعالوا وأقبلوا حتىٰ أقص عليكم ما يريد ربكم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منكم، وأعظم ما يريد الله عَزَّ وَجَلَّ منهم: أن يعبدوه وأن لا يشركوا به شيئًا.

ثم أعقب هذه الآية بحديث عبد الله بن مسعود وذلك في قوله: (مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وهنا مقصود عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يبيِّن أن يُنظر إلىٰ هذه الوصية كأنها كُتِبت وخُتِم عليها بختم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذا يدل علىٰ أهمية ما في هذه الآية من الوصايا والمنافع العظيمة التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها وأوصىٰ بها.

ثم ختم المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ بحديث معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال: (كُنْتُ رَدِيْفَ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، وبيَّن فيه أعظمَ حقٍّ لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وهو أن يعبدوا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ولا يشركوا به شيئًا. ومن عظيم فضل الله علىٰ عباده أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا.

وسيأتي توضيحٌ لهذه المسائل - بإذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **- أكثر من خلال الأبواب، وأسأل الله** عَزَّوَجَلَّ **أن يوفقنا جميعًا إلىٰ ما يحب ويرضىٰ.**

انتهىٰ الباب الأول، وإن شاء الله سأعقبه بالباب الثاني.

❖ ❖ ❖

بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيْدِ وَمَا يُكَفَّرُ مِنَ الذُّنُوْبِ

وَقَـــوْلُ اللهِ تَعَـــالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، وَأَنَّ عِيْسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ؛ وَالجَنَّةَ حَقٌّ؛ وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا فِي حَدِيْثِ عِتْبَان: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ -».

وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «قَالَ مُوْسَىٰ: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوْكَ بِهِ. قَالَ: قُلْ يَا مُوْسَىٰ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُوْلُوْنَ هَذَا؟ قَالَ: يَا مُوْسَىٰ! لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي؛ وَالأَرَضِيْنَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ؛ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَه.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُوْلُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا؛ ثُمَّ لَقِيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».**

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

مُراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من ذكر هذا الباب وهو (**بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيْدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوْبِ**) بعد أن ذكر في الباب الأول وجوب التوحيد حتىٰ يبين لنا أن للتوحيد فضلًا عظيمًا، وهذا الفضل العظيم هو تكفير الذنوب، فهو الحسنة العظيمة التي يحملها العبدُ معه إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفي سيره إليه عَزَّوَجَلَّ.

إذ إن التوحيد حسنة لا تُقابلها أيُّ حسنة أبدًا، فهي أعظم الحسنات وأفضلها، ولذلك من كان موحِّدًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه يكون معه السبب المانع من الخلود في النار إذا كان ذلك التوحيد عامرًا به قلبُه.

وأيضًا: إن جميع الأعمال متوقفة من ناحية القبول علىٰ توحيد العبد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم أيضًا من فضائل هذا التوحيد العظيم: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد بيَّن أنه مع أهل التوحيد، معهم معيَّة النصر ومعية التأييد، وأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يتركهم، وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احفظ الله يحفظك**»، وأعظم ما يحفظُ العبدُ من حق الله عَزَّوَجَلَّ هو توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ **[الأنعام:٨٢]**.

فهذه الآية العظيمة تبين فضل التوحيد، وأن من مات علىٰ التوحيد ولم يُصِر علىٰ الكبائر فله الأمن التامُّ وله الهداية المطلقة بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ **أي**: لم يخلطوا إيمانهم بالشرك وبالكفر، ولذلك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لما سمعوا هذه الآية قالوا: يا رسول الله، ومَن منا لم يظلم نفسه؟ فقال لهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ألم تسمعوا إلىٰ قول العبد الصالح**: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ **[لقمان:١٣]**.

فهذا يبين لنا أن المقصود من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **أي**: وحَّدوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأخلصوا العبادة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ»** ومعنىٰ (مَن شهد أن لا إله إلا الله) **أي**: من قال هذه الكلمة عالمًا بمعناها وعاملًا بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا، شهد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالوحدانية وأعلن ذلك وتكلم به، وكان ذلك كله مبنيًّا علىٰ اليقين والإخلاص والصدق لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذه الكلمة العظيمة - وهي كلمة (لا إله إلا الله)- معناها: لا معبود حقٌّ إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم جاء قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ**» وهذا يدلُّنا على أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدٌ لا يُعبد ولكنه رسولٌ مصدَّق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومعنى أن يشهد العبد للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالرسالة:** تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وأن ينتهي العبد عما نهى عنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزجر، وأن لا يُعبد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا بما شرع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسطة بيننا وبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بتبليغ أمر الله وتبليغ وحيه.

ثم قال: «**وَأَنَّ عِيْسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ**» فهذه الكلمة العظيمة فيها ردٌّ على اليهود وفيها ردٌّ على النصارى، فإن النصارى زعموا أن عيسى هو الله أو ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة، فكذَّبهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهذا حينما تكلم عيسى في المهد **فقال:** ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [مريم:٣٠].

و(رسوله) فيه ردٌّ على اليهود الذين أنكروا رسالة عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ثم قال: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ وهي **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: (كن) فكان بكلمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فخلقه الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه الكلمة.

ومعنى قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ **أي:** إنه روحٌ من الأرواح التي خلقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَالجَنَّةَ حَقٌّ؛ وَالنَّارَ حَقٌّ**» فمعناه أنه يشهد أن الجنة حقٌّ خلقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهي جزاءٌ لأوليائه وعباده الموحدين المتقين الصادقين

معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن الجنة موجودة الآن، وأنها لا تفنىٰ ولا تبيد.

وأيضًا يشهد أن النار التي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنها، والتي هي مثوىٰ الكافرين، بأنها حقٌّ وأنها موجودة الآن، وأنها لا تفنىٰ ولا تبيد.

ثم قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**»، **ومعناه:** علىٰ ما كان من العمل من صلاحٍ وفساد، فإن العبد إذا جمع بين أمرٍ صالح وأمرٍ فاسد فإن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة، إما أن يدخلوها دخولًا أوليًا وذلك بعفو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنهم بأن يعفو عن ذنوبهم، وإما أن يدخلهم الله النار فيمحِّص ذنوبهم ثم بعد ذلك يدخلهم جنات النعيم.

وهذا الحديث مناسبته للباب: أن من شهد بهذه الخمس العظيمة التي ذكرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن علمٍ ويقين فإن ذنوبه يكفِّرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويدخله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعد ذلك الجنة بفضل ذلك التوحيد العظيم.

ثم ذكر حديث عتبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «**حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ -**»، **أي:** أن يكون مقصوده بهذه الكلمة خالصة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وابتغاء مرضاته جَلَّ وَعَلَا.

فهو يفيد أن فضل التوحيد وتكفيره للذنوب إنما يكون مع إخلاص العبد لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فمن وحَّد الله قولًا واعتقادًا وعملًا حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ عليه دخول النار، وذلك بفضل التوحيد.

ثم ذكر حديث أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان فضل هذه الكلمة العظيمة، وذلك حينما سأل موسىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأن يعلِّمه ذِكْرٌ خاص له هو دون غيره من سائر الناس، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: «**قل لا إله إلا الله**» فموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ **قال**: يا رب، كل عبادك يقول ذلك. فبيَّن الله عَزَّ وَجَلَّ له عِظَم هذه الكلمة العظيمة، كيف أنها أفضل من السماوات والأرض، ولذلك **قال**: «**لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي**» وهذا فيه إثبات علو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، «**وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ**»، وهذا فيه أيضًا إثبات أن الأرضين سبع كما أن السماوات سبع، «**فِي كِفَّةٍ وَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

ثم ختم بعد ذلك بحديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذلك **بقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يا ابن آدم، يخاطب عباده «**لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا**» **يعني**: بملء الأرض ذنوب وخطايا ثم لقي الله لا يشرك به شيئًا فإن الله يكرمه، إذ إنه كان موحدًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيأتيه بقُرابها - بملئها - مغفرة وعفوًا وسترًا.

فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعفو عنا، وأن يغفر لنا ذنوبنا.

هذا الحديث يُسمَّىٰ من الأحاديث القدسية، وبالمناسبة: الحديث القدسي هو من كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لفظًا ومعنىٰ، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، ويخطئ من يقول أن الحديث معناه من الله ولفظه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد نبَّه علىٰ هذا الشيخ العالم الفاضل حمَّاد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وبين أن هذا القول هو قول المعتزلة، ولا يُعرف عند أهل السنة أبداً.

بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَــوْلُ اللهِ تَعَــالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النَّحل: ١٢٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المُؤْمِنُون: ٥٩].

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ؛ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَىٰ الكَوْكَبَ الَّذِيْ انْقَضَّ البَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ؛ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيْثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ؛ أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ. وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيْمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيْلَ لِي: هَذَا مُوْسَىٰ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ؛ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيْمٌ، فَقِيْلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ؛ وَمَعَهُمْ سَبْعُوْنَ أَلْفًا يَدْخُلُوْنَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». فَنَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِيْنَ صَحِبُوا رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِيْنَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ؛ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ.

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوْهُ. فَقَالَ: «هُمُ الَّذِيْنَ لا يَسْتَرْقُوْنَ وَلَا يَكْتَوُوْنَ وَلَا يَتَطَيَّرُوْنَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب العظيم بعد أن ذكر المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ وجوب التوحيد وفضل التوحيد أعقبه في بيان تحقيق التوحيد، وهو أن يخلِّص العبد توحيده **وأن يصفِّيه من ثلاثة أمور:**

- الشرك، سواء الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر.
- والبدع، التي هي بريد الكفر.
- والمعاصي، فيبتعد عن المعاصي، فإذا وقع فيها تاب إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.
- فيقوم بهذا التوحيد قيامًا صافيًا مبنيًا علىٰ العلم والعمل، فإنه متىٰ ما كان كذلك كان جزاؤه بأن يدخل الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب.

ثم ذكر رَحِمَهُٱللَّهُ من الأدلة التي تدل علىٰ بيان هذه الحقيقة العظيمة ذكر قول **الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠﴾ **[النحل: ١٢٠]**.

ومُراده من ذِكْر هذه الآية في هذا الباب: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد وصف إبراهيم بهذه الصفات العظيمة التي فيها بيان أعلىٰ مراتب التوحيد، فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب عليه أن يقتدي بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في تحقيق هذه الصفات، **وهذه الصفات أربع:**

أولها: إن إبراهيم كان أمة، ومعنىٰ (أمة) **أي:** أنه قدوة وإمام ومعلم الناس الخير الذي بعثه الله عَزَّوَجَلَّ به، ولذلك النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «**طوبىٰ لمن كان مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويلٌ لمن كان مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير**».

وأيضًا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**».

وأيضًا قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم**».

ثم ذكر أنه كان قانتًا، ومعنىٰ (قانتًا) **أي:** أنه كان مداومًا علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ متبتلًا مجتهدًا في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم قال من أوصافه: أنه كان حنيفًا، **أي:** أنه حنيفٌ مقبلٌ علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بإخلاص الدين له، ومعرض عن كل ما سوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مما يُعبد من دونه.

ثم ذكر تلك الصفة الأخيرة وهو: أنه لم يكن إبراهيم من المشركين لا في قوله ولا في عمله ولا في اعتقاده، والسبب في ذلك هو إخلاصه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا كمال صدقه في إقباله علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم ذكر قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في مدح عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ [المُؤْمِنُون:٥٩]، فهم لا يعبدون غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل يعبدونه وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فمن حقَّق هذه الصفة فعبد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وخلَّص ذلك التوحيد فإنه سيكون من أهل الجنة ويدخلها بغير حسابٍ ولا عذاب.

ثم ذكر حديث حصين بن عبد الرحمن - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ورحمه - أنه كان عند سعيد بن جبير، وجاء فيه أن سعيدًا سأل: (**أَيُّكُمْ رَأَىٰ الكَوْكَبَ الَّذِيْ انْقَضَّ البَارِحَةَ؟**) والمقصود بالكوكب: النجم الذي سقط، والبارحة هي الليلة الماضية.

فقال حصين بن عبد الرحمن: أنا. ثم أشار إشارة لطيفة جميلة ينبغي للعبد أن يتنبه لها، **وهي قوله**: (**أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ**)، وهذا حتىٰ يدفع عن نفسه الرياء، فلا يدخل عليه بأن يُظن بأنه كان قائمًا يصلي.

ثم سأله: (**فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتقَيْتُ**) **يعني**: طلبت الرقية، طلبت من يرقيني.

ثم سأله، وهكذا ينبغي للإنسان، **قال**: (**فَمَا حَمَلَكَ عَلَىٰ ذَلِكَ؟**) **أي**: ما الذي جعلك تفعل هذا الفعل بأن تطلب من يرقيك؟ وهكذا كل ما يُتقرَّب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من العبادات ينبغي أن يكون مبنيًا علىٰ الدليل المأخوذ من الكتاب والسنة.

ثم ذكر له عمدته في هذا الباب أو بفعله هذا فقال: (**حَدِيْثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ؛ أَنَّهُ قَالَ: لا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**)، والعين هي التي تصيب

الإنسان من غيره ممن يحسده، والعين حقٌّ كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها تدخل الجَمَل القِدْر وتدخل الرجل القبر، ولذلك أرشدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المرء إذا رأىٰ ما يعجبه سواء في نفسه أو في أهل بيته أو في ماله أو عند إخوانه من المسلمين أن يبرِّك علىٰ ذلك، ولذلك قال: «**علام يقتل أحدكم أخاه، فإذا رأىٰ أحدكم ما يعجبه فليبرِّك**» يعني يقول: اللهم بارك، اللهم بارك فيه، وهكذا.

وأما الحُمَة فهي سم العقرب وما شابهها حينما يُلدغ الإنسان، وهذا أيضًا يدلُّنا علىٰ أن الأمور الحسية التي تصيب العبد من الأمراض وغيرها فإنه يُداويها أيضًا بالأدوية الشرعية وهي الرقية الشرعية، وأفضل الرُّقىٰ رقية الفاتحة والمعوذات كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم ختم كلامه فقال له: (**قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ مَا سَمِعَ**)، وهذا فيه بيان أن العبد عليه أن يبني أقواله وأفعاله علىٰ العلم، بخلاف الذي يبنيها علىٰ الجهل وعلىٰ الهوىٰ أو ما شابه ذلك، فإنه يكون قد وقع في المحذور وخالف المشروع.

ثم ذكر له سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن بأن يكون علىٰ الصفة التي هي أفضل من ذلك، فذكر له حديث أن الأمم عُرِضت علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه رأىٰ النبيَّ ومعه الرهط. والرهط هم العدد القليل الذي يكون دون عشرة. والنبيَّ وليس معه أحد، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان. وهذا يدلُّنا علىٰ أنه ليس من شرط صدق الإنسان في دعوته أن يستجيب له الناس، فالإنسان يكون صادقًا مخلصًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولكن يُعرض عنه الناس بسبب أهوائهم وجهلهم.

ثم ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من أمته - يعني حينما عُرِض عليه سوادٌ عظيم، وهي أمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سبعين ألفًا، وهؤلاء السبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب.

فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أخذوا يدوكون في ذلك، لكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن خرج عليهم بيَّن لهم صفات هؤلاء الذي أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يرزقني وإياكم تلك الصفات، وأن يجعلنا من أهلها، **قال: (هُمُ الَّذِيْنَ لَا يَسْتَرْقُوْنَ) بمعنىٰ**: لا يسألون الرُّقْية ولا يطلبونها.

وأيضًا **(وَلَا يَكْتَوُوْنَ) أي**: لا يسألون الكي ولا يطلبونه، أو أنهم يتركون الكي بالكلية مطلقًا فلا يقبلون عليه، لأن الكي - كما ذكر أهل العلم - أنه مكروه.

ثم قال أيضًا من صفاتهم: (وَلَا يَتَطَيَّرُوْنَ) بمعنىٰ: أنهم لا يتشاءمون. وسيأتي بابٌ خاصٌّ في الطِّيَرة بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ختمها بالصفة العظيمة التي تجمع تلك الصفات كلها أو السبب الذي جعلهم يتركون طلب الرقية وطلب الكي ويتركون التطير أنهم علىٰ ربهم يتوكلون، **بمعنىٰ**: أنهم يعتمدون علىٰ الله وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في جلب المنافع ودفع المضار.

فمناسبة هذا الحديث للباب: أن هؤلاء المؤمنين الذين وُصِفوا بهذه الصفات العظيمة أنهم يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب بسبب توكلهم وقوته، وأيضًا بسبب إخلاصهم واعتمادهم علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أكرمني الله وإياكم بذلك.

❖ ❖ ❖

بَابُ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَــــــوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء:٤٨].

وَقَالَ الخَلِيْلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إِبْرَاهِيْم:٣٥].

وَفِي الحَدِيْثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، فَسُئِلَ عَنْهُ؛ فَقَالَ: «الرِّيَاءُ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُوْنِ اللهِ نِدًّا؛ دَخَلَ النَّارَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب العظيم - وهو باب الخوف من الشرك - يبين لنا فيه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أن من الواجبات المتحتمات، ومن الأمور المهمة: أن يعرف العبد الشرك وخطره، وأيضًا أنه يجب عليه الحذر منه، فكما أنه واجبٌ عليه

أن يتعلم التوحيد؛ فإنه يجب أيضًا عليه أن يتعلم الشرك حتىٰ يحذر منه.

عرفتُ الشر لا للشرِّ ولكن لتوقِّيه ومن لا يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه

والشرك قد ذكر أهل العلم: هو اتخاذ الشريك أو الندِّ مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويكون في الربوبية، ويكون في الألوهية، ويكون أيضًا في الأسماء والصفات.

أما شرك الربوبية: فهو أن يصف بعض الخلق بما هو خاصٌّ بالله من أفعاله، كأن يزعم بأنه يعلم الغيب، أو أنه له القدرة المطلقة في إحياء الموتىٰ، أو ما شابه ذلك، كما هو معروفٌ عند الرافضة وعند الباطنية وعند غلاة الصوفية.

وأما الشرك في الأسماء والصفات فهو أيضًا أن يَصِفَ غير الله تبارك تعالىٰ بما هو خاصٌّ لله عَزَّوَجَلَّ، كما فعل أهل الجاهلية حينما أخذوا من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فأطلقوها علىٰ أسماء آلهتهم: اللات والعزىٰ وغير ذلك.

وأيضًا يدخل في شرك الأسماء والصفات: جَحْد أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته، فإن هذا من الشرك، وإن شاء الله لكل قسم من هذه الأقسام سيأتي لها التفصيل أكثر وأكثر في هذا الكتاب.

وأما الشرك في الألوهية: فهو أن يصرف أيَّ عبادة من العبادات التي يُتقرَّب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَقَالَ الخَلِيْلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾ [إِبْرَاهِيم:٣٥].

الخليل المراد به هنا هو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اتخذ إبراهيم خليلًا واتخذ أيضًا محمدًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**».

والخُلَّة: هي خالص المحبة، فإبراهيم هنا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو إبراهيم الخليل إمام الحنفاء وكذلك أبو الأنبياء الذين جاؤوا من بعده إلا أنه كان يخاف علىٰ نفسه من الوقوع في الشرك، ولذلك قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

ودعاء إبراهيم هنا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **قال**: ﴿وَٱجْنُبْنِي﴾ **أي**: اجعلني في جانب عن عبادة الأصنام وباعد بيني وبينها.

وقوله: (اجنبني) أبلغ من قوله: أبعدني، لأن (اجنبني) بمعنىٰ اجعلني في ناحية بعيدة عنها لا أقترب منها ولا من الوسائل التي توصل إلىٰ عبادتها، ولذلك كان هذا الدعاء أبلغ في ذلك.

فهذه الآية فيها أمران عظيمان: أن الإنسان مهما بلغت منزلته وبلغت مرتبته وعلا شأنه فإنه يجب عليه أن يخاف علىٰ نفسه من الوقوع في الشرك، لأنه لا يؤمَن جانبه، ما دام أن الشيطان الذي توعَّد الإنسان موجودٌ وباقٍ، وكذلك ما يقع في النفس من الميلان إلىٰ بعض الأمور من المدح والثناء مما يقع منه من الأعمال الصالحة؛ فهو لا يأمن علىٰ نفسه.

والأمر الثاني: أنه لا ينجِّي العبد من هذا الأمر إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. ولذلك **قال**: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾، دعا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأن يجعله في جانب عن عبادة الأصنام فلا يكون واقعًا في الشرك.

فإذن: لن يخلِّصك ولن يجعلك موحدًا مخلصًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سالمة أعمالك من الشرك إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فعليك أن تعتمد علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأن تتوكل عليه، وأن تبذل الأسباب، وأن تسأله أن يصرف عنك ذلك الشرك فلا تقع فيه.

ثم قال: **(وَفِي الحَدِيْثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، فَسُئِلَ عَنْهُ)** **يعني**: سأله الصحابة **(فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»)**.

الرياء مشتق من الرؤية، وهو أن يتظاهر الإنسان بالعمل الصالح أو يحسِّن عمله حين ينظر إليه الناس حتىٰ يحمدوه عليه ويثنوا عليه.

❁ **وبالمناسبة: ما الفرق بين الرياء وبين التسميع؟**

الرياء يكون في أثناء العمل، وأما التسميع فإنه يكون بعد العمل، **أي**: بعد أن يعمل الإنسان العمل الصالح فيأتي ويتكلم عند الناس.

الرياء شركٌ والعياذ بالله، وأما التسميع فهو ذنبٌ، وإن شاء الله سيأتي معنا فيما يأتي من الأبواب تفصيلٌ واسع أكثر فيما يتعلق بهذا الباب.

والشاهد من هذا الحديث: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف علىٰ سادات الأولياء - وهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - من الوقوع في الشرك، مع قوة إيمانهم ورسوخ دينهم،

وأيضًا مخالطتهم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف عليهم من الوقوع فيه، فمَن هم دون الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من باب أولىٰ.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **(أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهوَ يَدْعُو للهِ نِدًّا؛ دَخَلَ النَّارَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ).**

هنا **(مَنْ)** شرطية، **(مَاتَ) يعني**: لم يتب من الشرك، **أي**: مات وهو مشركٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو يخرِج مَن تاب قبل أن يموت.

ثم قال: (وَهوَ يَدْعُو) يشمل كل عبادة، فـ(يدعو) هنا بمعنىٰ كل عبادة يُتقرَّب بها إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، سواء كانت عبادة قولية أو كانت عبادة فعلية أو كانت عبادة قلبية، فهو عامٌّ في كل شيء.

وقد ذكر أهل العلم أن الدعاء ينقسم إلىٰ قسمين: دعاء عبادة ودعاء مسألة. وسيأتي مزيد تفصيلٍ بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ فيما يأتي.

قال: (يَدْعُو للهِ نِدًّا) النِّدُّ: هو النظير والمثيل والشبيه. فما هو جزاؤه؟ **قال: (دَخَلَ النَّارَ)**، وهو جواب الشرط، أنه يدخل النار، والعياذ بالله! لأنه أشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غيرَه ومات علىٰ ذلك، فإن جزاءه النار، والعياذ بالله من ذلك!

فعلاقة الحديث بالباب: أنه جاء محذِّرًا ومخوِّفًا من الشرك في أيِّ نوعٍ من أنواعه، فيجب علىٰ المؤمن أن يحذر من الشرك صغيره وكبيره.

ثم ذكر حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»**، وهنا أيضًا عندنا (**مَنْ**) شرطية، و(**لَقِيَ**) بمعنىٰ مات، **أي**: مات علىٰ التوحيد، مات وهو لا يشرك بالله شيئًا (**دَخَلَ الجَنَّةَ**) جواب الشرط هو أنه يدخل الجنة.

وهنا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**) (شيئًا) نكرة وهي في سياق الشرط، فهي تفيد العموم، أي: سواء كان عظيمـًا أو حقيراً.

وأيضًا قوله: (**وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**) هنا أيضًا (مَنْ) شرطية، و(**يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**) (شيئًا) نكرة، أي: سواء كان عظيمـًا أو حقيراً، وجواب هذا الشرط أنه يدخل النار.

فإذن: الحديث يُستفاد منه الخوف من الشرك والحذر منه وتجنب طريقته، ومجاهدة النفس حتىٰ لا يقع العبد في هذا الباب، والعياذ بالله!

ومما أيضًا يجب علينا أن نعرفه فيما يتعلق بالشرك: أن أهل العلم قد نظروا في نصوص الكتاب والسنة فوجدوا أن الشرك تارة يُخرج من الملة، وهو ما يسمىٰ بالشرك الأكبر، وهو أن يصرف لغير الله ما هو محضُ حقٍّ لله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل في هذا: شرك الربوبية وشرك الأسماء والصفات، وأيضًا الشرك في الألوهية.

والمعنِيُّ معنا في هذا الباب خاصة الذي هو الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، وهو أن يجعل لله شريكًا في عبادته يدعوه ويرجوه أو يخافه كخوف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أو أن يحبه كمحبة الله عَزَّوَجَلَّ، أو أن يصرف له أيَّ نوعٍ من أنواع

العبادات العملية مثل الذبح والنذر والدعاء وغير ذلك، فهذا كله يُسمَّىٰ شركًا أكبر وهو يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، والعياذ بالله!

وأما النوع الثاني فهو الشرك الأصغر، والشرك الأصغر قد اختلف أهل العلم في تعريفه، فمنهم من **قال**: هو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسَّل بها إلىٰ الشرك الأكبر.

ومنهم من قال أنه ليس له ضابط، وإنما ضابطه ما ورد في الشرع مثل الحلف بغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومثل قوله ما شاء الله وشئت، وأيضًا يسير الرياء وهو قليله، فهذا كله داخلٌ في الشرك الأصغر.

هذان القسمان للشرك.

وبعض الناس قال أن الشرك ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام، ولكن الذي عليه كثيرٌ من أهل العلم أنه ينقسم إلىٰ قسمين: شركٌ أكبر وشركٌ أصغر.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء:٤٨]، فالله تعالىٰ يخبر في هذه الآية العظيمة أن العبد إذا مات وهو يشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مات علىٰ الشرك بأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يغفر له ما وقع منه من ذلك الشرك، ما دام أنه مات عليه قبل أن يتوب.

وأما ما عداه من الذنوب والمعاصي فإنها داخلة تحت عفو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمن شاء ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يغفر له غفر له، ومن شاء غير ذلك عذَّبه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ **وهنا مسألة: هل يدخل في هذا الشركُ الأصغر، أم أنه خاصٌّ بالشرك الأكبر؟**

في المسألة قولان لأهل العلم، ولكن - والله أعلم - عموم النصوص تدل علىٰ أن الشرك الأصغر يدخل أيضًا في هذا، إلا أن صاحبه لا يخلد في النار.

فهذه الآية تدل علىٰ أنه يجب علينا الحذر من الشرك والخوف منه، وأن نبتعد عنه، وأن نجتنبه، وأن نكون في جانب والشرك في جانبٍ آخر إذا أردنا السلامة وأردنا السعادة في الدنيا والآخرة.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا تهيئة له، **قال: (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلَ كِتَابٍ)** والمراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارىٰ. وهذا حتىٰ يهيئه ويكون مستعدًا لمن سيقدم عليهم، فأهل الكتاب أهل علم وأهل دراية، ولا سيما اليهود، فإنه سيقع منهم الجدل والمخالفة والمعاندة، فيكون مستعدًا لهم ومتسلحًا بالعلم حتىٰ يرد ما عندهم من الشُّبَه.

وذِكْر أهل الكتاب خاصة مع وجود الوثنيين أيضًا المشركين في اليمن؛ لأنهم كانوا هم أكثر من غيرهم.

ثم بيَّن له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطريق الذي أول ما يبدأ به، **فقال: (فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوْهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**، وذلك لأن هذه الشهادة هي أصل الدين، وهي عماده، وهي قاعدته العظمىٰ، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُني الإسلام علىٰ خمس**» **ثم قال:** «**شهادة أن لا إله إلا الله**»، فهي الأصل الأصيل لهذا الدين، فمن لم يأتِ بها فلا إسلام له ولا دين له.

(وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ)، وهذا تفسير، شهادة أن لا إله إلا الله وتوحيد الله هذا تفسيرٌ لها، يعني توحيد الله هو شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم قال له عَلَيْهِ السَّلَامُ: (**فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ**) **أي**: استجابوا لك وانقادوا لهذا الأمر، (**فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ**)، والمراد بالصدقة هنا: الزكاة، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة:٦٠] **فالمقصود بها**: الزكاة.

ثم حذَّره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يجتنب كرائم أموالهم، والمقصود بكرائم الأموال هي أَنْفَسُها وأحسنها.

ثم قال له: (**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُوْمِ**) وكيف يتقي العبد دعوة المظلوم؟ يتقي دعوة المظلوم بالعدل وترك الظلم، **قال**: (**فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**). والظلم لا شك ظلمات يوم القيامة كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا الحديث يدلُّنا علىٰ أن التوحيد هو أول واجبٍ، وهو أن يبدأ به المرء الداعي إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قبل كل شيء، حتىٰ قبل الصلاة.

وأيضًا فيه التدرج في الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيبدأ المرء بالأهم فالأهم.

وكذلك فيه الحذر من الظلم.

وفيه أيضًا أن الزكاة تؤخذ من الأغنياء وتُصرف إلىٰ فقراء البلد الذين هم فيه.

وكذلك فيه أنه لا يأخذ الزكاة من نفائس الأموال وأحسنها، وإنما يأخذ من

أوسطها.

ثم ذكر المصنف قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يُوسُف:١٠٨].

هنا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ **أي**: هذه طريقتي وهذه دعوتي، وهذا هو منهجي، ما هو هذا المنهج؟ **قال**: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ **أي**: أدعو إلىٰ الله، إلىٰ إخلاص الدين له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلىٰ أن يكون الناس موحدين له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأدعو إلىٰ الله لا أدعو إلىٰ شيءٍ آخر، لا إلىٰ جاهٍ ولا إلىٰ دنيا، ولا إلىٰ غير ذلك من الأمور، بل إلىٰ الله مخلصًا له وموحِّدًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا أدعو الناس إلىٰ أن يكونوا موحِّدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مخلِصين له.

قال: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ **أي**: علىٰ علم.

والبصيرة هنا أن يكون الداعي علىٰ بصيرة في نفسه، **أي**: علىٰ علم، وأيضًا أن يكون علىٰ بصيرة فيما يدعو إليه، فلا يجوز للإنسان أن يدعو إلىٰ شيءٍ وهو لا يعلمه ويجهله، وأيضًا لا يجوز للإنسان أن يدعو وهو جاهل لا يفهم ولا يعلم ولا يدري ما هو مراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيقع في التقول علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ بغير علمٍ، والعياذ بالله!

ثم قال: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ **أي**: وأتباعي الذين هم علىٰ طريقتي هم يدعون مثل دعوتي، يدعون إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإلىٰ دعوة الناس إلىٰ أن يوحِّدوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فمن كان علىٰ هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ طريقته فلابد أن يدعو إلىٰ ما

دعا إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولابد أن يكون على بصيرة.

ثم قال: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، وهذا تنزيهٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تنزيهٌ له عن النقائص والعيوب، وأيضًا تنزيهٌ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يكون له شريكٌ في مُلْكه أو معبودٌ يُعبد معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهذه الآية تدل على أن الدعوة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لابد أن تكون على بصيرة وعلم، فإذا كانت كذلك فهي طريقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي منهجه، وأتباعه يجب عليهم أن يكونوا كذلك، وأعظم ما يجب عليهم أن يدعوا إليه هو توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه بعث معاذًا إلى اليمن داعية إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ذا علمٍ وذا بصيرة، ولذلك أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن معاذًا هو أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام.

وكانت تلك البعثة التي أرسلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن كانت في السنة العاشرة من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❖ ❖ ❖

بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَقَـوْلُ اللهِ تَعَـالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف:١٠٨].

وَعَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُـوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّـا بَعَـثَ مُعَـاذًا إِلَـىٰ اليَمَنِ؛ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَـدْعُوْهُمْ إِلَيْـهِ شَـهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ – وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ –، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِـذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُـمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُوْمِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَـا وَبَيْنَ اللهِ حِجَـابٌ». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ يَـوْمَ خَيْبَـرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَـةَ غَـدًا رَجُـلًا يُحِـبُّ اللهَ وَرَسُـوْلَهُ، وَيُحِبُّـهُ اللهُ وَرَسُـوْلُهُ؛ يَفْـتَحُ اللهُ عَلَـىٰ يَدَيْهِ». فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوْكُوْنَ لَيْلَتَهُم أَيُّهُم يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوا عَلَىٰ رَسُـوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُم يَرْجُوْ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِـيُّ بْـنُ أَبِي طَالِـبٍ؟» فَقِيْـلَ: هُـوَ يَشْتَكِي عَيْنَيهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِي بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، ثُمَّ دَعَا لَـهُ فَبَـرَأَ كَـأَنْ لَـمْ يَكُـنْ بِـهِ

وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «انفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللهِ فِيْهِ؛ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

(يَدُوْكُوْنَ) أَيْ: يَخُوْضُوْنَ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو باب الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله. ومعنىٰ باب الدعاء: أي الدعوة، **أي**: دعوة الناس إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

ومناسبة هذا الباب لما قبله: أن العبد إذا خاف من الشرك علىٰ نفسه فإنه يخاف علىٰ غيره، فإذا كان يخاف علىٰ غيره فإن عليه أن يدعو الناس إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يعرِّفهم بهذا الحق العظيم.

وبالمناسبة: الدعوة إلىٰ الله تبارك وتعلىٰ قد ذكر أهل العلم أنها واجبة علىٰ الكفاية، أن يدعو من عنده علمٌ إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيبين ما افترض الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ عباده، وأول هذه الفرائض هو توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أرسل الأنبياء ليدعوا الناس إلىٰ عبادة الله عَزَّوَجَلَّ ويبينوا لهم شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

◆ ◆ ◆

بَابُ تَفْسِيْرِ التَّوْحِيْدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰه

وَقَـوْلُ اللهِ تَعَـالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإِسْرَاء:٥٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ [الزُّخْرُف:٢٦-٢٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة:٣١].

وَقَوْلُـهُ تَعَـالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة:١٦٥].

وَفِي الصَّحِيْحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّه قَالَ: «مَنْ قَـالَ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَـرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». وَشَرْحُ هَـذِهِ التَّرْجَمَـةِ مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

أراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الترجمة أن يذكر الأدلة التي تدل دلالة واضحة علىٰ تفسير التوحيد، وهذا حتىٰ يكون الداعي إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ بصيرة بما يدعو إليه، وهو توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهنا قال: (**بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**) وهذا من باب الترادف، فالتوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن لا إله إلا الله هي توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا حتىٰ يؤكد علىٰ أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله التي يجب أن يعتني بها الداعي إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧]، فهنا قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ **أي**: المدعوون، والمقصود بالمدعوين هنا هم الملائكة والأنبياء والصالحين الذين كان الكفار يدعونهم من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهؤلاء المدعوون من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - وهم الأنبياء والملائكة والصالحين - حالهم أنهم كانوا يتوسلون إلىٰ الله ويبتغون إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الوسيلة، والمقصود بالوسيلة: هو كل ما يقرِّب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الأعمال الصالحة.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أيهم أقرب منزلة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا كان حال هؤلاء المدعوين هكذا فالداعي الذي يدعوهم من دون الله يجب عليه أن يكون حاله كحال هؤلاء الذين يخافون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويفزعون إليه في طلب النفع ودفع الضر.

فأهل الشرك الذين يدعون هؤلاء ممن لا يملك لهم كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين هؤلاء هم الذين يطلبون القرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالآية تدل دلالة واضحة في الرد علىٰ المشركين الذين يدعون الصالحين، وأن فعلهم هذا شركٌ أكبر.

ومناسبة الآية: أن التوحيد لا يصح إلا بأن يُبنىٰ علىٰ الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإخلاص العبادة له، والتقرب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ (**عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ **أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ**) **أي**: يوم غزوة خيبر. وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو كان غازيًا اليهود في منطقة خيبر، **قال**: (**لَأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيُحبُّهُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ؛ يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدِيْهِ**).

الراية: هي عَلَم الحرب التي تُرفع أثناء الحرب، فكل جيش له راية تُرفع، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت له راية.

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لما سمعوا هذه الأوصاف العظيمة بأن شهد له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، هذا لا شك أنه فضلٌ عظيم، فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أخذوا يدوكون تلك الليلة، **أي**: يخوضون ويتحدثون أيهم يُعطىٰ هذه الراية، حتىٰ إنه جاء عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه **قال**: «**ما تمنيت الإمارة إلا ذلك اليوم**» لما فيها من الفضل العظيم.

فلما أصبحوا طلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقالوا: إنه يشتكي عينيه، فأُتي به فبصق: بمعنىٰ تَفَل، تفل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عيني علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فبرأ، **يعني**: تعافىٰ وشافاه الله عَزَّ وَجَلَّ كأن لم يكن به وجه.

هنا الشاهد (**فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ: انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ**) **أي**: علىٰ مهلٍ من غير عجلة، (حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِم) **أي**: بالقرب منهم.

ثم قال له موجهًا له بأيِّ شيءٍ يدعو، **قال: (ثُمَّ اُدْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ)**، والإسلام هو توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو حق الله العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال يعني بعد أن تدعوهم إلىٰ الإسلام وهو التوحيد وإخلاص الدين لله عَزَّ وَجَلَّ: **(وَأَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللهِ فِيْهِ)** من إخلاص الدين له، وكذلك مما يترتب عليه من مقتضيات الأعمال والانقياد لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم أشار النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونبَّه إلىٰ أمرٍ عظيم وهو أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا كتب علىٰ يديك هداية الناس فإن ذلك فيه خيرٌ كثيرٌ لك، ولذلك قال **(لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)**.

والمقصود بحمر النَّعم: هي الإبل ذوات اللون الأحمر، وهي من أنفس أموال العرب، ولذلك كانت الإبل هي دية النفس حينما تُقتَل.

ففي هذا الحديث بيان أن الدعوة إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هي أصلٌ أصيل لا ينبغي للداعي إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا يجوز له أن يهمله، بل يجب عليه أن يعتني به، وأن يكون هو أصل دعوته ومرتكزها الذي يبدأ به وإليه يعود، كما كان يفعل النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ كانت دعوته مبنية علىٰ التوحيد إلىٰ أن توفاه الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو يدعو إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧﴾ [الزُّخْرُف:٢٦-٢٧]، ففي هذه الآية تفسير

التوحيد، وهو إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تبرأ مما يعبده قومه مما يُعبد من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم استثنىٰ **فقال:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ بمعنىٰ خلقني، ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾، وفي هذا نكتة علمية حيث إن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يقل (إلا الله فإنه سيهدين) وإنما **قال:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، وهذا فيه استدلالٌ بالربوبية علىٰ توحيد الألوهية، فكما أن الله هو الذي خلقكم وأوجدكم فهو الذي يستحق العبادة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي هذه الآية دلالة واضحة علىٰ معنىٰ (لا إله إلا الله)، فإن معناها: لا معبود حقٌّ إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ففيها النفي والإثبات، حيث إنه **قال:** ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا بمعنىٰ لا إله، تبرأ من آلهتهم التي تُعبد. **ثم قال:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فهذا فيه إثبات العبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر أيضًا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **قوله:** ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوْبَة:٣١]، والمقصود بهؤلاء الذين اتخذوا الأحبار والرهبان هم أهل الكتاب، والمراد بالأحبار هم العلماء، وأما الرهبان فهم العُبَّاد، **والمعنىٰ من هذه الآية:** أنهم اتخذوا هؤلاء العُبَّاد وهؤلاء العلماء آلهةً من دون الله، **بمعنىٰ:** أنهم أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهذه الآية تبين أنهم حينما جعلوا هؤلاء الأرباب مشرِّعين لهم يحللون لهم ويحرِّمون لهم؛ كانت تلك هي عبادتهم لهم، فكان بذلك الوقوع في الشرك، والعياذ بالله!

فـإذن: مـن أطـاع غيـر الله في تحـريم الحـلال وتحليـل الحـرام فقـد اتخـذ ذلـك المُطاع ربًا ومعبودًا، وجعله شريكًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا لا شك أنه ينافي التوحيد.

ثم قـال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَقَوْلُـهُ تَعَـالَىٰ**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة:١٦٥].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (مِنْ) تبعيضية، **أي**: بعض الناس اتخذ أندادًا، **بمعنىٰ**: نُظَراء ومُثَلاء وشركاء لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، اتخذهم أندادًا من دون الله عَزَّوَجَلَّ، كيف؟ ما هو وجه ذلك؟ قال إنهم ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، **أي**: إنهم يشركونهم في المحبة مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. وهذا لا شك أنه شركٌ أكبر مخرجٌ من ملة الإسلام، والعياذ بالله!

فالذي يُحِبُّ أيَّ مخلوقٍ كحُبِّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه يكون قد وقع في الشرك، والعياذ بالله!

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (**وَفِي الصَّحِيْحِ**) **يعني**: في صحيح مسلم. (**عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَنَّه قَالَ**: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ»).

فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **في هذا الحديث علّق عصمة الدم والمال بأمرين**:

الأمر الأول: من قال لا إله إلا الله، وهذا يكون عن علم وعن يقين وإخلاص وصدق لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **فإذن**: أن يكون موحدًا لله عَزَّوَجَلَّ، يعلن توحيده لله عَزَّوَجَلَّ.

ثم الأمر الثاني قال: (وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ) أي: كفر بكل ما يُعبد من دون الله، ومعنىٰ (كفر بما يُعبد من دون الله) **أي:** إنه تبرأ منهم وأنكر عبادتهم، ولم يرض بمثل هذا، بل أظهر بغضه لهذا الفعل وتبرؤه من عبادتهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤].

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من قال ذلك حرم ماله، فلا يحل لأحدٍ أن يأخذ من ماله شيئًا، ولا أن يتعدىٰ علىٰ دمه فيسفكه؛ لأنه أصبح معصوم الدم **بقوله لا** إله إلا الله وكفره بما يُعبد من دون الله.

ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ)**، بمعنىٰ أن الذي يتولىٰ حسابه ويشهد بصدقه بهذه الشهادة ويجازيه بجنات النعيم هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإن كان كاذبًا في زعمه فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيعذبه العذاب الأليم.

فدل هذا الحديث علىٰ أن عدم الكفر بما يُعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ أنه ينافي التوحيد.

فإذن: لابد من إثبات العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، وأيضًا الكفر بما يُعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ) أي:** إن ما بعدها من الأبواب الآتية كلها تفسر هذه التراجم التي تقدمت.

وهذه الأبواب التي تقدمت هي بمثابة الأصل لكتاب التوحيد، وما سيأتي بعدها من الأبواب هي تفصيلٌ لهذه الأبواب التي تقدمت.

❖ ❖ ❖

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨﴾ [الزُّمَر:٣٨].

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ. فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فإِنَّكَ لوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحتَ أَبَدًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوْعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ».

وَفِيْ رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعلَّقَ تَمِيْمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ».

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّىٰ؛ فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يُوْسُف: ١٠٦].

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب مناسبته لكتاب التوحيد: أن من فعل ذلك فإنه إما أن يُخِل بأصل التوحيد، وإما أنه يُضاد كماله، **أي**: كمال التوحيد، **يعني**: إما أن يقع في الشرك الأكبر أو أن يقع في الشرك الأصغر.

وقبل أن نتكلم علىٰ هذا الباب وما فيه لابد أن أقدِّم بمقدمة، وهي متعلقة بالأسباب.

فإن أهل العلم قد ذكروا أن الأسباب تنقسم إلىٰ قسمين: أسباب شرعية، وأسباب قَدَرية.

أسبابٌ شرعية مثل: قراءة الفاتحة، فإنها سببٌ شرعي للشفاء، أو مثل ما ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الحجامة، فإن الشرع قد دلَّ عليها، أو أكل العسل؛ فإنه أيضًا من الأسباب الشرعية التي ذكرها الشرع.

وأما الأسباب القَدَرية - وهي التي ثبتت بالحس ظاهرًا وبالتجربة الظاهرة البيِّنة - كأكل المسهِّل مثلًا حتىٰ يستطلق البطن، أو أكل الحبوب التي تُسكِّن الآلام وهي قد ثبتت بالتجربة الظاهرة البيِّنة لكل الناس، وغير ذلك مما هو ظاهر وبيِّن.

فأيُّ سببٍ خرج عن هذين الأمرين وهو لم يكن شرعيًا أو قدريًا فإنه يكون شركًا، والعياذ بالله! ولذلك ذكر بعض أهل العلم قاعدة وهي: إنَّ جَعْل الشيء سببًا وهو ليس بسببٍ شرعي ولا قدري ظاهرًا حسًا فإنه يكون شركًا.

❁ **الناس من حيث الأسباب من ناحية إثباتها أو نفيها انقسموا إلىٰ ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: هم من ينكر الأسباب جملة وتفصيلًا، وهم الجبرية والأشعرية، فإنهم لا يثبتون للسبب أثرًا، وإنما يقولون: يثبت الأمر عند السبب. **يعني**: النار لا تحرق بنفسها ولكن تحرق عندها. والسكين لا تقطع بنفسها وإنما يقع القطع عندها، وغير ذلك من الأمور التي تناقض العقل وتناقض الشرع قبل ذلك.

والقسم الثاني: من غلوا في إثبات الأسباب حتىٰ جعلوا ما ليس بسبب سببًا. وهؤلاء هم عامة الصوفية وغلاة الروافض وغيرهم، حتىٰ إنهم جعلوا للقبور والمقبورين والتُّرَب وغير ذلك أثرًا في حياة الناس وتخليصهم من الكُرُبات والمصائب، وكذلك في جلب الأرزاق وغير ذلك من الأمور.

وأما القسم الثالث فهم أسعد الناس وهم أهل السنة والجماعة، من يؤمن بأن للأسباب أثرًا وتأثيرًا، ولكن لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبته الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سببًا شرعيًا أو سببًا كونيًا.

وأيضًا: هم يأخذون بالأسباب لأن الله أمرهم بهذا وأمرهم به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم لا يعتمدون علىٰ الأسباب ويعلِّقون قلوبهم بها، بل يعتمدون علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويعلِّقون قلوبهم بالله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا خرج إلىٰ الغزو وإلىٰ الجهاد ظهر بين درعين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهذا من الأخذ بالأسباب.

وقال لذلك الرجل الذي ترك دابته وقال إنه متوكلٌ علىٰ الله **قال: «اعقلها وتوكل»**.

فدل علىٰ أن بذل الأسباب لا ينافي التوكل، لكن ليحذر الإنسان أن لا يعلِّق قلبه بالسبب فيغفل عن الذي خلق السبب ومسبَّباته وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هذا الحديث أو هذا الباب الذي معنا، وهو قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا)**، (مِنْ) هنا للتبعيض، **أي**: من الشرك، وليس هذا هو الشرك كله، بل يوجد صورٌ كثيرة من صور الشرك المتعلقة بهذا.

و**(الحَلْقَة)** هي التي تكون من نُحاسٍ أو من حديد توضع في اليد مستديرة عليها.

(وَالخَيْطِ) هو معروف، هو ذلك الخيط الذي يكون من القماش، فيلفُّه علىٰ يده أو علىٰ رقبته.

قال: (وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ)، رفع البلاء هو إزالته بعد نزوله، **أي**: بعد أن ينزل البلاء فإنهم يعتقدون أنها ترفعه وتؤثر فيه. أو دَفْعه وهو قبل نزوله.

ولا شك أن هذا من الشرك والعياذ بالله! لماذا؟ لأنهم جعلوا هذه الأمور سببًا وهي ليست سببًا أصلًا لا في الشرع ولا في القَدَر.

۞ **هل هي من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر؟** هذا فيه تفصيلٌ عند أهل العلم.

۞ من اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنها تكون من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

❁ ومن اعتقد أنها سببٌ ترفع البلاء لا بنفسها، وإنما هي سببٌ يتخذها؛ فهي شركٌ أصغر، وكلا الأمرين حرامٌ ومنهيٌّ عنه.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **قال: (وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوْعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»**.

وَفِيْ رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ».

التميمة: هي خَرَزات وحروزٌ يعلِّقها أهل الجاهلية علىٰ أنفسهم وعلىٰ أولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين.

والوَدَع أو الوَدَعة جمعها وَدَع، وهي شيءٌ أبيض يخرج من البحر، وهو يشبه الصَّدَف الذي يكون علىٰ ساحل البحر، ويزعمون أنهم يتقون بها العين.

وقوله: «مَنْ» وهي هنا شرطية، **(تَعَلَّقَ)** وهذا فعل الشرط، وجوابه: **(فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ)**، فمن تعلَّق هذه التميمة وهي الخرزات والحروز التي يتعلقونها فلا أتم الله له، فهنا قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ)** ذكر أهل العلم أن الجملة إما أنها جملة خبرية، **بمعنىٰ**: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر أن من فعل هذه الأمور فإن الله لن يتمم أموره. ويُحتمل أنها جملة إنشائية، بمعنىٰ الدعاء عليه، **أي**: يدعو عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الله لا يتم أمره. وكونها جملة خبرية أبلغ؛ لأن هذا يدل علىٰ أن هذا الأمر منتهي.

فالذي يتعلق هذه التميمة التي جعلها سببًا وهي ليست بسببٍ لا شرعًا ولا قدرًا، بل جاء التحذير بالتحذير منها، وكذلك من تعلَّق الودعة فلا ودع الله له، **أي**: لم يجعله الله في دَعَة وسكون، **أي**: إنه يكون في قلقٍ وعدم استقرار.

فالذي يتعلق هذه الأشياء في طلب الخير أو دفع الشر فإنه يكون قد وقع في الشرك والعياذ بالله!

وكما تقدم قلت: إن اعتقد أنها تنفع من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه يكون شركًا أكبر، وإن اعتقد أنها سببٌ فإنها تكون شركًا أصغر، وكلا الأمرين حرامٌ ولا يجوز، والعياذ بالله!

ثم قال: (**وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّىٰ؛ فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ**: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يُوسُف: ١٠٦] **أي**: إن هذا الرجل وضع في يده خيطًا يعتقد أنه يدفع عنه الحمىٰ. الحمىٰ هو المرض المعروف التي تسمىٰ بالسخونة، تصيب الإنسان في ارتفاع الحرارة. فيعتقد أن هذه تدفع عنه هذا المرض، فحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنكر عليه وبيَّن له أن هذا العمل شركٌ، ولذلك استدل عليه بالآية التي نزلت في المشركين علىٰ فعله ذلك، فدل علىٰ أن هذا الفعل شركٌ، والعياذ بالله!

وأيضًا: دل علىٰ أن المرء إذا رأىٰ أحدًا يفعل مثل هذه الأمور عليه أن ينكر عليه مثل هذه الأفعال، وأن لا يتركه لأن في ذلك خلاصًا أو تخليصًا له من الوقوع في الشرك.

فدلت هذه الأحاديث كلها علىٰ أن وضْع الحِلَق أو الخيوط واعتقاد أنها تنفع وترفع البلاء وتدفعه أنها شركٌ يجب علىٰ المرء أن يحذر منه وأن يجتنبه، وأن يحذر منه إذا رأىٰ أحدًا واقعًا فيه.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي بَشِيْرٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ؛ فَأَرْسَلَ رَسُوْلًا أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيْرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ، إِلَّا قُطعَتْ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوْعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

(التَّمَائِمُ): شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَىٰ الأَوْلَادِ مِنَ العَيْنِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ المُعلَّقُ مِنَ القُرْآنِ؛ فَرَخَّصَ فِيْهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُم لَمْ يُرَخِّص فِيْهِ وَيَجْعَلُهُ مِنَ المَنْهِيِّ عَنْهُ؛ مِنْهُم ابْنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَ (الرُّقَىٰ): هِيَ الَّتِيْ تُسَمَّىٰ العَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيْلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيْهِ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ.

وَ (التِّوَلَة): شَيْءٌ يَصْنَعُوْنَهُ يَزْعُمُوْنَ أَنَّهُ يُحبِّبُ المَرْأَةَ إِلَىٰ زَوْجِهَا وَالرَّجُلَ إِلَىٰ امْرَأَتِهِ.

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِعٍ؛ قَالَ: قَالَ لِي رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا رُوَيْفِعُ! لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُوْلُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيْعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ».

وَعَنْ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَنْ قَطَعَ تَمِيْمَةً مِنْ إِنْسَانٍ، كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ. رَوَاهُ وَكِيْعٌ.

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ، قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُوْنَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ القُرْآنِ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عقد هذا الباب حتىٰ يبين أن من الرُّقىٰ ما يكون شركًا، وهي الرقية الشركية، ومن هذه الرُّقىٰ ما يُخِل بأصل التوحيد ومنها ما يُخِل بكماله، يُخل بأصل التوحيد إذا اعتقد بأنها تنفع من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وتُخِل بكمال التوحيد إذا اعتقد أنها سبب وهي ليست بسبب.

والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أجمَل هنا في ذِكْر الرقىٰ لأن من الرُّقىٰ ما هو شركٌ ومنها ما ليس بشرك.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (**فِي الصَّحِيْحِ**) يعني: في صحيح البخاري.

(**عَنْ أَبِي بَشِيْرٍ الأَنْصَارِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ **أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ؛ فَأَرْسَلَ رَسُوْلًا أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيْرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا يحذِّر من هذه الأمور وهي من أمور الجاهلية كانوا يصنعونها، وهي تقليد الأوتار.

والأوتار جمع وتر، والوَتَر ما يؤخذ من القوس، وذلك أن أهل الجاهلية يعتقدون أنها تدفع البلاء أو تدفع العين عن الدابة، فلذلك يقلِّدون دوابَّهم بتلك الأوتار حتىٰ تدفع العين عنها.

وقوله: (**أَوْ قِلَادَةٌ**) هذا شكٌّ من الراوي لا يدري أقال (قلادة من وتر) أو قال (قلادة) عامة، فيشمل كل قلادة كانت من وَتَرٍ أو من غيره.

ثم إن في أمْره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن تُقطع هذه الأوتار إنكارٌ منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ علىٰ هذا الصنيع الذي كان يفعله أهل الجاهلية، ويؤكده أيضًا أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «لَا يَبْقَيَنَّ»، فأتىٰ في هذا الفعل بنون التوكيد الثقيلة حتىٰ يؤكِّد أن هذا الأمر منكرٌ ولا يجوز.

فإذن: هنا أفادنا هذا الحديث إنكار النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه القلائد، وأمر بإزالتها لأنها نوع من الشرك، حيث إن الإنسان اعتقد هذا الشيء سببًا وهو ليس بسببٍ لا شرعًا ولا قَدَرًا.

ثم ذكر المصنف قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزُّمَر:٣٨].

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهؤلاء المشركين ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **أي:** هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله وتعتقدون أنها تنفع وتضر.

﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ هل هذه الأصنام قادرةٌ علىٰ كشف ذلك الضر؟ ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ هل هُنَّ يمسكن رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فلا تَصِل إلي؟ فلا شك أن ذلك كله باطل، فإن هذه الآلهة التي تدعونها من دون الله لا تستطيع من الأمر شيئًا، فلا قدرة لها علىٰ كشف ضُرٍّ أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أراد الله إنزالها علىٰ عبده، لأن ذلك الأمر كله بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والشاهد من الآية معنا في هذا الباب: أنه لا فَرْق بين اعتقاد المشركين في الأصنام الذين يعتقدون أنها تنفع وتضر، أو بين من يعتقد في هذه الخيوط وهذه الحِلَق التي يلبسها فإنها سواء لا فرق بينها في الحكم، فبذلك دل علىٰ بطلان ذلك الأمر وهي تقلُّد الحِلق والخيوط لرفع البلاء أو دفع ضره، لأنه لا يدفع البلاء ولا يرفعه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: **عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ. فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فإِنَّكَ لوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحتَ أَبَدًا»**.

هنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأىٰ هذا الرجل يلبس تلك الحَلْقة من الصُّفْر وهو نوعٌ من الحديد الذي يُلبس، مصنوع من النحاس يُلبس علىٰ اليد من أجل دفع الضُّرِّ أو من أجل رفع البلاء أو دفعه؛ فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «ما هذه؟»، وهذا إنكارٌ من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه حينما رآه لابسًا تلك الحَلقة.

ثم إنه أخذ يبرر لنفسه **فقال:** (**مِنَ الوَاهِنَةِ**)، وهو نوعٌ من المرض، عِرقٌ يصيب الإنسان في كتفه أو في يده يسبب لـه أَلَمًـا، فهـو يلبسـه مـن أجـل أن يرفـع ذلـك الألـم الذي يصيبه.

ثـم أخـبره النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بـأن **قـال:** «**انْزِعْهَـا، فَإِنَّهَـا لَا تَزِيْـدُكَ إِلَّا وَهْنًـا**»، والنزع هو الجذب بقوة.

وأخبر عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أنها لا تنفعه، بل تضره والعياذ بـالله! وتزيـده ضـعفًا إلـىٰ ضـعفه، فـلا فائـدة منهـا، فهـذا يـدلُّ علـىٰ أن هـذا الأمـر مـن النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للوجوب، وأن فِعْل ذلك الرجل حينما فعله أنها معصيةٌ لله، بل هي شـركٌ، والـدليل: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قـال:** «**فإنَّـكَ لـوْ مِـتَّ وَهِـيَ عَلَيْـكَ؛ مَـا أَفْلَحْـتَ**»، فنفىٰ عنه الفـلاح، وذلـك إذا اعتقـد أنهـا تنفـع وتضـر مـن دون الله عَزَّوَجَلَّ فتكـون شـركًا أكـبر، والعياذ بالله! أما إذا اعتقد أنها لا تستقل بنفسها، بـل هـي سببٌ يتخذها؛ فهـي شـركٌ أصغر، والعياذ بالله!

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ **قال:** (**وَرَوَىٰ أَحْمَدُ عَنْ رُوَيْفِع؛ قَـالَ: قَـالَ لِـيْ رَسُـوْلُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَا رُوَيْفـعُ! لَعَـلَّ الحَيَـاةَ سَـتَطُوْلُ بِـكَ، فَـأَخْبِرِ النَّـاسَ أَنَّ مَـنْ عَقَـدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَىٰ بِرَجِيْعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْـمٍ، فَـإِنَّ مُحَمَّـدًا بَـرِيءٌ مِنْـهُ**»، فـإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخـبر رويفـع بـأن الحيـاة سـتطول بـه، وهـذا فيـه عَلَـمٌ مـن أعـلام النبوة، إذ إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبره بأن الحياة ستمتد به، وقـد ذكـر أهـل السـير أن رويفع طالت به الحياة إلىٰ سنة ستة وخمسين من هجرة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمَرَه، وهو ليس خاصًا برويفع، بل برويفع وغيره من المسلمين أن يقوموا بهذا الأمر، وأن يعلِّموا الناس، وأن ينكروا عليهم، فكل من علم هذا الأمر ورأى الناس أو رأى أحدًا واقعًا فيه فإنه يجب عليه أن يحذر منه وأن ينبِّه عليه، وأن يبين له أن مثل هذا الأمر لا يجوز وأنه محرم.

فأول هذه الأمور **قال**: (**مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ**)، عقَدْ اللحية وهو أن يبرمها، بحيث يجعلها مبترمة إما بخيط أو غيره، وهذا النهي عنه إما لما كان يفعله أهل الجاهلية بأنهم يفعلون هذا تكبرًا منهم، وإما أن هذا فيه من مشابهة النساء في عقد شعرهن، ومعروفٌ أن التشبه بالنساء لا يجوز.

وقيل إن هذا متعلِّقٌ بالصلاة، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن كفِّ الثوب والشعر في الصلاة.

فعلى كل حال، أن هذا إذا كان على أيِّ وجهٍ من هذه الوجوه فإنه لا يجوز.

ثم قال أيضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا**» **أي**: جعله قلادة في عنقه أو في عنق دابته. وهذا شركٌ؛ لأنه جعل ذلك سببًا وهو ليس بسببٍ لا شرعًا ولا قدرًا.

وعلى التفصيل الذي قد مضى: إن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله كان شركًا أكبر، وإن كان يعتقد بأنها سببٌ فإنها تكون من الشرك الأصغر.

ثم نهى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **قال**: «**أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ**»، والاستنجاء هو الاستجمار، ورجيع الدابة هو الروث، والعظم أيضًا الذي يرميه الناس بعد أكلهم، فإنه لا يجوز استعماله في إزالة الخارج، وهو محرَّمٌ لنهي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن

الرجيع يكون لدواب الجن، والعظم يكون أوفر ما يكون لحمًا للجن أنفسهم كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**» هذا يدل على حرمة كل ما تقدم، ولكن هذا الوعيد الشديد من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان يعتقد ذلك الإنسان أنها - خاصة تقلُّد الوتر - تنفع وتضر من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبرأ منه ومن فعله فيكون على ظاهره، ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤].

وأما إذا كان يعتقد بأنها سبب فيكون التبرؤ من العمل، لأن الواقع في الشرك الأصغر مسلمٌ وباقٍ على إسلامه، ولكن وقع في ذنبٍ عظيم وجُرْمٍ كبير.

فقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**» يدل على تحريم الأشياء المذكورة في هذا الحديث.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُوْلُ: «إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»**.

هنا قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ**» هذا عام مخصوص، يريد به الرُّقىٰ الشركية التي تكون بالشرك، فإن الرقىٰ منها ما هي رُقىٰ شركية ومنها ما هي رُقىٰ شرعية، وقد ذكر أهل العلم أن الرقية **لا تجوز إلا بثلاثة شروط:**

❁ **الشرط الأول:** أن تكون باللسان العربي وما يُعرف معناه.

❁ **والثـــاني**: أن تكـــون بكـــلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهـــو القـــرآن، أو بأســـماء الله وصفاته، أو بكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأذكار والأدعية التي جاءت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

❁ **والثالث**: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فبهذه الشروط الثلاثة تكون الرقية جائزة، وأما إذا تخلف أيُّ شرطٍ من هذه الشروط فإن الرقية لا تكون جائزة، لأن الشرط لابد أن يكون متوفرًا في المشروط، وهو الذي إذا زال زال الأمر المتعلق به.

ثم إن التمائم – وهي كما قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي التي تُعلَّق من الخرزات، والتعاويذ التي تُعلَّق علىٰ الأطفال أو غيرهم يتقون بها العين – شركٌ ولا يجوز، ولكن ذكر أنها إذا كانت من القرآن فإن أهل العلم قد اختلفوا فيها، وأهل العلم في الحقيقة اختلفوا فيها علىٰ ثلاثة أقوال:

قولٌ – كما ذكر المصنف وهو مذهب ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأصحابه – أن جميع التمائم من القرآن ومن غيره أنها لا تجوز.

وقد استدلوا علىٰ ذلك بعموم النهي عن تعليق التمائم، وقالوا إن هذا العموم لا مخصِّص له.

والثاني قالوا: إنه ذريعة إلىٰ تعليق ما ليس من القرآن، فيُفضي إلىٰ تعليق الأمور المحرمة.

والأمر الثالث: أن تعليق القرآن يكون سببًا في امتهانه، فلابد أن يقع الذي يعلِّق القرآن علىٰ رقبته أو علىٰ عضده فإنه سيمتهنه حينما يدخل إلىٰ قضاء حاجته في الخلاء أو غير ذلك من الأمور.

وهذا عليه كثيرٌ من أهل العلم.

وذهب بعضهم إلىٰ جوازه إذا كان من القرآن، وهو منسوبٌ إلىٰ بعض السلف، واستدلوا بعموم الآيات التي تدل علىٰ أن القرآن شفاء وما شابه ذلك.

وأما القول الثالث فهم الذين يرون أن تعليق التمائم إذا كانت من القرآن فإنه يجوز إذا كان بعد وقوع المرض، وهذا يُنسب إلىٰ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وأيضًا مال إليه شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم.

لكن القول الأول هو الأولىٰ، وهو الذي يوافق النصوص، وعليه قول أئمة الدعوة ومشايخنا كالشيخ ابن بازٍ رَحِمَهُٱللَّهُ، وغيره من أهل العلم، وابن عثيمين له قولان، وفي شرحه لكتاب التوحيد توقف.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ حديث (**عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوْعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»**، فـ(مِن) شرطية، و(**تَعَلَّقَ**) فعل الشرط، وجوابه: (**وُكِلَ إِلَيْهِ**).

والتعلق يكون بالقلب، بأن يتعلق القلب بذلك الشيء ويميل إليه، أو أن يكون بالفعل، بحيث يتعلق الإنسان بفعله، أو أن يكون بهما معًا.

فمن اعتمد علىٰ شيءٍ في طلب خيرٍ أو دفع شرٍّ وكله الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ ذلك

الشيء، **بمعنىٰ**: أنه جعله يعتمد عليه، ومن تخلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنه فقد خاب وخسر، وهذا هو الخسران المبين، والعياذ بالله!

وهذا يدلُّ علىٰ أن المرء يجب عليه أن لا يعلِّق قلبه إلا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يجعل قلبه عامرًا بالتوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والاعتماد عليه، إذ لا مخلِّص للعبد من الشرور ولا جالب له للنفع إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي بيده الأمر كله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نصح ابن عباس **قال**: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**» **أي**: إنه في جميع أمورك ستجد أن الله عَزَّوَجَلَّ معك ويكون في عونك، ويكون مؤيدًا لك وناصرًا لك، ولذلك موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما رأىٰ البحر من أمامه ورأىٰ فرعون وجنوده من خلفه **قال**: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء:٦٢]، لأنه كان موقنًا بذلك ومعلِّقًا قلبه بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أوىٰ إلىٰ غار ثور فقال له أبو بكر: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه لرآنا، فقال له النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»، فالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلِّمنا بأن المرء متىٰ ما كان مع الله معلِّقًا قلبه بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ معتمدًا عليه متوكلًا عليه؛ فإن الله سيكفيه كل شيء.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عَنْ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قَالَ: مَنْ قَطَعَ تَمِيْمَةً مِنْ إِنْسَانٍ، كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ. رَوَاهُ وَكِيْعٌ**)، **بمعنىٰ**: أن من قطع تلك التميمة من ذلك الإنسان فله من الأجر مثل أجر من أعتق رقبة يتقرب بذلك إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذا يُؤخذ منه فضل قطع التمائم، لأنها شركٌ والعياذ بالله!

وقوله: (**وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ، قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُوْنَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا مِنَ القُرْآنِ وَغَيْرِ القُرْآنِ**)، والكراهة هنا المقصود منها التحريم، وليست للتنزيه كما عليه المتأخرون من الفقهاء.

وقوله: (**كَانُوا يَكْرَهُوْنَ**) قال أهل العلم أنه يريد أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ ۞ ۞

بَابُ مَنْ تَبرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩].

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: خَرَجْنَا مَع رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ حُنَيْنٍ -وَنَحْنُ حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ-، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم، يُقَالُ لهضا: ذَاتَ أَنْواطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْواطٍ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ٱللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح -وفقه الله-:

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ذكر هذا الباب وهو (**بَابُ مَنْ تَبرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا**) **وجاء في بعض النسخ**: كبقعة أو قبر فهو مشركٌ، **أي**: حكم طلب البركة من غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: من الشجر أو الحجر أو غيرها؛ فإن ذلك شركٌ، والعياذ بالله ! وهو كمن يطلب الرزق من غير الله عَزَّ وَجَلَّ.

والبركة: هي دوام الخير وزيادته وكثرته وثبوته.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يتبارك علىٰ الشيء ويبارك فيه، ولذلك البركة لا تُطلب إلا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو فيقول: «**وبارك لي فيما أعطيت**»، وقال أيضًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**البركة من الله**»، فهي لا تُطلب إلا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمن طلب البركة من غير الله وقع في الشرك، والعياذ بالله!

فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقد هذا الباب ليبين لنا أن طلب البركة من غير الله عَزَّ وَجَلَّ شركٌ، فلا تُطلب البركة إلا من الله.

وبالمناسبة أحب أن أنوِّه علىٰ أمرٍ يجري علىٰ ألسنة كثيرة من الناس، وهو قول بعضهم: يا فلان، تبارك علينا. فهذا خطأٌ ولا يجوز؛ لأن الذي يتبارك هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،

ومعنىٰ **(تبارك الله) يعني**: كَمُلَت بركته وعَظُمَت، فلا يجوز أن تُطلب البركة إلا من الله عَزَّ وَجَلَّ، حتىٰ لو كان قصد الإنسان حسنًا فإن كون النية حسنة لا تدل علىٰ أن اللفظ يكون صحيحًا.

فلابد أن يكون القصد حسنًا، وأيضًا لابد أن يكون اللفظ موافقًا للشرع.

ثم ذكر المصنف رحمة الله تعالىٰ قول الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة النجم: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ وتكملتها: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾، وهذه أسماء لأصنام كان يعبدها أهل الجاهلية، فربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يخبر عن هذه الآلهة التي كان يعبدها أهل

الجاهلية من دون الله عَزَّوَجَلَّ لأنهم يعتقدون أنها تنفع وتضر وتجلب لهم البركة، وهذا لا شك أنه شركٌ بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فكل من صنع مع أيِّ شيءٍ من صنمٍ أو قبرٍ كما كان يفعله أهل الجاهلية؛ فإنه يكون مشركًا واقعًا في الكفر، والعياذ بالله !

واللَّات: بالتشديد هو رجلٌ صالح كان يلتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا علىٰ قبره وغلوا فيه حتىٰ عبدوه.

وفي القراءة الأخرىٰ علىٰ التخفيف: **(أفرأيتم اللات)**، وهي صخرة بالطائف عليها بيتٌ وأستارٌ، وكانوا يعظمونها، والذين كانوا يعظمونها هم ثقيف، فالنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر بهدمها وحرقها بالنار، وذلك حينما أرسل المغيرة بن شعبة.

وأما العُزَّي: فهي شجرة في وادي نخلة، وهذه تقع بين مكة والطائف، وأيضًا أرسل إليها النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقطعها و أزالها.

وأما مناة: فهي صخرة بين مكة والمدينة، كانت للأوس والخزرج، وكانوا يريقون عندها الدماء وذلك لطلب البركة والقربي من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فإذن: الآية تدل علىٰ أن التبرُّك بالشجر والحجر والقبور من جنس عبادة المشركين لهذه الأصنام، فمن يفعل ذلك فقد شابههم في فعلهم، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم.

ثـم ذكـر المصـنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعـالىٰ تحـت هـذا البـاب حـديث (**أَبِـي وَاقِـدٍ اللَّيْثِيِّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ **قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِلَىٰ حُنَيْنٍ**)، **أي**: إلىٰ غزوة حنين، وهو موضعٌ بين مكة والطائف.

قال: (**وَنَحْنُ حُدَثَاءِ عَهْدٍ بِكُفْرٍ**) **أي**: أن عهدهم قريبٌ بالكفر وخروجهم منه ودخولهم إلىٰ الإسلام، وهذا يدلُّنا علىٰ أن الإسلام والإيمان لم يتمكن من قلوبهم، فما زالت عندهم بقايا من الجاهلية.

ثـم قـال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ**) والسـدرة هـي معروفـة، (**يَعْكُفُوْنَ عِنْدَهَا**) **أي**: للعبادة ويرجون منها البركة.

قال: (**وَيَنُوْطُوْنَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم**) **أي**: أنهم يأخذون هذه الأسلحة التي يقاتلون بها فيعقلونها علىٰ هذه السدرة، وذلك رجاء بركتها وتعظيمًا لهذه السدرة.

(**يُقَالُ لَهَا: ذَاتَ أَنْوَاطٍ**)، والأنواط هي التي يُعَلَّق عليها.

قال: (**فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ**) **أي**: غير سدرة المشركين، (**فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ**)، **يعني**: نريد أن نفعل مثل فعلهم حتىٰ تحصل البركة بأسلحتنا فتكون أسلحتنا قوية وصلبة، ويحدث لنا النصر والتمكين.

فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقبل ولا يرضىٰ بأن يُشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمامه فيسكت، فقال عليه الصلاة الكلام معظمًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «ٱللَّهُ أَكْبَرُ»، وهكذا كان

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأىٰ أمرًا عظيمًا فيه معصية لله عَزَّوَجَلَّ ومخالفة لأمر الله كبَّر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **قال**: ٱللَّهُ أَكۡبَرُ**!** أو **قال**: سبحان الله**!** وهذا كله من باب تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال: «إِنَّهَا السُّنَنُ» **يعني**: هذه هي الطرق، والمقصود بها: أنهم يقلِّدون من تقدمهم من أهل الكفر وأهل الشرك.

ثم قال: «**قُلْتُم -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ-**» أقسم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرائِيْلَ لِمُوْسَىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾» [الأعراف: ١٣٨].

فهنا دل هذا الحديث علىٰ أنه حينما طلبوا ذلك بأن يجعلوا السدرة يتبركون بها ويطلبون منها البركة فإن قولهم شابه قول اليهود حينما طلبوا من موسىٰ أن يجعل لهم إلهًا، والإله هو المعبود، وهو الذي يُرْغَب إليه ويُلتجأ إليه ويُطلب منه، فهم حينما طلبوا هذه السدرة فهم أرادوا أن يرغبوا إليها ويلتجؤوا إليها ويعظمونها ويعبدونها، فشابه قولهم قول اليهود وإن اختلف اللفظ، فإن المضمون واحد.

ثم قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ**» أو سُنَن، يجوز فيه الوجهان، «**مَنْ كَانَ قَبْلِكُمْ**» **أي**: لتتبعن طرقهم ومناهجهم وسبيلهم الذي سلكوه، ولذلك أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر **قال**: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ **قال**: «فمن؟!».

فإذن: هذا الحديث العظيم -حديث أبي واقد الليثي- نستفيد منه: أن طلب البركة من غير الله شركٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فإذن: البركة لا تُطلب إلا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

واعلم أن من طلب من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يكون لهم سدرة كما للمشركين سدرة إنما طلبوا هذا ظنًا منهم أن هذا الأمر محبوبٌ عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فقصدوا التقرب إليه، وإلا فهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أجلُّ من ذلك، وأجلُّ من أن يتعمدوا ويقصدوا مخالفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعدم علمهم بأن مثل هذا لا يجوز.

وهل يجوز أن يُتبرك بأحدٍ من الخلق؟

نقول: نعم يجوز التبرك بأحدٍ من الخلق وهو النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط، فلا يجوز أن يتبرك بأحد من الخلق إلا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك كان الصحابة يتبركون بفضل وضوئه وأيضًا بشعره إذا حلقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأيضًا إذا تنخَّم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبعرقه والصلاة والسلام، لأنه مباركٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأما ما عداهم من الناس فإنه لا يجوز أن يُتبرك به كائنًا من كان.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ

وقـــول الله تعـــالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

وَعنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ». قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ. قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ. فَقَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ. قَالَ: فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوْا للآخَرِ: قَرِّبْ. قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُوْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ: فَضَرَبُوا عُنُقَهُ قَالَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح -وفقه الله-:

عقد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب ليبين حكم الذبح لغير الله، وأنه من الشركُ، وذلك أن الذبح عبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يجوز صرفها لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فالذبح من العبادات المحضة التي لا يتقرب بها إلا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وأحب أن أنبّه بأن الذبح لغير الله ليس فيه شركٌ أكبر وشركٌ أصغر، بل الذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ كله شركٌ أكبر، ولذلك كان أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن يتقرب بنسكه إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ **أي**: قل يا محمد

﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ وهي الصلاة التي يتقرب بها إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بمعنىٰ: أخلصت صلاتي، ﴿وَنُسُكِي﴾ هو ذبحي.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ **أي**: وما أُوتي في هذه الحياة وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح وما يقرِّبني إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا شريك له.

﴿لِلَّهِ﴾ اللام هنا هي لام الاستحقاق، **أي**: أن ذلك مستحَقٌّ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وبعض أهل العلم يقول: أن اللام هنا لام الاستحقاق، وهي أيضًا لام الملك. لام الاستحقاق إذا كانت متعلقة بما يُتقرَّب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من الصلاة وذبح النسك ومن الصيام والنذر وما شابه ذلك، وأما المحيا والممات فهي

ملكٌ لله، فتكون هذه لام الملك فيكون معنىٰ الآية: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ مستحقةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، و﴿وَمَحۡيَايَ﴾ أي: حياتي في هذه الحياة الدنيا هي ملكٌ لله عَزَّوَجَلَّ يتصرف بها الله عَزَّوَجَلَّ كيف شاء سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ثم قال: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ **أي:** لا نِد له ولا مثيل ولا أحد يشاركه في هذه العبادة.

ثم قال: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ **أي:** أُمرت بأن تكون هذه الصلاة وهذا النسك وجميع عباداتي كلها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال: وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ **أي:** أخلص لله عَزَّوَجَلَّ واجعل صلاتك وذبحك كله لله عَزَّوَجَلَّ، مخالفًا في ذلك المشركين الذين يتقربون إلىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ.

فدلَّت هاتان الآيتان علىٰ أن الذبح أولًا نوعٌ من أنواع العبادة، لأن الله أمر به **فقال:** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، فإذا كان الذبح عبادة كما أن الصلاة عبادة؛ فإنه يجب إخلاص الذبح لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا يُذبح لأحدٍ يُتقرَّب إليه بذلك الذبح إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **عـنْ عَلِيٍّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ المَنَارَ»**.

اللعن من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هو الطرد والإبعاد عن رحمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: وأما إذا كان اللعن من الناس فالمراد به السبَّ والدعاء.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما لعن من ذبح لغير الله ومن لعن والديه ومن آوىٰ محدثًا ومن غير منار الأرض وذلك لعظم هذا الذنوب كلها.

فالذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ مَن فعَله لا شك أنه مستوجبٌ للعن، لأنه وقع في الشرك، والعياذ بالله! ومن لعن والديه بأن سبَّهما فلا شك أنه واقعٌ في ذنبٍ عظيمٍ، لأنه من أعظم العقوق حينما يلعن الرجل والديه.

ويكون لعن الرجل لوالديه بأحد أمرين:

- بسبِّهما ولعنِهما مباشرة.
- وإما أن يلعن الرجل أبا الرجل، أو يسب الرجل أبا الرجل فيسب الرجل أباه، ويسب الرجل أمَّ الرجل فيسب الرجل أم الرجل، فيكون مسببًا في لعن والديه و سبهما والاعتداء عليهما.

ثم قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا»، المحدث هو من أحدث شيئًا يجب فيه حقٌ لله، وهو ارتكاب أمرٍ يوجب عليه حداً من حدود الشرع، حدود الدين، فيقوم هذا الرجل فينصر ذلك المجرم ويضمه إلىٰ حماه ويمنعه ويكون سببًا في منع إقامة الحد عليه، فهذا لا شك أنه مستحقٌ للعن؛ لأنه منع إقامة حد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا يشمل أن يكون المحدث هو الذي يوقع في دين الله عَزَّوَجَلَّ من البدع والضلالات المخالفة لشرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيقوم بنصرته وتأييده وضمَّه وتمكينه حتىٰ ينشر تلك البدع بين الناس، والعياذ بالله!

ثم قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»، والتغيير هو التبديل، إما أن يبدِّل أو يزيل، ومنارات الأرض هي علاماتها، العلامات التي تُجعل علىٰ الأرض من الحدود والمعالم التي تبين بأن هذه أرض فلان، أو أن تكون تلك العلامات هي التي تدل الناس علىٰ الطريق، فتبين له الطريق خاصة للمسافرين الذين يسافرون، فإنهم يستفيدون من تلك العلامات، فالذي يأتي ويغيِّر تلك العلامات وتلك الحدود حتىٰ تضيع المعالم فيختلط حقُّ الناس بعضهم ببعض، أو أن يضل المسافر في الطريق فلا يستطيع أن يهتدي إلىٰ وجهته؛ فهذا لا شك أنه قد ارتكب إثمًا عظيمًا، لأنه سيؤدي إلىٰ ضياع حقوق الناس، وأيضًا يؤدي إلىٰ إضاعة المسافرين عن وصولهم إلىٰ الطريق.

فهذه من الأمور التي لعن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من يفعلها، وهذا يدل علىٰ أن هذه الأفعال كلها من الكبائر، والعياذ بالله!

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارُ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ». قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟)**، وهذا استفهامٌ منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتعجُّب، فكأنهم تقالُّوا ذلك وعجبوا منه، كيف في ذبابٍ حقير يدخل أحدهم النار والآخر يدخل الجنة؟ فأخبرهم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: «مَرَّ رَجُلانِ عَلَىٰ قَوْمٍ» يعني**: هذا فيما مضىٰ من الأمم السابقة.

«**عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ**»، والصنم - كما تقدم- هو الذي له صورة، فكل ما له صورة ويُعبد فإنه صنمٌ.

قال: «**لا يَجُوزُه أَحَدٌ**» **أي**: لا يتجاوزه أحد ولا يتعداه أحدٌ «**حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا**»، و (شيئًا) نكرة هنا، أي شيء.

«**فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ**» **يعني**: لن تمر حتىٰ تقرب. «**قَالَ: لَيْسَ عِندِي شَيْءٌ**» هذا الرجل لم ينكر طلبهم منه، وإنما بحث فقط **فقال**: ليس عندي شيءٌ أقرب. «**فَقَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ. قَالَ: فَدَخَلَ النَّارَ**» لأنه لم ينكر صنيعهم ولم ينكر طلبهم منه بأن يقرب ويذبح لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فدخل النار، والعياذ بالله!

«**وَقَالُوا لِلآخَرَ: قَرِّبْ. قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّب لِأَحَدٍ شَيْئًا**» **يعني**: أي شيء، «**مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لأَحَدٍ**» **أي**: أي أحد كائنًا من كان، سواء كان ذلك الأحد ملكًا مقرَّبًا أو نبيًا مرسلاً، فإنه لا يجوز أن يُتقرب إلىٰ أحدٍ بالذبح أو بأيِّ عبادة من العبادات إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، «**فَضَرَبُوا عُنُقَهُ قَالَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ**».

فقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ**» **أي**: بسبب الذباب.

فهذا الأمر الذي فعلوه وطلبوه من ذلك الرجل الذي قرب ذبابًا فدخل النار فيه بيان عظم الشرك ولو كان في شيءٍ قليل فإنه يوجب النار، ولذلك لا يُستهان به، وقد ذكروا عن ابنة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها لما

خرجت من الدرعية فارّة هي ومن معها بدينهم ممن أتاهم من مصر من العثمانيين وأعوانهم، فلما مروا علىٰ قبرٍ قالوا لهم: قرِّبوا ولو ترابًا، قالت: ولا تراب. يعني حتىٰ التراب لا يُقرَّب إليه، لأن التقرُّب لا يكون إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذا يدل علىٰ فضيلة التوحيد وعِظَم شأنه، فمن تمكن التوحيد من قلبه عظم عنده أمر الله عَزَّوَجَلَّ فلا يستهان بالشرك لا صغيره ولا كبيره، ولا يستهان بما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ من الأمور مهما كانت.

۞ **وقد ذكر أهل العلم: أن الشخص إذا أُكْرِه علىٰ الكفر فله ثلاث حالات:**

فأهل العلم ذكروا أن الشخص إذا أُكره علىٰ الكفر فله ثلاثة أقسام:

۞ **الأولىٰ**: أن يوافق ظاهرًا وباطنًا، وهذا مثل ذلك الرجل الذي قالوا له: «**قَرِّب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا**»، فهذا وافقهم في الظاهر والباطن، والعياذ بالله!

۞ **الثانية**: أن يوافقهم في الظاهر دون الباطن بأن يتأول، كما فعل عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما طلب منه أبو جهل أن يسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متأولًا، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإن عادوا فَعُد**»، وهو كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

۞ **الثالثة**: هو الذي يصبر ولا يوافقهم لا في الظاهر ولا في الباطن، وهذا لا شك أنه منزلة عظيمة، ولكن أيُّهما أفضل: هل هو الثاني الذي وافقهم في الظاهر

وخالفهم في الباطن أم الثالث؟ لأهل العلم قولان في هذه المسألة، منهم من يقول أن الثاني الذي وافقهم في الظاهر ولم يوافقهم في الباطن أفضل؛ وذلك من أجل أن يكون بسبب بقائه كثرة للعمل ونصرة للإسلام ونشره وغير ذلك.

ومنهم من قال إن الثالث الذي لم يوافقهم لا في الظاهر ولا في الباطن، وذلك أنه قُتِل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ فكُتِبت له الشهادة.

فإذن: هذا الحديث يدلنا علىٰ أن من ذبح لغير الله.

واعلم أن الذبح -وهو إراقة الدم- **ينقسم إلىٰ أقسام**: -

❁ **القسم الأول**: ذبح العبادة، وهو كذبح الأضحية والعقيقة وما شابه ذلك. وهذا لا يكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ.

❁ **والقسم الثاني**: ذبحٌ يكون شركًا أكبر وهو الذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وهو نوعان:

١- أن يذبح باسم الله لغير الله.

٢- أن يذبح لله بغير اسم الله.

❁ **والقسم الثالث**: ذبحٌ يكون بدعة علىٰ وجه التقرب لله ولكن يكون بدعة إما في الزمان أو في المكان أو في الجنس.

- أما في الجنس كالذي يريد أن يضحِّي بدجاجة.
- أما في الزمان كالذي يريد أن يضحِّي في غير عيد الأضحىٰ.

- وأما في المكان فهو كالذي يريد أن يذبح الهدي في غير مكة .

❁ **والقسم الرابع**: الذبح المباح، وهو الذي يكون للأكل أو للبيت أو لإكرام الضيف. فإن هذه هي أقسام الذبح كما ذكرها أهل العلم.

❁ ❁ ❁

بَابُ لا يُذبَحُ للّهِ فِي مَكَانٍ يُذبَحُ فِيُهِ لغَيرِ اللّهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨].

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيْهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِّيَة يُعْبَدُ؟». قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيْهَا عِيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ رَسُوْلُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:** «أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيْمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبو دَاوُد، وَإِسْنَادُهُ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا.

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

فهذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ حتىٰ يسد الوسائل التي توصل إلىٰ الشرك، فإن الذبح في المكان الذي يُذبح فيه لغير الله أو فيه عيدٌ من أعياد الجاهلية فإنه وسيلة إلىٰ أن يُعظَّم ذلك الذي يُعبد من دون الله عز وجل، أو سببٌ لإحياء ذلك العيد الذي كان يفعله أهل الجاهلية.

ولـذلك فـإن الـذبح لله بمكـانٍ يُـذبح فيـه لغيـر الله محـرمٌ، لأن فيـه مشـابهةً للمشركين، أي: أن العلة للتحريم أن فيه مشابهة للمشركين.

ثم ذكر المصنف رحمة الله تعالىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.

هذه الآية نزلت في أُناسٍ من المشركين، في طائفة من المشركين بنوا مسجداً يزعمون أنهم يريدون من ورائه إعانة الضعفاء والمساكين، وذلك لِيَقِيهم من البرد والمطر والحر، وهم في الحقيقة إنما بَنَوه ليأووا الكفار والمنافقين حتىٰ يتآمروا علىٰ دين الله عز وجل، وقد سألوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي في هذا المسجد، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سأفعلُ إن رَجَعتُ**» حينما يرجع من غزوة قد خرج فيها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو راجعٌ، أنزل الله عز وجل عليه قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ بمعنىٰ: لا تُصَلِّ فيه، فقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر جماعةً من الصحابة، فهدموا هذا المسجد.

والمراد حينما قال الله عز وجل: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قيل إن المراد به مسجد قباء، وقيل إن المراد به مسجد رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والأمر يشمل المسجدين.

المهم معنا هنا مناسبة الآية للباب: أن المواضع التي قد عُدَّت للذبح لغير الله عز وجل يجب اجتناب الذبح فيها لله عز وجل، حتىٰ لا يكون في ذلك مشابهة

للمشركين، كما أن هذا المسجد لما أُعِدَّ لمعصية الله عز وجل صار محل غضبٍ لله تبارك وتعالىٰ، فمن أجل ذلك لا تجوز الصلاة فيه.

ثم قال المصنف رحمه الله: (وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ)، وبُوانة موضعٌ بين مكة والمدينة، فهذا الرجل سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حكم نذره، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل الصحابة فقال: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟»، والوَثن: هو الشيء الذي يُعبد من دون الله عز وجل. **والفرق بينه وبين الصنم**: أن الصنم هو الذي يكون علىٰ شكل صورة، فهذا يسمىٰ صنمًا. وأما القبر مثلاً فإنه يُسمَّىٰ بالوثن.

(**قَالُوا لَا**): يعني: لا يوجد فيها وَثَنٌ من أوثان الجاهلية يُعبد.

(قَالَ: «**فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**»)، والعيد هو اسمٌ لما يعود من الاجتماع علىٰ وجهٍ معتاد ومتكرر. والمراد هنا: «**فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**» أي: من أعياد الجاهلية، من اجتماعاتهم التي كانوا يجتمعونها.

(**قَالُوا: لَا. فقال رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**»)، فأمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوفاء نذره، ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**».

والنذر إما أن يكون نذر طاعة، وإما أن يكون نذر معصية، فإن كان نذر طاعة -كما سيأتي معنا- فيجب الوفاء به، وأما إن كان نذر معصية؛ فإنه لا يجوز الوفاء به، وسيأتي مزيد تفصيل عندما نتكلم علىٰ باب النذر.

ثم قال: «**وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابنُ آدَمَ**»، أي: لا وفاء لمن نذر في شيء لا يملكه، كمن ينذر أن يعتق عبد فلان، أو نذر أن يتصدق بشاة فلان، أو أن يذبح شاة فلان، وهو لا يملكها، فإنه لا يجوز له أن ينذر ذلك، وليس له أن يوفي بذلك النذر؛ لأنه لا يملكه.

❁ ❁ ❁

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾[الإِنْسَان:٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [البَقَرَة:٢٧٠].

وَفِيْ الصَّحِيْحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهِ فَلَا يَعْصِهِ».

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ ذكر هذا الباب **بقوله: (بَابُ مِنَ الشِّرْكِ)**، و(مِنْ) هنا بيانية، **أي**: أنه من الشرك، فهي مبيِّنة أن النذر لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شركٌ.

ولماذا النذر لغير الله شرك؟ ذلك لأن النذر في أصله عبادة، والعبادة صرْفها لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شركٌ ينافي التوحيد في أصله.

والنذر قد ذكر أهل العلم في تعريفه: هو أن يوجب العبد المكلَّف علىٰ نفسه عبادة مما يُتقرَّب بها إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. كأن يقول: لله علي أن أصلي كذا وكذا من الركعات، أو لله علي أن أتصدق بكذا وكذا من الدراهم، أو ما شابه ذلك من العبادات التي يُتقرَّب بها إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف ما يدل علىٰ أن النذر عبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ ، وهذه الآية جاءت في مدح الموفين بالنذر والثناء عليهم، فدل ذلك علىٰ أن النذر عبادة لله عَزَّوَجَلَّ وقربة له سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فإذا كان النذر الذي يجب عليهم أن يوفوا به عبادة لله فمن نذره لغير الله متقربًا به إليه فقد وقع في الشرك، والعياذ بالله!

ثم ذكر المصنف أيضًا قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البَقَرَة:٢٧٠]، وهذه الآية أيضًا احتج بها المصنف حتىٰ يبين أن النذر طاعةٌ وعبادة يُتقرَّب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ كما أن النفقة والصدقة طاعة يُتقرَّب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

فالنفقات والنذور طاعاتٌ يُتقرَّب بها إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ في آخر هذه الآية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ يعلمه فيجازيكم عليه بالأجر والثواب والحسنات.

فإذن: هذه الآية تدل علىٰ أن النذر مما يُتقرَّب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله يعلمه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهي عبادةٌ له، فإذا كانت عبادة له سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فلا يجوز صرْفها لغير الله، فمن صرفها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر، والعياذ بالله!

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَفِيْ الصَّحِيْحِ عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا)، والمقصود بالصحيح هو البخاري.

قال: (**وَفِيْ الصَّحِيْحِ عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»**، فهنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر أن من أوجب علىٰ نفسه النذر أن يوفي بذلك النذر، لماذا؟ **قال**: لأنه طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، طاعة لله واجبة، لأنه قد أوجب علىٰ نفسه حينما نذر لله أوجب علىٰ نفسه تلك الطاعة، فإذا كان النذر طاعة لله - **أي**: قربة لله تعالىٰ كالصلاة والصيام والصدقة - فإنه يجب عليه أن يوفي ذلك النذر، وأما إذا كان النذر معصية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه لا يجوز الوفاء به؛ لأن المعصية لا يُتقرَّب بها إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فما الذي يفعله من نَذَر نذْر معصية؟ كأن يسرق، كأن يشرب الخمر، أو ما شابه ذلك من أنواع المعاصي؟ فإن ذلك يكفِّر كفارة يمين، كما جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فليكفِّر كفارة اليمين**»، وكفارة اليمين هي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة، فإن لم يستطع أن يفعل شيئًا من هذه الثلاث فإنه يصوم ثلاثة أيام.

وقد ذكر أهل العلم أن النذر الذي يقع من العبد ينقسم إلىٰ قسمين: نَذْرٌ مطلق، وذلك بأن يلزم العبد نفسه بعبادة من غير أن يشترط شيئًا، كأن يقول: لله علي صيام ثلاثة أيام، أو لله علي أن أذبح جزورًا، أو ما شابه ذلك، فهذا النذر يُسمىٰ بالنذر المطلق، فيجب عليه الوفاء به، وهذا لا شيء فيه.

وهناك نوعٌ آخر وهو ما يسمىٰ بالنذر المقيَّد أو بالنذر المشروط، وهو أن يشترط العبد علىٰ ربِّه فيقول: لله علي أن أصوم ثلاثة أيامٍ إذا ردَّ الله غائبي، أو عافىٰ الله مريضي، فهذا النذر يُسمَّىٰ بالنذر المشروط، وهذا هو الذي عناه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما تكلم عن النذر **قال:** «**إنه لا يأتي بخير**»، وقال أيضًا: «**إنه لا يردُّ شيئًا**»، **يعني**: لا يرد شيئًا من قضاء الله وقدره، **قال:** «**وإنما يُستخرج به من البخيل**»، وذلك أن البخيل لا يبذل إلا أن يأخذ المقابل.

وهذا النوع من النذر قد كرهه أهل العلم، لماذا؟ قالوا: لأنه علىٰ سبيل المعاوضة بينه وبين الله، **يعني**: إن أعطيتني يا رب ما أريد فإني سأتقرب إليك.

وقيل أيضًا: لاعتقاده أنه يردُّ القدر، وهو لا يرد من قضاء الله وقدره شيئًا.

❁ ❁ ❁

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ

وَقَـــوْلُ اللهِ تَعَـــالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجِنّ: ٦].

وَعَـنْ خَوْلَـةَ بِنْـتِ حَكِـيْمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ **قَالَـتْ: سَـمِعْتُ رَسُـوْلَ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُوْلُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فقَالَ: أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.**

۞ ۞ ۞

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا معنا هنا في كتاب التوحيد ليبين لنا أن الاستعاذة بالله هي نوعٌ من أنواع العبادة، وصرْفها لغير الله شركٌ ينافي أصل التوحيد.

والاستعاذة كما ذكر أهل العلم: هي الهرب من شيءٍ تخافه إلىٰ من يعصمك من ذلك الشيء الذي تخافه.

أو قالوا: هي الالتجاء والاعتصام.

وبالمناسبة: أهل العلم يذكرون العياذ وهي الاستعاذة ويذكرون اللياذ، والفرق بينهما: أن الاستعاذة في دفع الشر، واللياذ لطلب الخير.

فالاستعاذة فيها طلبٌ، والطلب نوعٌ من أنواع الدعاء، فإذا كانت هي نوعٌ من أنواع الدعاء فإذن لا يجوز أن يُصرف ذلك الدعاء إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قوله تعالىٰ**: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ٦﴾ [الجن: ٦]، هذه الآية نزلت في أهل الجاهلية، وذلك أنهم كانوا إذا نزل أحدهم بوادٍ من الوديان خاف علىٰ نفسه فإنه يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. ويريد هنا بسيد الوادي أي أنه كبير الجن، فيستعيذ بكبير الجن من سفهائه، **أي**: من الناس من صغارهم ممن فيهم الطيش، فهو يعوذ بهم حتىٰ لا يصيبه الأذىٰ من سفهاء قوم ذلك الكبير.

ثم ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **أن حال هؤلاء حينما يقع منهم هذا الأمر أن الجن يزيدونهم رهقًا، ومعنىٰ رهقًا**: أنهم يزيدونهم اضطرابًا، ويزيدونهم خوفًا وذعرًا، لأنهم يستغلون مثل هذه الأمور، فهم حينما لجأوا إلىٰ غير الله واستعاذوا بغير الله؛ سلَّط الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من استعاذوا به دونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالله عَزَّوَجَلَّ يحذِّرنا ويبين لنا بأن الاستعاذة لا تجوز إلا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن من استعاذ بغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنه يقع في الشرك كما كان يفعل أهل الجاهلية في السابق.

ثم ذكر المصنف - رحمنا الله وإياه - (**عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيْم** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا؛ **قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **يَقُوْلُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فقَالَ: أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ**).

هنا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يبين لنا أن من ينزل أيَّ منزل، سواء كان ذلك المنزل في الحضر أو في السفر، منزل مأهول أو غير مأهول؛ فإن عليه أن يقول هذا الدعاء، لأنه إذا قال هذا الدعاء فإن الله يحفظه فلا يضره شيءٌ.

قال: (**أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**)، والمقصود هنا (**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**) **أي**: من المخلوقات التي فيها شر.

قال: (**لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ**)، و(شيءٌ) هنا نكرة، فتفيد كل شيء يوصل إليه الضرر، فهي عامة في كل شيء، وهي تنفعنا فيما نحن فيه في هذا الوقت الذي انتشر فيه هذا الوباء وباء كورونا، فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أخبرنا أيضًا أنه من يقول هذا الدعاء ثلاث مرات في المساء فإنه لا يضره شيءٌ حتىٰ يصبح.

وهنا قوله عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: (**أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ**) المقصود بكلمات الله قيل: هي القرآن الكريم، فالقرآن كلام الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ تكلم به وأوحىٰ به إلىٰ محمدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

وهو صفة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يتكلم كيف يشاء متىٰ ما شاء سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وأن كلماته جَلَّوَعَلَا لا يحدُّها شيءٌ، كما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف:١٠٩].

والمقصود بالتامات: هي التي لا نقص فيها ولا عيب، فهي تامة كاملة كما أن ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يلحقه عيبٌ ولا نقص، لما له من الكمال التام المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو منزَّهٌ عن كل عيب ونقص.

فإذن: هذه الكلمات تكون شافية كافية ما دام أنها هي كلمات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والاستعاذة بصفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ كالاستعاذة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فدل ذلك علىٰ أنه يجوز الاستعاذة بأيِّ صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ كما يُستعاذ بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك من حلف بأيِّ صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وحنث فإنه يجب عليه أن يكفِّر عن يمينه.

فإذن: هذا الحديث يدل علىٰ أن الاستعاذة عبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإذا صُرِفت لغير الله عَزَّوَجَلَّ فإنها تكون شركًا.

۞ **ثم أحب أن أنبه هنا: هل يجوز الاستعاذة بغير الله عَزَّوَجَلَّ؟**

بعض أهل العلم يقول: نعم، أنه يجوز الاستعاذة بغير الله ولكن بشرطين:

۞ **الشرط الأول**: أن يكون هذا المخلوق الذي تستعيذ به قادرًا علىٰ إعاذتك ودفع ذلك الخوف والرَّهَب الذي يصيبك.

۞ **والأمر الثاني**: أن تكون تلك الاستعاذة سبب فقط، وأما القلب فهو معتمدٌ علىٰ الله مائلٌ إلىٰ الله بكله، ليس في قلبه شيءٌ من الميول إلىٰ ذلك المخلوق.

❖ ❖ ❖

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيْثَ بِغَيْرِ اللّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يُونُس:١٠٦-١٠٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العَنْكَبُوْت:١٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأَحْقَاف:٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النَّمْل:٦٢].

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مُنَافِقٌ يُؤْذِي المُؤْمِنِيْنَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيْثُ بِرَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»**.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا لبيان أن الاستغاثة عبادة، وأنها نوعٌ من أنواع الدعاء، فما دام أنها نوعٌ من أنواع الدعاء فإنه لا يجوز صرفها لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فمن صرفها لغير الله عَزَّوَجَلَّ فقد وقع في الشرك الذي ينافي أصل التوحيد.

فهنا قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مِنَ الشِّرْكِ**) **يعني**: الشرك الأكبر.

(**أَنَّ يَسْتَغِيْثَ**) والاستغاثة طلب، والطلب - كما تقدم معنا - هو نوعٌ وفردٌ من أفراد الدعاء، والدعاء عبادة، كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الدعاء هو العبادة**».

والاستغاثة: هي طلب الغوث، وهي إزالة الشدة.

وحينما قال المصنف هنا: (**أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**) فهنا ذكر الاستغاثة وهي نوعٌ من أنواع الدعاء، ثم ذكر بعدها **قال**: (**أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**) فذكر (أو) وهي للعطف وذلك أن الدعاء أعم، فالاستغاثة إنما تكون عند حدوث المكروب، وأما الدعاء فهو أعمُّ من ذلك، يشمل الدعاء علىٰ أيِّ حال في أيِّ صفة مشروعة، وأيضًا يشمل الاستغاثة التي تكون عند وقوع الكربة وعند الشدة.

وهنا بالمناسبة أحب أن أنبِّه كما مر معنا أن أهل العلم ذكروا أن الدعاء ينقسم إلىٰ قسمين: دعاء عبادة ودعاء مسألة.

نبدأ بدعاء المسألة، فدعاء المسألة هو طلب العبد من الله ما ينفعه، إما أن يجلب له نفعًا من طلب الرزق أو طلب الأولاد، أو طلب الزوجة، أو ما شابه ذلك مما ينفعه، أو طلب أيِّ شيءٍ في الآخرة من دخول الجنة والنجاة من النار، فهذا يُسمَّىٰ دعاء مسألة، فأنت تسأل الله شيئًا معينًا.

والثاني الذي هو دعاء العبادة، وهو التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالأعمال الصالحة، وهي العبادة التي مر تعريفها فقلنا أن العبادة هو ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ويـدل علـىٰ ذلـك **قـول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن:١٨] **أي**: لا تعبدوا مع الله أحدًا.

وأيضًا يوضحه قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدعاء هو العبادة**».

فدعاء المسألة متضمنٌ للعبادة والمسألة، وأيضًا دعاء المسألة متضمنٌ لدعاء العبادة والمسألة، وأيضًا دعاء العبادة متضمنٌ للعبادة وأيضًا للمسألة، فالذي يصلي وهو دعاء العبادة فإنه ما الذي يرجوه حينما يصلي؟ يرجو من الله أن يقبل عمله ذلك، وأيضًا يرجو منه الثواب والأجر، فكأنه يسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حينما يتقرب إليه بالعبادة والطاعة.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس:١٠٦].

هذا الخطاب متوجهٌ إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو يدلُّ علىٰ أن الأمر عظيم، وفيه تخويفٌ لمن هو دون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عصمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أن يدعو غير الله عَزَّ وَجَلَّ قبل الرسالة وقبل النبوة، فبعد النبوة من باب أولىٰ، فهذه الآية حينما نسمعها تبعث في قلوبنا الخوف من الوقوع في الشرك، وتوجب لنا الحذر منه أشد الحذر.

فهنا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيه محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ وهذه ناهية، و(تدع) هي تشمل أنواع الدعاء، لماذا تشمل أنواع الدعاء؟ ما هي أنواع الدعاء؟ تقدمت: دعاء العبادة ودعاء المسألة. قال أهل العلم: لأن (تدع) هنا نكرة في سياق

النهي فهي تفيد العموم، وبالمناسبة: إذا جاءت النكرة في سياق الشرط أو في سياق النفي أو في سياق النهي فإنها تفيد العموم.

قال: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ وذلك لعجزهم وضعفهم، فهم لم يستطيعوا أن ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعون أو ينتفع منهم غيرهم؟

ثم قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن فَعَلۡتَ﴾ وهذه شرطية، **أي:** فإن وقع منك ذلك ﴿فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهذا جواب الشرط، وهنا ذِكْر الظالمين وهو المراد به الذين وقعوا في الشرك الأكبر، ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣].

فدلت الآية دلالة واضحة علىٰ أنه لا يجلب النفع ولا يدفع الضر إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمن طلب ذلك من غير الله فقد وقع في الشرك والكفر، والعياذ بالله!

فهذه الآية تدل دلالة واضحة علىٰ أنه لا يُستغاث إلا بالله ولا يُدعىٰ إلا الله، لأنه هو الذي يملك جلب النفع وهو الذي يدفع الضر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف – رحمنا الله وإياه – **قوله تعالىٰ:** ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ [يونس:١٠٧]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هنا يخبر أنه هو المتفرد جَلَّ وَعَلَا بالعطاء والمنع والضر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فليس هنالك أحدٌ سواه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يملك ذلك، ولذلك قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ﴾ و(إنْ) شرطية. ﴿بِضُرّٖ﴾، **قلنا:** والضر هنا نكرة لأنها في سياق الشرط، فتفيد عموم الضر، سواءً ذلك الضر في الدنيا أو في الآخرة، في الدنيا الضر في الدين أو في المال أو في الأولاد أو في البدن أو غير ذلك، وفي الآخرة يشمل ذلك الأمر العظيم وهو تجنب العذاب، نسأل الله أن يصرف عني وعنكم عذاب جهنم.

ثم قال: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ هنا الحقيقة، هذه هي الحقيقية الظاهرة البيِّنة التي تستقر في قلوب الموحدين، فلا يكشف الضر إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

ثم بيَّن سبحانه: ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ **يعني:** إذا أراد الله بك الخير وأراد أن يعطيك فلن يستطيع أحدٌ أن يمنع عنك ذلك الخير الذي أراده الله عَزَّوَجَلَّ لك، ولذلك قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كما في حديث ابن عباس: «**واعلم لو أن الأمة اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لن ينفعوك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ لم يكتبه الله عليك لم يضروك**».

ثم ذكر المصنف – رحمنا الله تعالىٰ وإياه – **قوله تعالىٰ:** ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العَنكبُوت:١٧].

فهنا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **قال:** ﴿فَٱبۡتَغُواْ﴾ **يعني:** اطلبوا، اطلبوا الرزق من الله، وذكر الله عَزَّوَجَلَّ الرزق ذلك أن الرزق هو أهم الأسباب التي تقوم بها حياة الإنسان، وعامة ما يقع من المشركين عند الأوثان وعند القبور وعند الأصنام إنما هو من أجل طلب الرزق، إما طلب مالٍ وإما طلب ولدٍ أو ما شابه ذلك.

ثم قال: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ **أي:** أن الرزق عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا عند غيره، فهو المالك له.

ثم قال: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾ وهو يشمل جميع أنواع العبادة، ويشمل أيضًا دعاء العبادة ودعاء المسألة، فيدخل معنا هنا الاستغاثة، ويدخل معنا الدعاء بعمومه وشموله.

ثم قال: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فهو الذي إليه ترجعون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعودون إليه فيجازي كل إنسانٍ بعمله.

فإذن: ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يأمرنا بطلب الرزق من عنده وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويبين لنا أنه هو القادر علىٰ ذلك، فمن طلبه من غير الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يكون قد وقع في الشرك، والعياذ بالله!

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ قول الله تعالىٰ:** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف:٥-٦].

فالله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية الكريمة نفىٰ أن يكون أحدٌ أشد ضلالًا، فلا أحد أضل وأشد ضلالًا ممن يتجه إلىٰ غير الله عَزَّ وَجَلَّ فيدعوه من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أيًا كان ذلك المدعو، سواء كان نبيًا أو رسولًا أو مَلَكًا أو شجرًا أو حجرًا أو ما شابه ذلك، فهذا هو الضلال المبين والعياذ بالله! ومما يزيد من ضلاله: أن هذا الذي يدعوه لا يستجيب له، فلا يلبِّي طلبه، وهو غافلٌ عنه، **فإذن:** هو ضعيفٌ وغير قادر علىٰ تلبية دعاء مَن يدعوه ويرجوه ويستغيث به.

ثم بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال أن حال هؤلاء المدعوِّين أنهم غافلون عن دعاء الذين يدعونهم، فهم لا يعلمون به ولا يدرون، ثم بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأمر العظيم الذي يصيب أهل الشرك بسببه الندم العظيم **قال:** ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ **يعني:** يوم القيامة، ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ **أي:** تنكلوا لهم وتنصَّلوا عنهم، وبيَّنوا أنهم

يكفرون بما كانوا يفعلونه في هذه الحياة الدنيا، فهم يتبرؤون منهم ويجحدون عبادتهم إياهم.

فالآية تدل أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخبر فيها أنه لا أضل ممن دعا غير الله من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك لأن دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ شرك، لأنه صرف عبادةً لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قول الله تعالى:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل:٦٢].

فهنا يبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية الكريمة أنه لا أحد يجيب المضطر الذي وقع به الضر ووقعت به الكُرْبة أنه لا يكشف تلك المصيبة وذلك الضر وذلك السوء إلا الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ احتجاجًا علىٰ مَن اتخذوا آلهة دونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يلتجؤون إليهم حال الاضطرار وحال أيضًا الرخاء، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه وهو الذي يكشف السوء.

فإذن: من دعا أو من طلب كشف الضر من غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه يكون قد دعا غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيكون قد وقع في الشرك الذي يناقض أصل التوحيد، فمن ثَمَّ يكون قد وقع في الكفر الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

ثم ذكر المصنف - رحمنا الله وإياه - **قال: (وَرَوَىٰ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مُنَافِقٌ يُؤْذِي المُؤْمِنِيْنَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيْثُ بِرَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»**.

المنافق هنا ذكر أهل العلم أنه عبد الله بن أُبي بن سلول، وهو رأس المنافقين.

وجاء في بعض الروايات أن الذي قال لبعضهم هو أبو بكر، أو بعض الصحابة المراد به: أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقولهم: (**قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيْثُ بِرَسُوْلِ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ) معناه أننا نطلب منه أن يدفع عنا شر ذلك المنافق ويصده عنا حتىٰ يكف أذاه عنا وعن المؤمنين.

والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال لهم: «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاَللهِ**» وهذا من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - كما ذكر أهل العلم - حماية للتوحيد، وأيضًا سدٌّ لوسائل الشرك، وأيضًا هو أدبٌ وتواضعٌ مع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وتعليمٌ لهذه الأمة كيف تتأدب مع ربها تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وإلا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قادرٌ علىٰ أن يغيثهم، وأن يمنع وأن يكف شر ذلك المنافق، لكن أراد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يتأدبوا في استعمال الألفاظ بأن الاستغاثة إنما تكون بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وهنا مسألة لابد من ذكرها، وهو أنه هل يجوز أن يُستغاث بغير الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ فإن أهل العلم ذكروا أن الاستغاثة استغاثة واجبة، وهي التي تُطلب من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وهي التي لا يقدر عليها إلا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فمن استغاث بغير الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله كان ذلك شركًا، كالذي يستغيث بالأموات أو بالغائبين في جلب نفعٍ أو دفع ضر.

وأما الاستغاثة الجائزة فهي التي تكون بالحي الحاضر القادر الذي يستطيع أن يغيث من استغاث به.

وبالمناسبة أحب أن أنبه على أمرٍ أيضًا ربما بعض الناس يقرأ هذا الحديث الذي ذكره المصنف واحتج به هو حديث متكلَّم فيه، لأن فيه ابن لهيعة، وعبد الله بن لهيعة قد تكلم فيه بعض أهل العلم، ولكن الأمر الذي لابد أن نتنبه له أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يجعل هذا الحديث أصلًا في الباب، وإنما الأصل في الباب الآيات التي قبله، فهذا الحديث إنما ذُكِر من باب الاعتضاد ومن باب المعاونة، وهذا قد جرى عليه أهل العلم في أمورٍ كثيرة، وأحب أن أذكر لكم ما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى خاصة في هذا الخبر، فأقرؤه عليكم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الخبر - الذي هو حديث الطبراني لما قالوا: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق - لم يُذكر للاعتماد عليه، بل ذُكِر في ضمن غيره ليتبين أن معناه موافقٌ للمعاني المعلومة في الكتاب والسنة. وهذا هو الذي ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تلك الآيات فإنها معلومة الدلالة ظاهرة المعنى على ما احتج به.

ثم قال شيخ الإسلام: كما أنه إذا ذُكِر حكمٌ معلوم بدليل معلوم ذُكِر ما يوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك، لما في ذلك من الاعتضاد والمعاونة، لا لأن الواحد من ذلك يُعتمد عليه في حكمٍ شرعي، ولهذا كان العلماء متفقين على جواز الاعتضاد والترجيح بما لا يصلح أن يكون هو العمدة من الأخبار التي تُكلِّم في بعض رواتها لسوء حفظٍ أو نحو ذلك، وبآثار الصحابة والتابعين، بل بأقوال المشايخ والإسرائيليات والمنامات مما يصلح للاعتضاد، فما

يصلح للاعتضاد نوعٌ وما يصلح للاعتماد نوعٌ، وهذا الخبر من النوع الأول. انتهىٰ كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رده علىٰ البكري (١/ ٣٠٧)، ونكون بهذا قد انتهينا من هذا الباب.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَيُشْرِكُوْنَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُوْنَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُوْنَ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر:١٣].

وَفِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟»، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عِمْرَان:١٢٨].

وَفِيْهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ - إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوْعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الفَجْرِ - يَقُوْلُ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا - بَعدَمَا يَقُوْلُ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ -». فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عِمْرَان:١٢٨].

وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عِمْرَان: ١٢٨].

وَفِيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَامَ فِيْنَا رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيْنَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء:٢١٤]، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أُغْنِي

عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُوْلِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُوْلِ اللهِ سَلِيْنِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي؛ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا».

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وهو الذي بعده والذي بعده حتىٰ يدلل من خلاله علىٰ أدلة التوحيد وإخلاصه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وذلك بإقامة البراهين التي تدل علىٰ أن الذين يدعونهم الناس من دون الله عَزَّوَجَلَّ لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، سواء كان أولئك المدعوِّين رسلًا أو أنبياء أو ملائكة، فإن الأمر كله بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك هذا الباب فيه بيان أن جميع من دُعِي من دون الله عَزَّوَجَلَّ لا يستطيع إجابة دعوة من دعاه أو نفع من كان يرجو نفعًا منه أو دفع ضُرٍّ عمَّن يريد أن يدفع عنه الضر، ولذلك ذكر هذه الآية العظيمة التي فيها توبيخٌ للمشركين وإنكارٌ عليهم في عبادتهم مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي لا يخلق شيئًا بل هو مخلوق، وكيف يكون للمخلوق أن يكون شريكًا لخالقه في عبادته؟ وهذا لا شك دالٌّ علىٰ بطلان هذا الأمر، ولذلك الله عَزَّوَجَلَّ **قال:** ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا﴾، هم لا يخلقون شيئًا وعاجزون عن هذا، **ثم قال:** ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ **يعني:** هم مخلوقون أصلًا، فكيف للمخلوق أن ينفع المخلوق أو أن يقوم مقام الخالق، ولذلك الله عَزَّوَجَلَّ **قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا

﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج:٧٣]، إي والله! ضعف الطالب والمطلوب، فضعيفٌ يدعو ضعيف، فهذا يدل علىٰ بطلان ذلك الطريق ودالٌّ علىٰ بطلان تلك العبادة التي تُعبد من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف - رحمنا الله وإياه - **قوله تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]، ما أعظم هذه الآية وما أعظم دلالتها علىٰ ضعف أولئك الذين يدعونهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فهي تكشف حالهم وحال ضعفهم، سواء كان أولئك المدعوِّين ملائكة أو أنبياء، أو كانوا أصنامًا أو قبورًا أو حجرًا، فضعفهم ظاهرٌ وبيِّن.

ومما يدل علىٰ ضعفهم وعجزهم ما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم في هذه الآية **قال:** ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾، أتدرون ما القطمير؟ القطمير هي اللفافة الخفيفة الرقيقة التي تكون علىٰ ظهر النواة، تلفُّ النواة نواة التمر، حينما تأكل التمر وتخرج النواة تجد عليها قشرة خفيفة جدًا، هذه القشرة ما يملكونها وعاجزون عن أن يملكوها، فالذين لا يملكون مثل هذه الأمور التافهة فكيف لهم أن يملكوا ما هو أعظم من هذا وهو جلب الرزق وجلب النفع ودفع الضر.

فهذه الآية دلَّت دلالة واضحة علىٰ أن أولئك المدعوِّين مهما عظم شأنهم في نفوس الناس أنهم لا يملكون شيئًا، فإذا عُبدوا من دون الله ودُعُوا من دون الله كان ذلك الداعي مشركًا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شركًا يناقض أصل التوحيد ويهدُّ أركانه، والعياذ بالله!

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ما جاء في الصحيح الذي هو صحيح البخاري، والحديث مرويٌّ في البخاري معلقًا وفي مسلم موصولًا، قال أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (**شُجَّ النَّبِيُّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)، والشَّجُّ هو الجرح في الرأس خاصة ثم استُعمل بعد ذلك في غيره من الأعضاء.

وقوله: (**وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ**) والرباعية هي سِنٌّ بعد الثَّنِيَّة، الأسنان التي تكون بعد الثَّنِيَّة، وهذا الأمر الذي وقع للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إنما كان في غزوة أحد حينما خالف الرماة أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حينما **قال**: «**لا تبرحوا مكانكم حتىٰ لو رأيتم الطير تخطفنا**» ولكنهم خالفوا أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فوقع ما وقع. وهذا مما يدل علىٰ عِظَم مصيبة الذنب ومخالفة أمر الشرع كيف أنه قد تسبب ذلك في أذية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

المهم أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **قال**: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟**»، **فَنَزَلَتْ**: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾[آل عِمْرَان:١٢٨] **أي**: ليس لك من الحكم شيء، ليس لك من الحكم في شيء في عبادي إلا ما أمرتك به، فأنت تمضي بأمري، **يعني**: بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا الحديث يدل دلالة واضحة علىٰ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الذي هو خير الناس وأفضل الناس عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس له من الأمر شيء، بل لم يستطع أن يدفع الأذىٰ عن نفسه حينما قدَّره الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

ثم ذكر الحديث الثاني وهو أيضًا رواه ابن عمر قال (**أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **يَقُوْلُ – إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرّكُوْعِ مِنَ الرّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الفَجْرِ –**) أي: من صلاة الفجر في الركعة الثانية، (**يَقُوْلُ**: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا – بَعدَمَا**

يَقُوْلُ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ -»، و(فلان وفلان) وضَّحتها الرواية الأخرىٰ وهي قوله: يدعو علىٰ صفوان ابن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام. **فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ:** ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عِمْرَان:١٢٨]، وكان سبب نزول هذه الآية هذه الحادثة التي وقعت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: ليس لك من الأمر شيءٌ في هذا، وهو نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فغير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من باب أولىٰ. وهذا من عظيم فقه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما ذكر مثل هذه الروايات التي تدل علىٰ هذا، تدل علىٰ أن المرء لا يملك من أمره شيئًا، بل الذي يملك الأمر كله ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾.

ثم ذكر الشيخ - رحمنا الله وإياه - **قال:** (وَفِي الصَّحِيْحِ) **يعني:** في صحيح البخاري، (**قَامَ فِيْنَا رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **حِيْنَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ** ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء:٢١٤]، **فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا -»**، الإنذار هنا معناه الإعلام بأسباب الخوف والتحذير مما يُخشىٰ منه ومما يُخاف من سوء عاقبته.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ**»، والله عَزَّ وَجَلَّ أمره بأن ينذر عشيرته الأقربين، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قام ممتثلًا لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ، فقال لقرابته أن يشتروا أنفسهم، بأي شيء يشترون أنفسهم؟ يشترون أنفسهم بدخولهم في دين الله عَزَّ وَجَلَّ، بأن يوحِّدوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن يتركوا عبادة الأصنام، وأن يمتثلوا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ ويجتنبوا نهيه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ إنه عمَّ ثم خصَّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فذكر عمَّه العباس، وذكر عمَّته صفته، ثم ختم بابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا وأرضاها.

فبيَّن لهم أنه لا يملك لهم من الله شيئًا، «**لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» وذلك حتىٰ لا يظن الظان أن النَّسَب لا ينفع في مثل هذه الأمور، فالنَّسَب لا يُعتمد في النجاة من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبُه**».

ومما يدل دلالة واضحة علىٰ هذا: ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في حق أبي لهب حينما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المسد:٤-٥].

فالنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لهم: «**لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» **أي**: معناه لا أدفع عنكم من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا وجه الشاهد هنا من هذا الحديث، فإنه يؤخذ منه الرد علىٰ من تعلَّق قلبه بغير الله عَزَّوَجَلَّ من الأنبياء والملائكة والصالحين، فرغب إليهم بأن ينفعوه أو يدفعوا عنه الضر، فإن هذا هو الشرك الأكبر الذي حرَّمه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فدلَّت هذه الآيات وهذه الأحاديث علىٰ أنه لا ينجي العبدَ من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ إلا توحيده وإيمانه بالله عَزَّوَجَلَّ وبالنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأن ذلك المخلوق مهما عَلَت منزلته وعَلَا قدْرُه فهو مخلوقٌ وعبدٌ لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فإنه لا يملك من أمره شيئًا، وإنما الأمر كله بيد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوْبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيْرُ﴾ [سبأ:٢٣]

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُم ذَلِكَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ، فَيُلْقِيْهَا إِلَى مَنْ تَحتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيْهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ. فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِيْ سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ».

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ؛ تَكَلَّمَ بِالوَحْيِ؛ أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ - أَوْ قَالَ رِعْدَةٌ شَدِيْدَةٌ - خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ؛ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُوْنُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيْلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحيِّهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيْلُ عَلَى المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ؛ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيْلُ؟

فَيَقُوْلُ: «قَالَ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيْرُ» فَيَقُوْلُوْنَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيْلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيْلُ بِالوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ».

۞ ۞ ۞

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب مفاده مثل مفاد الباب الذي قبله، وهو ذِكْر برهان من البراهين التي تدل علىٰ عجز المخلوقين وعلىٰ ضعفهم ممن يُدعَون من دون الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والمراد بالباب حينما **قال:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ الملائكة، فُزِّع عن قلوب الملائكة. ومعنىٰ فُزِّع عن قلوبهم: أي زال ذلك الفزع والخوف الذي أصابهم بسبب سماعهم كلام الله بالوحي الذي كأنه سلسلة حديدٍ علىٰ الصفا، فيُصعقون من عِظَم قول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فالملائكة مع عِظَم حالهم وعظم قوتهم، ومع ما هم فيه من الخِلْقة العظيمة وشدة عبادتهم لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فهم في هذه الصورة هيبة لله وخوفًا من الله، فكيف يدعوهم أحدٌ من دون الله عَزَّوَجَلَّ؟ وإذا كان أولئك الملائكة لا يُدعون وهم مَن هم فغيرهم من باب أولىٰ.

فهذا فيه ردٌّ علىٰ جميع أهل الشرك ممن يعبدون الأحجار والأصنام والقبور وهم دون الملائكة في جميع أحوالهم وكذلك في منزلتهم.

ثم ذكر الحديث الذي رواه البخاري حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه: «**إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ**» **أي**: إن الله إذا تكلم بالأمر، بالوحي، وهذا فيه إثبات صفة الكلام لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وقوله: «**خُضْعَانًا**» **أي**: خاضعين لقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

«**يَنْفُذُهُم ذَلِكَ**» **يعني**: ذلك القول، **أي**: يخلص ذلك القول ويمضي في قلوب الملائكة.

وأما قوله: «**مُسْتَرِقُ السَّمْعِ**» فهم الشياطين الذين يركب بعضهم فوق بعض حتىٰ يصلون إلىٰ السماء فيستمعون ما يدور في السماء بين الملائكة من أمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فينقلون ذلك الكلام إلىٰ ذلك الساحر أو الكاهن، شك الراوي في الرواية، وهم علىٰ هذه الحال ربما وصل القول إلىٰ الساحر أو إلىٰ الكاهن، وربما أصابهم الشهاب وهو النجم الذي سخره الله عَزَّوَجَلَّ لرجم الشياطين حتىٰ لا يصلون إليه.

ثم إن هذا الكلام الذي يسمعونه من الحق الذي قاله الله عَزَّوَجَلَّ إلا أن الشياطين يكذبون معه مائة كذبة، فلا يَصِل الكلام خالصًا إلىٰ الكُهَّان وإلىٰ السحرة، وإنما يَصِل مشوَّشًا مخلوط معه كثير من الباطل، والعياذ بالله!

وهذا يدل علىٰ أن أولئك الكهان لا يعلمون الغيب، وإنما يَصِلهم ما يصلهم من مسترقي السمع بعض ذلك الحق، وإلا الغيب لا يعلمونه ولا يحيطون به.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في هذا الباب (حتىٰ إذا فُزِّع عن قلوبهم) ذكر حديث النواس بن سمعان الذي رواه ابن أبي حاتم، وهو مثل الحديث الذي قبله، فهو يدل دلالة واضحة أن الملائكة خَلْقٌ من خلْق الله، وهم لا يُعبدون من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا يجوز عبادتهم، وأنهم علىٰ ما هم فيه من تلك المكانة والمنزلة وما فيهم من القوة إلا أنهم فيهم من الضعف والعجز الشيء الكثير.

هذه الأحاديث ربما نأخذ منها بعض الفوائد غير ما أراد المصنف، فيُذكر فيها إثبات علو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، إذ أن الله عَزَّ وَجَلَّ فوق سبع سماواتٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنه **قال:** «**إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ**» **أي**: في العلو.

وعلو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - بالمناسبة - أهل السنة والجماعة يذكرون أنه عُلُوُّ الذات وعُلُو القَدْر وأيضًا عُلُو القهر، وهي كلها لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا فيه إثبات صفة الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يزل متكلمًا إذا شاء بحرف وصوت، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

فإذن: خلاصة هذا الباب أن فيه تقرير التوحيد، فإن الملائكة العِظَام تُصعق من كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خوفًا منه، لا سيما أعظمهم جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خوفًا من الله ومهابة من الله، وترجف منه المخلوقات، وهو الكامل جَلَّ وَعَلَا في ذاته وصفاته ومُلْكه وغناه عن خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلا يجوز أن يُجعل معه شريكٌ في عبادته حتىٰ لو كان أولئك الملائكة الذين هم عباد الله المكرمون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

❖ ❖ ❖

بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَــوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام:٥١].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٤٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة:٢٥٥].

وَقَوْلُـهُ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النَّجم:٢٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سَبأ:٢٢-٢٣].

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: «نَفَىٰ اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ المُشْرِكُوْنَ، فَنَفَىٰ أَنْ يَكُوْنَ لِغَيْرِهِ مِلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُوْنَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِيْ يَظُنُّهَا المُشْرِكُوْنَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ - كَمَا نَفَاهَا القُرْآنُ - وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ».

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

وَحَقِيْقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِيْ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ أَهْلِ الإِخْلَاصِ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحْمُوْدَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِيْ نَفَاهَا القُرْآنُ مَا كَانَ فِيْهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَا تَكُوْنُ إِلَّا لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيْدِ». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب الذي هو باب الشفاعة عقده المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ليردَّ علىٰ المشركين الذين يدَّعُون أن عبادتهم للملائكة والأنبياء والصالحين والأصنام إنما يعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن هذا الباب - باب الشفاعة - يدخل منه المشركون للتلبيس علىٰ أهل الحق فيما هم يفعلونه من عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك أراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بعقد هذا الباب أن يبيِّن ما أثبت الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن من الشفاعة وما نفاه حقيقة مما يعتقده أهل الجاهلية، لأن الشفاعة في حقيقتها هي طلب الشفاعة، أي: طلب الدعاء، فإذا كانت الشفاعة بمعنىٰ الطلب وهي طلب

جلْب النفع أو دفع الضر فإنها تكون دعاءً، وإذا كانت تلك الشفاعة دعاء فإن الدعاء لا يكون إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك الشفاعة لا تُطلب إلا من الله لأنها ملكٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر، والوتر هو الواحد، فالشفع أي اثنان، وشفع الثلاثة أربعة.

وقد ذكر أهل العلم أن الشفاعة في الاصطلاح هي التوسط للغير لجلب نفعٍ أو دفع مضرة عنه. وهي تنقسم إلىٰ قسمين: شفاعة مثبَتة وشفاعة منفيَّة كما مر معنا في كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قرأناه عند المصنف، **والشفاعة المثبَتة هي التي تُطلَب من الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **ولا تُطلَب من أحدٍ غيره، ولا تكون إلا بشروط:**

- **الشرط الأول:** أن تكون بإذن الله.
- **والثاني:** أن يرضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن الشافع والمشفوع.

وأما الشفاعة المنفية وهي التي تُطلَب من غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهي التي يعتقدها المشركون.

فإذن: كما تقدم الشفاعة شفاعة منفية وشفاعة مثبتة، والشفاعة المثبتة لها شرطان: طلب الإذن من الله، والثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام:٥١] **أي:** يا محمد

أنذر به، **أي**: أعْلِم ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ والمراد به أهل الإيمان، فإن أهل الإيمان هم الذين ينتفعون من الإنذار حينما ينذرهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهذا هو إيمانهم بأنهم سيُحشرون إلىٰ الله، ثم بيَّن لهم **قال**: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ **أي**: يتولىٰ أمرهم فيحصل لهم ما يريدونه وما يطلبونه، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ **أي**: من يشفع لهم فيما يريدونه، فالأمر كله لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فدلَّت هذه الآية الكريمة علىٰ الشفاعة المنفية، وهي منفيَّة عن الجميع كلهم مؤمنهم وكافرهم، فهي لا يملكها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك ذكر المصنف بعدها **قوله تعالىٰ**: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٤٤] حتىٰ يقرر ويبين أن الشفاعة هي ملْكٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا يملكها أيُّ أحد، لا مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسَل، فهي مُلْكٌ لله عَزَّ وَجَلَّ، فيتقرر من ذلك بطلان طلب الشفاعة من أحدٍ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل أعظم من ذلك بطلان التعلق المطلق بغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالشفاعة هي حقٌّ لله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يملكها، فلا يجوز أن تُطلب من غيره، ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما ذكر شيخ الإسلام - لا يأتي من قِبَل نفسه فيشفع، وإنما يَخِرُّ تحت العرش ويسبح الله ويذكره بمحامد لم يعرفها حتىٰ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ له: «**يا محمد، ارفع رأسك**» هنا أذِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ له بالشفاعة، **فقال له**: «**قُل يُسمع، وسلْ تُعط**»، فطلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة، الشفاعة للقضاء بين الخلق، وهي الشفاعة العظمىٰ.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قوله تعالىٰ**: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة:٢٥٥] **أي**: لا أحد يشفع عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مهما كانت

منزلته ومهما كانت مكانته، ولذلك قال ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ **أي**: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، وهذا هو الشرط الأول، إلا بإذنه، **إذن**: الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر أيضًا قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ﴾ [النَّجم:٢٦] **يعني**: حتىٰ الملائكة ليس لهم شفاعة إلا بوجود أمرين وشرطين، **قال**: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ وهذا الشرط الأول، **قال**: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾، وهذا هو الشرط الثاني وهو رضا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الشافع والمشفوع.

فإذن: هذه الآية التي في سورة النجم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النَّجم:٢٦] تدل دلالة واضحة علىٰ نفي شفاعة الملائكة المقرَّبين بغير إذن الله عَزَّوَجَلَّ ورضاه، فكيف يرجوها أولئك الجُهَّال المشركون، يرجونها من أندادٍ يعبدونهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ وعبادتهم لهم باطلة، ولا إذن لهم في تلك الشفاعة، ولذلك جاء ذلك النهي بأن الشفاعة لا تُطلب إلا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا تكون إلا بإذنه.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **قول الله تعالىٰ**: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

فهذه الآية كما ذكر بعض أهل العلم أنها قطعت الشرك من أصوله، فهنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الذين ترجونهم وتدعونهم وترجون

نفعهم وضرهم بزعمكم أنتم، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ فنفى الله عَزَّوَجَلَّ عنهم المُلْك مطلقًا، ملكًا استقلاليًا دون الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وفي قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، دليلٌ على عجزهم، حتى الذرة لا يملكونها. والذرة قيل: هي صغار النمل، وقيل أنه الهباب الذي يُرى في الهواء.

ثم قال في نفي الدرجة الثانية، ما دام أنهم لا يملكون شيئًا أبدًا، ليس لهم ملكٌ استقلالي، **قال**: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ **أي**: لهم نصيبٌ في الشراكة مع الله عَزَّوَجَلَّ في هذا المُلْك.

ثم نفى عنهم أيضًا أن يكون أحدٌ منهم ظهيرًا لله معاونًا لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فلم يبقَ إلا شيءٌ واحد وهي الشفاعة **قال**: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ **أي**: عند الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، إلا بعد إذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ففي هذه الآية الكريمة نفى الله عَزَّوَجَلَّ كل ما يتعلق به المشركون من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فنفى أن يكون لأولئك المدعوِّين ملكٌ مستقل، أو لهم قسطٌ من ذلك الملك، أو أن يكون أحدٌ منهم ظهيرًا لله معينًا لله، ونفى أيضًا حتى الشفاعة، فإنها لا تكون إلا بإذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ولذلك نعود فنقرأ كلام شيخ الإسلام مرة أخرى الذي ذكره الإمام المجدد حول هذه الآية **قال**: (**نَفَىٰ اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَىٰ أَنْ يَكُونَ**

لِغَيْـرِهِ مِلْـكٌ)، ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

(أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ) أي: قسطٌ من ذلك الملك وجزء منه.

قال: **(أَوْ يَكُوْنَ عَوْنًا لِلَّهِ)** يعني: ظهيرًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: **(وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]**، فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُوْنَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ القِيَامَةِ - كَمَا نَفَاهَا القُرْآنُ - وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - لا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ»**، وهذا فيه التنبيه أنه ليس لأحدٍ أن يبتدر بالشفاعة من قِبَل نفسه، فلا تكون إلا بعد إذن الله عَزَّوَجَلَّ.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»**.

إذن لا تكون الشفاعة للمشرك، وإنما تكون الشفاعة لأهل الإخلاص، ولذلك قال شيخ الإسلام: **(فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا تَكُوْنُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.**

وَحَقِيْقَتُهُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِيْ يَتَفَضَّلُ عَلَىٰ أَهْلِ الإِخْلَاصِ) يتفضل عليهم بالشفاعة فيشفعوا. (**فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحْمُوْدَ**)، فالله حينما أذن لنبيه بالشفاعة وأيضًا لأوليائه بالشفاعة لبعضهم بعضًا يوم القيامة ذلك حتىٰ يبين منزلتهم ومكانتهم.

ثم قال شيخ الإسلام: (**فَالشَّفَاعَةُ الَّتِيْ نَفَاهَا القُرْآنُ مَا كَانَ فِيْهَا شِرْكٌ**) أي: التي تُطلب من غير الله، (**وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنَّهَا لا تَكُوْنُ إِلَّا لِأَهْلِ الإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيْدِ**).

وسوف أذكر لكم ما ذكره أهل العلم من أنواع الشفاعات.

فأول هذه الشفاعات: الشفاعة الكبرىٰ، وهي خاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي التي يعتذر منها جميع الأنبياء، جميع الأنبياء يعتذرون من هذه الشفاعة، فيأتون إلىٰ آدم فيعتذر، ثم يأتون إلىٰ نوح، ثم يأتون إلىٰ إبراهيم، ثم إلىٰ موسىٰ، ثم إلىٰ عيسىٰ، ثم يأتون إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «**أنا لها**»، فيذهب فيخر تحت العرش عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويثني علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمحامد لم يعلمها يفتحها الله عَزَّ وَجَلَّ عليه.

وهي التي تُسمَّىٰ بالشفاعة الكبرىٰ، وهي المقام المحمود، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، فيشفع بأن يقضي الله عَزَّ وَجَلَّ بين الخلائق فيريحهم من هول ذلك الكرب العظيم.

والأمر الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها، فإن الجنة لا تُفتح أبوابها إلا للنبي ﷺ، ولذلك حينما يأتي إلىٰ باب الجنة فيسأله خازنها، فيقول له: أنا محمد، فيقول: بك أُمِرْت. فيدخلون الجنة بعد شفاعة النبي ﷺ.

وأيضًا الشفاعة لقومٍ من العصاة من أمة النبي ﷺ وقعوا في كبائر الذنوب، يشفع لهم النبي ﷺ بأن لا يدخلوا النار، **يعني**: لم يدخلوا النار. وهذه الشفاعة خالف فيها الخوارج والمعتزلة، بل أنكروها والعياذ بالله!

وأيضًا: الشفاعة في إخراج العصاة من أهل التوحيد من النار، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يدخِل من أهل التوحيد النار بسبب ما عندهم من الذنوب حتىٰ تطهرهم النار من تلك الذنوب، فيشفع فيهم النبي ﷺ، وأيضًا يشفع فيهم المؤمنون فيخرجون من النار.

وأيضًا من الشفاعة: الشفاعة في قومٍ من أهل الجنة، وذلك في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم في الجنة.

وأيضًا من الشفاعة: شفاعة النبي ﷺ في عمِّه أبي طالب، وهذه خاصة بالنبي ﷺ.

إذن: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ الشفاعة الكبرىٰ وشفاعته في عمه أبي طالب وشفاعته في دخول أهل الجنة، وأما باقي الشفاعات فالمؤمنون يُشاركون النبي ﷺ في تلك الشفاعة.

العباس بن عبد المطلب سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال.. يعني ذكَّره بما كان يعمله أبو طالب له في حال حياته، **فقال له**: بماذا نفعت عمك، أو هل نفعت عمك بشيء؟ **فقال**: «**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار، وإنه الآن في ضحضاح من النار، تحت قدميه جمرتان يغلي منها دماغه**»، وهذا بسبب شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب.

السؤال: ما حكم قول القائل: أنت ما فيك رحمة أو ما فيك ذرة رحمة؟

الجواب: نعم، من الناس من هو جبَّار، والعياذ بالله! ليس في قلبه رحمة، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلق الرحمة تسعة وتسعين رحمة، فأنزل منها رحمة واحدة يتراحم بها الخلق بينهم، حتىٰ إن السَّبُع ليرحم صغيره، وإن الدابة لترفع حافرها عن وليدها حتىٰ لا تؤذيه، فمن الناس من يكون ليس فيه رحمة، فيه قساوة، فيه شدة، ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»، «**من لا يَرحم لا يُرحَم**».

فالرحيم الذي يرحم الناس سعيدٌ برحمة الله عَزَّوَجَلَّ به، وأما الشَّقِيُّ والمنزوع الرحمة فهذا قد حرم نفسه من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك لما جاء رجلٌ ورأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبِّل إما الحسن أو الحسين **فقال**: يا رسول الله، إن لي تسعة من الأبناء ما قبَّلت أحدًا منهم. **قال**: «**ماذا أفعل بك إن كان الله قد نزع من قلبك الرحمة**».

وأيضًا لما ذرفت عيناه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حينما توفي ابن ابنته سأله بعض الصحابة، **فقال: «هذه رحمة جعلها الله** عَزَّوَجَلَّ **في قلوب عباده، وإنما يرحم الله** عَزَّوَجَلَّ **من عباده الرُّحَماء»**.

وأما رحمة الله عَزَّوَجَلَّ فهي ملكٌ لله عَزَّوَجَلَّ خاصة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يملكها أحد من الخلق، فالله عَزَّوَجَلَّ يرحم بها من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦]

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ؛ جَاءَهُ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ -، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ وَأَبَى أَنْ يَقُوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

۞ ۞ ۞

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب ذكره المصنف حتى يرد على أولئك المشركين من عُبَّاد القبور وغيرهم الذين يعتقدون في الأنبياء الصالحين بأنهم ينفعون ويضرون من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، فيسألونهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فإذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك الهداية حتى لأقرب الأقربين فغيره من باب أولى.

وهذه الهداية التي يقول الله عَزَّوَجَلَّ فيها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هي هداية التوفيق، وهي إيجاد الهدىٰ والإيمان في قلب العبد، وهو كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ما جاء في الصحيح من حديث **(عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ؛ جَاءَهُ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **- وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ -، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ...»**، فهنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصًا علىٰ هداية عمِّه حتىٰ في آخر حياته، فلما حضرت أبا طالب **يعني**: بَدَت عليه علامات الموت ومفارقة الدنيا، فكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شديد الحرص علىٰ أن يُسلم عمُّه وأن يدخل في الإيمان **فقال له: «يا عم، قل لا إله إلا الله»**.

وهنا ليس المراد قول الكلمة باللسان دون فهم معناها، بل لابد من فهم معناها والعمل بمقتضاها، وأبو طالب من العرب الأقحاح الذين يفهمون معنىٰ هذه الكلمة، ولذلك كفار قريش كانوا أعلم بهذه الكلمة من عُبَّاد القبور الذين هم في هذا الزمان، ولذلك لما دعاهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أن يقولوا لا إله إلا الله قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥]، علموا أنه يريد منهم أن يتركوا وأن يتجنبوا عبادة تلك الأصنام كلها، فلا يعبدون إلا الله وحده لا شريك له.

وقوله: «أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» أي: أشهد لك بها عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لكن أبا طالب أثَّرت عليه الصحبة السيئة وهو عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فذكَّراه بأمر

الجاهلية والتعصب الجاهلي للآباء والأجداد فقالوا له: (**أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟**) فأبىٰ أبو طالب - والعياذ بالله - **فقال**: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وهكذا كانت هي نهايته وآخرة أمر أبي طالب أنه مات علىٰ الكفر، والعياذ بالله!

ثم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حُبِّه لعمِّه **قال**: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» **أي**: والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عن ذلك، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ نهاه فَأَنْزَلَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ [التَّوْبَة:١١٣]، وأيضًا أنزل الله عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القَصَص:٥٦].

الخلاصة: إذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يملك الهداية لأقرب الناس إليه ولم يستطع أن يدخِل الإيمان في قلبه، فهذا يدلُّ علىٰ أن هذا الأمر بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمن كان دون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يُطلَب منه تفريج الكروب ولا دفع ما يجده الإنسان من ضُرٍّ أو جلب نفع، إنما يكون من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وبالمناسبة: الهداية - كما ذكر أهل العلم - نوعان: هداية التوفيق، وهذه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهي التي يقول الله عَزَّوَجَلَّ فيها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦].

وأما الهداية الثانية فهي هداية الدلالة والبيان والتوضيح وبيان الطريق، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢]، **أي**: تدل وترشد وتبين للناس، وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧].

تتمة:

شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمِّه أبي طالب شفاعة خاصة لأبي طالب، وليس فيها إخراجه من النار، وإنما فيها تخفيف العذاب عنه، وهذا إكرامٌ من الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الشفاعة في أصلها فإنها لا تكون إلا لأهل التوحيد، ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأله أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ **قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»**.

وأيضًا قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حينما **قال:** ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم:٢٦]، والله عَزَّوَجَلَّ لا يرضى عن المشركين.

◆ ◆ ◆

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِيْنَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِيْنَ

وَقَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النِّساء:١٧١].

وفي الصَّحيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾ [نُوح:٢٣-٢٤]. قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِيْنَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِيْ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيْهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ».

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَىٰ قُبُوْرِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيْلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوْهُمْ».

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُوْلُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ» أَخْرَجَاهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ».

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ **أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُوْنَ - قَالَهَا ثَلَاثًا-».**

۞ ۞ ۞

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بعد أن ذكر أصول التوحيد وذكر الأدلة والبراهين التي تدل دلالة واضحة علىٰ أنه ليس هنالك أحدٌ دون الله يُعبد مهما كانت منزلته.

فهذا الباب ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ ليبين لنا السبب الذي من أجله وقع الشرك - بعد معرفة تلك الأمور التي تقدمت - عند الناس **فقال: «بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِيْنَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِيْنَ»**، **فإذن**: السبب في وقوع الكفر والشرك في هذه الأمة وأيضًا في غيرها من الأمم هو الغلو في الصالحين.

والغلو مأخوذٌ من غلا الشيء غليانًا إذا جاوز حدَّه، ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رمىٰ الجمرات **قال: «بمثل هذا فارموا، وإياكم والغلو»**، فالغلو بحرٌ لا ساحل له.

ثم بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا الغلو يقع في الصالحين، كيف يقع الغلو في الصالحين؟ ذلك إذا تجاوز الناس الحد الذي أُذِن لهم في التعامل مع هؤلاء الصالحين، الصالحون من الأنبياء وأيضًا من الأولياء، فالإنسان يتعامل معهم لا غلو ولا جفاء وإنما بتوسُّط، وهؤلاء الصالحون حقهم الذي ينبغي أن يكون لهم: حُبُّهم في الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا توقيرهم، وأيضًا الاقتداء بهم في صلاحهم وأيضًا في أعمالهم، وأيضًا موالاتهم وهي ومناصرتهم والذبُّ عنهم بالحق الذي هو معهم.

فإذن: هذا الباب فيه بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الذي يوقع في مخالفة أصل التوحيد.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَقَوْلُ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ فهذه الآية نهيٌ لأهل الكتاب بأن لا يتجاوزوا ما حدَّ الله عَزَّوَجَلَّ لهم في الدين، ولذلك هنا قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ﴾ هذا نهيٌ، و(تغلوا) فعل، وهذا الفعل جاء في سياق النهي فإننا نستفيد منه أنه يفيد العموم، فما دام أنه يفيد العموم فإنه يشمل أنواع الغلو في الدين كله، ولذلك الله عز جل نهىٰ أهل الكتاب من أن يرفعوا مخلوقًا فوق منزلته التي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ إياها، فعليهم أن لا يتعدوا هذا الحد ولا يغلوا في دينهم بأيِّ صورة من الصور.

ولذلك كانت مناسبة هذه الآية معنا في هذا الباب: أن من دعا نبيًا أو وليًا من دون الله عَزَّوَجَلَّ فقد اتخذه إلهًا، وشابه قول اليهود والنصارىٰ في تفريطهم في تعظيم بعض أنبيائهم، وكذلك عُبَّادهم وما شابه ذلك، وسيأتي معنا توضيح ذلك أكثر.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الصَّحيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا **فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ **قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِيْنَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا**) **يعني:** هلك أولئك الصالحون (**أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ**) **يعني:** ألقىٰ إليهم، ألقىٰ الشيطان إلىٰ (**إِلَىٰ قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ**

مَجَالِسِهِمُ الَّتِيْ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيْهَا)، والمراد بالأنصاب هنا: الأصنام، **يعني**: اجعلوا لهم صورًا، ولذلك كما ذكر الشيخ عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**: لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم ثم صوَّروا تماثيلهم. **أي**: جعلوا لأولئك الصالحين تماثيل وصُوَر.

فابن عباس يقول: (**أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِيْ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيْهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ**) **يعني**: في أولئك القوم، في البداية لم يعبدوها ولم يعظموها ولم يقع منهم شرك، لكن يقول ابن عباس: (**حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ**) **يعني**: الطبقة الأولىٰ، الجيل الأول، **قال**: (**وَنُسِيَ العِلْمُ**) ونسيان العلم هنا المقصود به ذهاب أهله، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا من صدور العباد، ولكن ينتزع العلم بقبض العلماء**»، فهنا ابن عباس يبين كيف وقع الشرك في قوم نوح، وهو بسبب تعظيمهم وبسبب أيضًا عملهم بتلك التماثيل وتلك الصور، فعكوفهم علىٰ تلك القبور هي ملازمتهم لها، فالشيطان بعد ذلك سوَّل لهم وأملىٰ لهم بأنهم كانوا يعبدون تلك الصور وتلك التماثيل وتلك القبور، ولذلك الله عَزَّوَجَلَّ حذَّرنا ونهانا **فقال**: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر:٦].

فهذا هو الواجب، أن يحذر الإنسان من سبل الشيطان ومن وساوسه، وكذلك أن يحذر أشد الحذر من الوسائل التي تؤول به إلىٰ الشرك، ومن وسائل الشرك: عمل التماثيل والصور، فإنها سببٌ ووسيلة عظيمة إلىٰ الوقوع في الشرك كما وقع لقوم نوح، وأيضًا وقع لقوم إبراهيم، فإن قوم نوحٍ جعلوا التماثيل والصور لأولئك الصالحين، وقوم إبراهيم جعلوا تلك التماثيل والصور لتلك الكواكب التي كانوا

يعبدونها من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فدل ذلك علىٰ خطورة هذا الأمر وشناعته، ولذلك جاءت الشريعة بحسم هذه المادة، فمنعت من التماثيل ومنعت من الصور، وأَمَرَت بإزالتهما.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَعَنْ عُمَرَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تُطْرُوْنِيْ كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُوْلُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ» أَخْرِجَاهُ)** أي: البخاري ومسلم.

وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ»**.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُوْنَ - قَالَهَا ثَلَاثًا»**.

الإطراء هنا المراد به: هو المبالغة في المدح وأيضًا الكذب فيه، والمعنىٰ هنا: لا تتجاوزوا الحد في مدحي بغير الواقع فيجرُّكم ذلك ويحملكم علىٰ أن تتجاوزوا الحد الذي وضعه الله عَزَّ وَجَلَّ لكم فتقعوا في الغلو وفي الكفر كما وقع ذلك من النصارىٰ.

فقوله: «كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ» أي: لا تطروني إطراءً كما أطرت النصارىٰ ابن مريم.

ثم بيَّن لهم السبيل والطريق الشرعي الذي يجب عليهم أن يلتزموا به، **قال: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُوْلُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ»**، فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عبدٌ لا يُعبد ورسولٌ لا يُكذَّب.

ثم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يُطرى كما حصل من النصارى في إطرائهم لعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا نهيٌ منه عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمته حتى لا يقعوا فيما وقع فيه أولئك القوم.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ**»، والغلو **قلنا**: هو مجاوزة الحد والإفراط في التعظيم، سواء كان ذلك من جهة القول أو من جهة الاعتقاد، فبيَّن عَلَيْهِ السَّلَامُ أن سبب الهلاك هو الغلو، ولذلك هذا تحذيرٌ منه ونهيٌ منه عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمته أن لا يقعوا في الغلو في الدين ويحذروا، لا في أقوالهم ولا في أفعالهم.

ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ كما عند ابن مسعود: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُوْنَ**» وهم الذين يتكلفون ويتعمقون ويتجاوزون الحد - كما تقدم - في أقوالهم وفي أفعالهم.

فالتنطع: التعمق في الشيء والتكلُّف، ونحن منهيُّون عن التكلف حتى في الطعام وفي الشراب وغيرهما، فكيف إذا كان الأمر متعلقًا بالدين؟ كيف إذا كان متعلقًا بالعقائد وفي معاملة الناس وفي معاملة الصالحين من الأنبياء ومن هم دونهم؟

فدلت هذه الأحاديث بمجموعها على النهي عن الغلو في الصالحين والمبالغة في تعظيمهم، فتعظيم الصالحين هو أن ينزلهم الإنسان فوق منزلتهم التي أراد الله عَزَّ وَجَلَّ منا أن نعاملهم فيها، فإن كانوا أنبياء فهم عبيدٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورسلٌ يصدَّقون ولا يُكذَّبون، وإن كانوا صالحين من العلماء والعُبَّاد وغيرهم فهم أيضًا لا يُتجاوَز

الحد في ذلك، فيُحبُّون ويُقتدىٰ بأفعالهم الصالحة ويُوالَون وما شابه ذلك، فهذا بيَّن فيه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ النهي والتحذير عن الغلو في الصالحين، وأن هذا الغلو هو سببٌ للوقوع في الكفر وترك الدين الذي كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أسباب ذلك الغلو: التصاوير وتعظيم القبور والعكوف عليها، وكل وسيلة تؤدي إلىٰ ذلك.

وأيضًا: فيه بيان أن أول شركٍ وكفرٍ وقع في هذه الدنيا هو بسبب الغلو في الصالحين.

❋ ❋ ❋

بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيْظِ فِيْمَنْ عَبدَ اللّه عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

فِـي الصَّـحِيْحِ عَـنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ أُمَّ سَـلَمَةَ ذَكَـرَتْ لِرَسُـوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيْسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ؛ وَمَا فِيْهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُوْلَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيْهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيْهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ».

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ القُبُوْرِ، وَفِتْنَةَ التَّمَاثِيْلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا؛ قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيْصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ -: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ - يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا - وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ؛ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ أَنْ يَمُوْتَ بِخَمْسٍ - وَهُوَ يَقُوْلُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُوْنَ لِي مِنْكُمْ خَلِيْلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيْلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيْلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيْلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُوْنَ قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُوْرَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

فَقَدْ نَهَىٰ عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ - وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ -، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ يَكُوْنُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيْهِ؛ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّىٰ فِيْهِ، يُسَمَّىٰ مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرًا».

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوْعًا «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِيْنَ يَتَّخِذُوْنَ القُبُوْرَ مَسَاجِدَ». رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيْحِهِ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب عقده المصنف وما بعده من الأبواب ومراده: التحذير من الوسائل الموصلة إلىٰ الوقوع في الشرك الأكبر، ولذلك جاءت الشريعة في المنع من هذه الوسائل وسدًا لباب الذريعة، وحماية لجناب التوحيد والذب عنه، فأغلقت كل بابٍ يؤدي إلىٰ الوقوع في الشرك، ومن ذلك ما ذكر المصنف في هذه الترجمة **قال: (بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيْظِ) أي**: من الوعيد الشديد **(فِيْمَنْ عَبَدَ اللهَ)** هو يعبد الله لا يعبد صاحب القبر، وكونه يعبد الله عند قبرٍ ذلك رجاء البركة وقبول الدعاء والعمل الصالح.

يقول: (**فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!**) **يعني**: إذا كان التغليظ الشديد والوعيد الشديد فيمن عبد الله عند ذلك القبر فكيف إذا عبده وصرف له العبادة؟ ولذلك عبادة الأولياء والصالحين شركٌ أكبر ينافي التوحيد، وعبادة الله عند قبورهم وسيلة إلىٰ الشرك.

ثم ذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة لما هاجرت إلىٰ الحبشة ورأت ما رأت في كنائسهم أنها رأت في الكنائس صورًا، ثم أخبرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال**: «**أُوْلَئِكَ**» **يعني**: ما الذي حملهم لجعل الصور؟ **قال**: «**أُوْلَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيْهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ**» شك الراوي، «**بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا**»، والمراد هنا بالمسجد هو مكان العبادة، وكل مكان يُعَدُّ للعبادة يسمىٰ مسجدًا، وسُمِّي بالمسجد لأن السجود يقع فيه، ولذلك كما ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ الأحاديث ذكر حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وجُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»، ولذلك هم لم يتخذوا مسجدًا كالذي نتخذه نحن، وإنما اتخذوه محلًا للعبادة، فسُمِّي بذلك.

ثم بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**وَصَوَّرُوا فِيْهِ تِلْكَ الصُّوَرَ**» لأولئك الأنبياء والصالحين.

ثم هنا أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**أُوْلَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ**» ليبين لنا حرمة هذا الفعل وعظم شناعته عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهم قد ضلوا في أنفسهم وأيضًا أضلوا غيرهم، وذلك بسبب وقوعهم بأن عبدوا الله عند تلك القبور.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةَ القُبُوْرِ، وَفِتْنَةَ التَّمَاثِيْلِ**).

فإذن: سبب التغليظ هنا هو أنهم فُتِنوا بالقبور وأيضًا أنهم فُتِنوا بالتماثيل ....

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أيضًا حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (**قَالَتْ: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيْصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا**)، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان هذا الوقت الذي طفق يطرح خميصة لما نُزِل يعني نُزِل بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموت وظهرت عليه علاماته.

(**طَفِقَ**) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **بمعنىٰ**: جعل (**يَطْرَحُ خَمِيْصَةً**) وهي كساءٌ له أعلام، فإذا وضعه علىٰ وجهه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اغتمَّ **يعني**: احتسب نفسه عن الخروج نزعها عن وجهه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **ثم قال**: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَىٰ**».

فهذا الحديث من أعظم الأحاديث التي فيها التغليظ في النهي عن وسائل الشرك، لماذا؟ ذلك لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في هذا الوضع وفي هذا الكرب العظيم وهو في السياق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ينازع الموت وظهرت عليه علاماته، إلا أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحذِّر أمته، وهذا من شفقته علىٰ أمته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وخوفه عليهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **فقال**: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (**يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**) **يعني**: مما صنع اليهود والنصارىٰ حتىٰ لا تقع الأمة فيما وقع فيه أولئك.

ثم قالت: (وَلَوْلَا ذَلِكَ؛ أُبْرِزَ قَبْرُهُ) بمعنىٰ: أنه دُفِن مع المسلمين عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا أمر.

والأمر الثاني: معلومٌ أن الأنبياء يُدفنون حيث ماتوا كما جاء في الحديث عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

ثم قالت: **(غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا) أي**: خشي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يُتَّخذ قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجدًا.

۞ **واتخاذ القبور مساجد يكون بإحدىٰ أمور:**

۞ إما بالصلاة عليها أو السجود عليها.

۞ وإما أن يُتَّخذ ذلك القبر قبلة فيُتوجَّه إليه.

۞ وإما أن يُوضع القبر في المسجد تعظيمًا له.

فهذه هي الصور الثلاثة: إما أن يُصلىٰ عليها، **يعني**: يُسجد عليها، وإما أن يُصلَّىٰ إليها، بمعنىٰ أن تُتَّخذ قبلة ويُتوجَّه إليها، وإما أن يُبنىٰ علىٰ تلك القبور مساجد فتُعظَّم.

فإذن: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذرنا لئلا نقع في ما وقع فيه أولئك اليهود والنصارىٰ من تعظيمهم لقبور أنبيائهم بأنهم اتخذوا قبورهم مساجد يتقربون فيها بالعبادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال: (**وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ؛ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **- قَبْلَ أَنْ يَمُوْتَ بِخَمْسٍ - وَهُوَ يَقُوْلُ**) يعني: بخمسة أيام.

قال: (**وَهُوَ يَقُوْلُ**) أي: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُوْنَ لِي مِنْكُمْ خَلِيْلٌ»، وقد مر معنا أن الخليل هو الذي تخللت محبته القلب ونفذت إليه فأخذته كله، فكانت المحبة خالصة فيه لا يشوبها أيُّ شيء.

ثم ذكر عَلَيْهِ السَّلَامُ لو كان متخذًا خليلًا - يعني من أمته - لاتخذ أبا بكر. وهذا لمنزلة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلو شأنه ومكانته، فهو أفضل الناس بعد الأنبياء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

ثم قال: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» وهذا هو الشاهد والتحذير معنا، قال: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُوْنَ قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» وهو تحذير من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهيٌ منه علهي الصلاة والسلام، «أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُوْرَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ». **فَقَدْ نَهَىٰ عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ**)، وهذا ما فيه من التغليظ الشديد والتحذير العظيم من اتخاذ هذه القبور وسائل للشرك يُعبد ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عندها.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (**وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوْعًا «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِيْنَ يَتَّخِذُوْنَ القُبُوْرَ مَسَاجِدَ**»، معلومٌ أن الساعة تقوم علىٰ شرار الخلق يوم القيامة، حتىٰ جاء في بعض الأحاديث أن الساعة تقوم ولا أحد في الأرض يقول: الله الله. فلا شك أن هؤلاء هم

شرار الخلق، وأيضًا قد جاء في بعض الأحاديث أن الله يرسل ريحًا فتأخذ كل نفس مؤمن طيبة وكل نفس حتىٰ لو كان فيها ذرة من إيمان، فلا يبقىٰ في الأرض إلا شرار الخلق.

ومن شرار الخلق أيضًا الذين يتخذون القبور مساجد، واتخاذهم القبور مساجد بمعنىٰ أنهم يصلون عندها، يدعون عندها، يفعلون أيَّ عبادة مما يُتقرَّب بها إلىٰ الله، فهم يفعلونها من أجل أنهم يظنون أن هذه البقعة بقعة مباركة ويُستجاب عندها الدعاء.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُوْرِ الصَّالِحِيْنَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللّهِ

رَوَىٰ مَالِكُ فِي المُوَطَّأ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ؛ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ؛ عَنْ مَنْصُورٍ؛ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النَّجْم:١٩] قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيْقَ؛ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ.

وَكَذَا قَالَ أَبُو الجَوْزَاءِ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيْقَ لِلْحَاجِّ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: لَعَنَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ القُبُوْرِ وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ. رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ.

❖ ❖ ❖

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب ذكره المصنف ليبين لنا أن الغلو في قبور الصالحين – والغلو في قبور الصالحين وسيلة من وسائل الشرك – يصيرها أوثانًا، بمعنى: أنها أوثان تُعبد من دون الله.

والغلو في قبور الصالحين: إما بالكتابة عليها، وإما برفعها، وإما بالبناء عليها، وإما كما كان يفعل اليهود والنصارىٰ وأيضًا كما يفعل الآن عُبَّاد القبور من بناء المساجد عليها، والعياذ بالله!

فهذه من الأسباب التي تؤدي إلىٰ الوقوع في الغلو في قبور الصالحين مما يجعلها بعد ذلك تُعبد من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر ما رواه مالك في الموطأ أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ؛ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، فهنا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله والنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستجاب الدعوة، ولذلك ذكر علماؤنا أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد استجاب لنبيه، فلم يكن قبره عَلَيْهِ السَّلَامُ يومًا من الأيام يُعبد من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولم يكن وثنًا، فإن الله قد حماه، وذلك أنه توفي في بيت عائشة ودُفِن فيه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم بعد ذلك لما أُدخِلت تلك الحُجَر في مسجد النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ بُني عليه ثلاثة جُدْران فأحاطت به فلا يستطيع أحدٌ أن يصل إلىٰ قبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيعبده، أو يفعل أيَّ صورة من صور الغلو التي تُفعل عند سائر القبور كما هو واقعٌ الآن في واقع بعض بلاد المسلمين، والعياذ بالله!

ثم قال: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، وهذا نهيٌ صريح بأن الله قد غضب وأن هذا الفعل مما يغضب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا وسيلة، عبادة الله عند قبور الأنبياء وسيلة من وسائل الشرك التي يقع فيها، فالتنفير من الوقوع في وسيلة تؤول إلىٰ الشرك الأكبر أمرٌ متأكدٌ بنصوص الشرع التي جاءت

عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهذه الوسيلة ستؤول بعد ذلك إلىٰ أن تجعل ذلك القبر وثنًا يُعبد من دون الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ؛ عَنْ مَنْصُورٍ؛ عَنْ مُجَاهِدٍ:** ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩﴾[النَّجم:١٩] **قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيْقَ؛ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ)**، وكذلك جاء أيضًا عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

فهذا الرجل الذي اسمه اللات هو رجلٌ صالح، كان يصنع لهم الطعام الذي يُخلط من الحنطة والشعير ويُضاف عليه السمن والماء، كان هذا الرجل يصنعه ويقدِّمه للحجيج، وهذا عملٌ صالح، فلذلك لما مات ذلك الرجل غلا فيه أولئك القوم في ذلك الزمان لصلاحه، فعكفوا علىٰ قبره، **أي**: التزموا قبر ذلك الرجل رجاء بركته وحصول الثواب والأجر عنده ودفع الضر أيضًا فعبدوه من دون الله عَزَّوَجَلَّ، فوقعوا فيما حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ وفيما نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من ذلك.

وقيل: إن اللَّات صخرة - كما مر معنا - كانت تُعبد من دون الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فمناسبة ذلك معنا هنا: أن تعظيم الرجال الصالحين والغلو في قبورهم والعكوف عندها أو عليها يؤدي إلىٰ الوقوع في الشرك المنافي لأصل التوحيد.

ثم ذكر في آخر هذا الباب حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **(قَالَ: لَعَنَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **زَائِرَاتِ القُبُوْرِ)** وهم النساء، فالنساء منهيَّات عن زيارة القبور، فلا يحل للمرأة أن تزور القبور، وهذا ما عليه كثير من العلماء المعاصرين.

وذلك أن جمهور أهل العلم، ومنهم الأئمة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد علىٰ الكراهة، وذهب الحنفية إلىٰ الاستحباب.

ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**»، والسُّرُج هي السراج الذي كان يوضع فيه الزيت فيُضاء، ومثله الآن هذه اللمبات التي تضيء الطرق، هذه تسمىٰ سُرُج باعتبار الإضاءة التي تصدر منها.

ووجه الشاهد عندنا في هذا الحديث قوله: «**وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**»، فهي وسيلة من الوسائل التي تفضي إلىٰ عبادة تلك القبور، فيقع صاحب تلك العبادة في مناقضة أصل التوحيد والكفر.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المصْطَفَى جَنَابَ التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيْقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التَّوْبَة:١٢٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوْتَكُمْ قُبُوْرًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ تَسْلِيْمَكُمْ يَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا يَجِيْءُ إِلَىٰ فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُ فِيْهَا فَيَدْعُو؛ فَنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيْثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَلَا بُيُوْتَكُمْ قُبُوْرًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ تَسْلِيْمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ». رَوَاهُ فِي المُخْتَارَةِ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان صيانة التوحيد وحمايته عما يعكِّره ويخالطه ويشوبه من الشرك وأسبابه ووسائله التي تؤدي إلىٰ الوقوع فيه، وهذا كثير جدًا جاء عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيأتي أيضًا معنا في أبوابٍ لاحقة – بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ – سنعرف من خلالها كيف أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصون جناب التوحيد ويحميه، ولا يرضىٰ بأن يقع أحدٌ في مخالفته كما مر معنا في حديث أبي واقد الليثي لما خرجوا إلىٰ غزو أهل الطائف، كيف أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم حينما طلبوا منه سدرة ينوطون بها أسلحتهم كما كان يفعل المشركون.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني به النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو منهم ومن جنسهم، يتكلم بلغتهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يعرفونه ويعلمون صدقه وأمانته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحرصه.

قال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ **أي:** أنه يشق عليه أن يعنِّت أمته وأن يضرهم في دنياهم وأيضًا في أخراهم، وذلك بسبب رحمته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فهو حريصٌ علىٰ أمته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وهذه الأوصاف التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حقه أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنذر أمته وحذرهم من الوقوع في أعظم الذنوب وأشدها، وأيضًا من الوسائل التي توصل إليه وهو الشرك والكفر، ومن ذلك تعظيم القبور والغلو في

الصالحين والغلو في القبور، أو من الصلاة عندها، أو غير ذلك من العبادات التي تُصنع عند تلك القبور. فهذا من رحمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته، فإنه قد بيَّن أنه ما مِن نبيٍّ من الأنبياء إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وأن يحذرهم من شر ما يعلمه لهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوْتَكُمْ قُبُوْرًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ تَسْلِيْمَكُمْ يَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**، فهنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهانا أن نجعل بيوتنا قبورًا، لماذا نهانا أن نجعل بيوتنا قبورًا؟ مثَّل البيوت بذلك؛ لأن القبور لا يُصلَّى عندها ولا تُفعل العبادات عندها، ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد منا أن نحيي بيوتنا بالطاعة وبالعبادة وبالصلاة، ولذلك **قال: «صلوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبورًا»**، فهو عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نهانا أن نهجر بيوتنا عن الصلاة وعن العبادة فيها كما تُهجر القبور عن الصلاة فيها؛ مخافة الفتنة وما يؤول من عبادة تلك القبور.

ثم قال: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيْدًا» والعيد - كما مر معنا - هو الذي يعود ويتكرر بين الفينة والأخرى، وهو الذي يجتمع فيه قومٌ فيفعلون ما يفعله الناس في الأعياد والجُمَع، فاتخاذ القبر عيدًا وسيلة من وسائل الوقوع في الشرك الأكبر، ولهذا قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعدها: **«وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ تَسْلِيْمَكُمْ يَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**، وهذا حتى يقطع الطريق على من يظن أنه لابد من جعل وقتٍ نأتي فيه للصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند حُجَره أو في مسجده.

ولـذلك: كـره الإمـام مالـك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعـالىٰ أن يُقـال: (زرتُ قـبر النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، لأن أصل الزيارة مشروع.

ثـم قـال المصـنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ **؛ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا يَجِيْءُ إِلَىٰ فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **فَيَدْخُلُ فِيْهَا**)، هنا قوله: (**فَيَدْخُلُ فِيْهَا**) هذا من الغلو، وهو وسيلة من الوسائل التي تؤدي إلىٰ الوقوع في الشرك، فلما رآه يفعل ذلك.. طبعًا هو كان يأتي عند هذه الفُرْجة التي عند قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليدعو، هو لم يدعُ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإنما يدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فحذَّره وبين له فقال: (**أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُوْلِ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**؟ قَالَ**: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيْدًا**»، فنهىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يُتَّخذ قبره عيدًا فيُزار في كل وقتٍ وفي كل حين ويُعاد إليه كما يُعاد علىٰ الأعياد، فلا يُزار قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ وجه مخصوص كما يُفعل بالأعياد.

ثم قال: «**وَلَا بُيُوْتَكُمْ قُبُوْرًا**» **أي**: لا تجعلوها.. كما تقدم معنا.

ثم قال: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ تَسْلِيْمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ**»، فالصلاة علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تبلغه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كما أخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن هناك ملائكة يحملون سلام أمته وصلاتهم عليه إليه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وقد جاء في بعض الروايات: «**ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء**»، لا فرق بين الذين في الأندلس وبين الذين هم في المدينة أو في مكة أو ما شابه ذلك، فإن الملائكة تنقل السلام علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

وَقَوْلُـهُ تَعَـالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[النِّساء: ٥١].

وَقَوْلُـهُ تَعَـالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ [المائِدَة: ٦٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكَهْف:٢١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوْهُ». قُلْنَا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، اليَهُوْدَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «فَمَنْ؟». أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِيَ الأَرْضَ؛ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيْتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ؛ فَيَسْتَبِيْحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ

بعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ - وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - حَتَّىٰ يَكُوْنَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

وَرَوَاهُ البَرْقَانِيُّ فِي صَحِيْحِهِ، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّيْنَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ؛ لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِيْنَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُوْنُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُوْنَ ثَلَاثُوْنَ - كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ - وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُوْرَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب عقده المصنف ومراده التحذير من الشرك والتخويف منه، وأن هذا الشرك لا شك ولا مراء أنه واقعٌ في هذه الأمة، مع وجود الإسلام وانتشاره إلا أن أناسًا من هذه الأمة - وهي أمة الاستجابة، الأمة التي دخلت في الإسلام - أنه سيقع منها الشرك ويقع منها الكفر، وسيعودون إلىٰ عبادة الأوثان، ولذلك **قال**: (**بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ**)، وهذا لا يكون من الأمة كلها، وإنما يكون من بعضها، ولذلك ذكر في آخر الحديث **قال**: «**ولا تزال طائفة من أمتي**»، فدل هذا علىٰ أن هذا ليس واقعًا من الأمة كلها، وإنما يكون من بعض الأمة. فهذا تحذيرٌ منه وتنبيه.

ولذلك الشيخ أراد أن يرد علىٰ من يقول أن هذه الأمة لن يقع فيها الشرك أبدًا من بعد مجيء الإسلام وبعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعلام تحذرون من الشرك؟ وعلام تهولّون هذا الأمر وتنكرون علىٰ ما يفعله أولئك الناس عند القبور وما شابه ذلك؟ فأراد الشيخ أن يرد عليهم وأن يبين لهم بأن الشرك واقعٌ في الأمة لا محالة.

ثم استدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقوله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾، والجبت كلمة تقع علىٰ الصنم، وقيل أيضًا تقع علىٰ الكاهن.

وأما الطاغوت فهو كل ما تجاوز الحد الذي حدَّه الله عَزَّ وَجَلَّ من متبوعٍ أو معبودٍ أو مُطاع، كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

فهنا وقع هذا من الأمم من قبلنا وهم أمة أهل الكتاب: اليهود والنصارىٰ، وإذا ربطنا هذا مع قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكر الشيخ في الحديث: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم**» وهذا واقعٌ من الأمة، فإن الأمة ستتبع سنن أولئك الأمّتين اليهود والنصارىٰ ومن ذلك عبادتهم للأوثان كما وقع ذلك من اليهود والنصارىٰ، فعبدوا المسيح عيسىٰ بن مريم وعبدوا العزير، وأيضًا عبدوا رهبانهم وذلك بأن أطاعوهم في تحليل ما حرم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفي تحريم ما أحل الله، وتلك عبادتهم لهم.

وأيضًا ذكر قوله تعالىٰ مستدلًا به: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ وهؤلاء المقصود بهم اليهود، فإن اليهود قد غضب الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم ولعنهم بسبب عُتُوِّهم وتجبُّرهم ومخالفتهم لأمر

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا لأنهم عبدوا الطاغوت، وعبادة الطاغوت هنا عامة يدخل فيها كل عبادة، سواء كانت تلك العبادة للأوثان من القبور والأشجار أو الأصنام أو ما شابه ذلك، وما دام أن هذا قد وقع في هذه الأمة - الأمة الغضبية أمة اليهود - والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبرنا أنه سيقع بسبب تقليد هذه الأمة أو بعض أفراد هذه الأمة لتلك الأمة اليهودية التي غضب الله عَزَّوَجَلَّ عليها ولعنها.

ثم ذكر المصنف ما جاء في أصحاب أهل الكهف ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾، أصحاب الكهف معلومٌ أنهم مؤمنون آمنوا بالله عَزَّوَجَلَّ وفرُّوا بدينهم، وقد وقعت لهم كرامة أن الله عَزَّوَجَلَّ جعلهم ينامون تلك السنين أكثر من ثلاثمائة سنة، ثم استيقظوا وحالهم علىٰ ما هم عليه، فقال أصحاب القوة والمَنَعة علىٰ ما رجحه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أننا سنتخذ عليهم مسجدًا، ومقصودهم من ذلك: أن يُتبرَّك بهم ويُعبد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عندهم. وهذا أيضًا مثله مثل ما تقدم من الآيات أنه إذا كان هذا الأمر قد وقع من تلك الأمة فإنه سيقع من هذه الأمة، والدليل هو هذا الحديث الذي ذكره المصنف: «**لتتبعن سَنن**» وأيضًا يجوز فيها سُنَن.

فـ(سَنَن) بالفتح هي طريق واحد، وأما بالضم فهي طُرُقٌ كثيرة، **أي**: لتتبعن الطرق.

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ يعني من شدة الاتباع والتقليد **قال:** «حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ»، والمقصود بالقذة: هي الريشة التي تكون في السهم، ومن شدة اتباعهم كما أن هذه الرِّيَش مصطفة اصطفافًا يتبع بعضها بعضًا فإن هذا سيقع من هذه الأمة، حتىٰ إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد **قال:** «حَتَّىٰ لَوْ دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوْهُ»، وهذا من شدة التقليد والتشبه بتلك الأمة.

ثم إن الصحابة قالوا: **(يَا رَسُوْلَ اللهِ، اليَهُوْدَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ:** «فَمَنْ؟» **أي:** مؤكدًا لهذا الأمر، أو أنه أسلوب يستنكر عليهم إن لم يكونوا اليهود والنصارىٰ.

ثم ذكر حديث ثوبان وذكر فيه أمورًا سنقتصر علىٰ الشاهد مما في هذا الحديث، وهو قوله: «وَلَا تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِيْنَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ»، والفئام هم الجماعات، وهذا خبرٌ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن هذا واقع، والخبر منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقبل التكذيب، ولا يقبل أيضًا النسخ.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١]. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجِبْتُ: السِّحْرُ، والطَّاغُوْتُ: الشَّيْطَانُ.

وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّوَاغِيْتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيْمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ».

وَعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوْعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: الصَّحِيْحُ أَنَّهُ مَوْقُوْفٌ.

وَفِي صَحِيْحِ البُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ؛ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا**؛ أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا؛ فَقُتِلَتْ. وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ.**

قَالَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ذكر هذا الباب وهو (**بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ**) **أي**: ما جاء فيه من الوعيد الشديد ومن التحذير منه، وذلك أن السحر لا يحصل إلا عن طريق الشرك والكفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وذلك بادعاء علم الغيب، أو بالذبح لغير الله، أو بالاستعانة والاستغاثة والاستعاذة بالشياطين، وغير ذلك مما يفعله السحرة من امتهان دين الله، من امتهان المصحف أو غير ذلك، وهذا لا شك أنه أمرٌ يخرج من ملة الإسلام، والعياذ بالله! ولذلك ذكره المصنف حتىٰ يحذر منه الناس، لأن بعض الضُّلال يلبِّس علىٰ الناس بأن بعض من يقع علىٰ أيديهم من هذا السحر أنهم أولياء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فأراد الشيخ أن يجلِّي حكم السحر وما جاء فيه من الوعيد والتحذير منه، فذكر هذا الباب وعَقَده.

والسحر – كما يعبِّر عنه أهل العلم – يقولون من حيث اللغة: هو ما خفي ولطُف سببه.

وأما شرعًا: فهي عزائم ورُقىٰ وعُقَد وأعمال يعملونها لتؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض بها الإنسان وربما يُقتل، وأيضًا ربما يُفرَّق بينه وبين زوجته.

والعزائم: هي الرُّقىٰ التي تُكتب في الورق.

وأما الرُّقىٰ هي التي تُقال.

وأما العُقَد هي التي تُستعمل من الخيوط وغيرها.

السحر محرم، ولذلك ذكر الشيخ جملة من الآيات التي تدل علىٰ هذا وبيَّنه، وذلك حينما ذكر **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾ والمراد بالضمير في **(عَلِمُوا)** المراد به اليهود، والضمير في **(اشْتَرَاهُ)** عائدٌ إلىٰ السحر، **أي:** أنهم استبدلوا بكتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك السحر وأخذوه، فكان جزاؤهم أنهم ليس لهم في الآخرة نصيب، وهذه الآية تدل دلالة صريحة علىٰ حرمة السحر وبيان خطره وسوء عاقبته.

ثم ذكر المصنف – رحمنا الله وإياه – **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾، وقد فسَّره **بقول** ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال: (الجِبْتُ: السِّحْرُ، والطَّاغُوْتُ: الشَّيْطَانُ)**، وهذا قد مر معنا في أبوابٍ سابقة في الكلام علىٰ الجبت، وكذلك أيضًا في الكلام علىٰ الطاغوت، وقد ذكرت لكم تفسير ابن القيم للطاغوت بأنه ما تجاوز فيه الحدُّ من متبوعٍ أو معبودٍ أو مُطاع.

والشاهد عندنا هنا قال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾ وهو السحر، وهذا ذمٌّ له وبيان ما هم عليه من ضلالٍ مبين، والعياذ بالله! فهذا دل أيضًا على حرمة السحر، وكذلك أن من يتعامل معه بأن يكون ساحرًا فقد وقع في الكفر والضلال المبين، والعياذ بالله!

ثم قال: (**وَقَالَ جَابِرٌ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **الطَّوَاغِيْتُ: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ؛ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ**)، وأراد جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هنا أن الكُهَّان هم من الطواغيت، والدليل على هذا أن الشياطين تنزَّل عليهم، والشيطان لا ينزل إلا على وليِّه الذي يواليه ويقدِّم له ما يريده منه من الكفر، والعياذ بالله! فهم يخاطبون أولئك الكُهَّان ويخبرون بما يسترقونه من السمع كما مر معنا في الأبواب السابقة.

وقوله: (**فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ**) **أي:** في كل قبيلة من هذه القبائل يوجد كاهنٌ يتحاكمون إليه ويختصمون إليه، وهذا أيضًا فيه بيان ذمِّ أولئك السحرة، وبيان أنهم من الطواغيت وأنهم أولياء للشياطين.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**»، **قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ:** «**الشِّرْكُ بِاللهِ**»، وهذا قد تقدم معنا وذكرنا تعريفه، وأيضًا ذكرنا إلى كم قسم ينقسم.

ثم قال: «**وَالسِّحْرُ**» فالسحر والشرك من الموبقات، أي من المهلكات، وسُمِّيت موبقات لأنها تهلك صاحبها، تهلكه في الدنيا وذلك بما يترتب عليه من العقوبات التي تُقام عليه، لا سيما الساحر كما سيأتي معنا من فعل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ولما جاء في السنة.

ثم قال: «وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ»، والنفس التي حرم الله عَزَّوَجَلَّ قتلها هي نفس المسلم، نفس المؤمن المعصوم، وأيضًا المعاهَد والذِّمِّي، فإن النفس المؤمنة لا تُقتل إلا بأحد أمورٍ ثلاث: إما بتركه لدينه كما صح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يحل دم امرئ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: التارك لدينه المفارق للجماعة، والنفس بالنفس**» وهذا هو القصاص، وذكر الزاني المحصَن حينما يزني فإن حدَّه الرجم حتى الموت.

ثم ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الربا وذكر أكل مال اليتيم، وذكر أيضًا التولي يوم الزحف، والمراد به الذي يفر أثناء ملاقاة جيش المسلمين للكفار، فيفِرُّ مدبرًا تاركًا مناصرة المسلمين.

ثم قال: «وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ»، والمحصَنات - بالفتح - هن النساء المحفوظات من الزنا، وأما إذا قلنا (المحصِنات) فالمراد بها اللاتي يحفظن فروجهن أو اللاتي حفظن فروجهن، وهن الحرائر العفيفات.

وأما القذف فهو من رميهن بالزنا وبالفاحشة، والعياذ بالله!

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ آثارًا مروية عن الصحابة، منها ما هو مرفوع ومنها ما هو موقوف، ومنها ما ذكره وهو حديث جندب: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»، وأيضًا أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عُمَّاله (**أَنِ اُقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ**)، وأيضًا فِعْل حفصة وفعل جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

فهذه الآثار تدل بمجموعها على أن حدَّ الساحر القتل.

۞ **وقد اختلف أهل العلم: هل يُستتاب أو لا يُستتاب؟**

وهذا محله في كتب الفقه.

۞ **وأيضًا: هل قتله حدًا أو تعزيرًا؟**

وهذا أيضًا محله في كتب الفقه، فإنهم قد تكلموا علىٰ هذا وبيَّنوه، ولكن الذي يهمُّنا أن الساحر مفسد، وفساده أيَّما فساد، وذلك أنه يسعىٰ في التفريق بين المؤمنين ويضرُّهم وغير ذلك من المفاسد العظيمة التي تقع منه، ولذلك ذهب بعض أهل العلم بأنه لا يُستتاب، وإنما يُقتل لعظيم شرِّه وعظيم خطره علىٰ الأنفس.

ولكن هنا أحب أن أنبِّه علىٰ شيء وهو ما جاء أن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتِلت، فإنه قد ذكر بعض أهل العلم أن عثمان بن عفان أمير المؤمنين قد أنكر عليها؛ لأنها قتلتها دون إذنه، لأن إقامة هذا الحد أو هذا التعزير علىٰ الكافر ليس لكل أحد، وإنما هو للسلطان، هو الذي يقوم بهذا، ولذلك جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: أمْرُهم إلىٰ السلطان، هو يحكم في ذلك، والقتل عليهم إذا كان ذلك وتبين أمرهم.

فإذن: ليس لكل أحدٍ أن يقتل الساحر أو أن يقوم بأيِّ حدٍّ أو بأيِّ حكمٍ من قِبَل نفسه، وإنما ذلك راجعٌ إلىٰ ولي أمر المسلمين، هو الذي يقوم بهذا، ولذلك وجب التنبيه حتىٰ نتنبه إلىٰ مثل هذه الأمور ونحذر منها، فلا يندفع الإنسان إلىٰ فعل ما هو من خصائص ولي الأمر.

❖ ❖ ❖

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ؛ حَدَّثَنَا عَوْفٌ؛ عَنْ حَيَّانَ بْنِ العَلَاءِ؛ حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيْصَةَ - وهو قبيصة بن مخارق - عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ».

قَالَ عَوْفٌ: العِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ، وَالجِبْتُ؛ قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانِ. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيْحِهِ المُسْنَدِ مِنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُوْمِ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيْحٌ.

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَنْ عقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيْهَا؛ فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِلَ إِلَيْهِ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ. هِيَ النَّمِيْمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ **أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِنَّ مِنَ البيَانِ لَسِحْرًا»**.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ حينما ذكر السحر وما فيه من الوعيد أراد أن يبين شيئًا من أنواع السحر وذلك أن أنواع السحر كثيرة، وهي خافية علىٰ كثير من الناس، ولذلك أراد الشيخ أن يبين هذا الأمر حتىٰ يحذر المؤمن من تلك الأنواع التي ربما يُلبِّس بها بعضُ أهلها علىٰ المسلمين، فيجعل نفسه وليًا لله بذلك التلبيس الذي وقع منه.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث قَطَن بن قبيصة عن أبيه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ»**.

العيافة هي زجرُ الطيرِ وتنفيرُها، وهذا كان يفعله أهل الجاهلية إذا أرادوا أن يعملوا عملًا أو أرادوا أن يسافروا، فمرادهم من هذا أن الطير إذا أخذ يمينًا تفاءلوا به، وإذا أخذ شمالًا تشاءموا منه، وهذا يقع منهم علىٰ سبيل التفاؤل بذلك الطير إما بأسمائها وأصواتها أو غير ذلك.

وأما الطَّرْق فقيل أنه الخط كما ذكره عوف، الذي يُخط علىٰ الأرض، وهو عمل الرَّمَّالين.

وقيل أيضًا هو ضرب الحصىٰ، يأخذون الحصىٰ فيضربونه في الأرض ثم بعد ذلك يقولون كلامًا من قِبَل أنفسهم أو ما توحي به الشياطين إليهم.

وأما الطِّيَرة فهي التشاؤم إما بمرئي أو مسموع، وسيأتي - إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ - ما يتعلق بالطيرة والكلام عليها.

وأما الجبت فهو السحر، وهو من عمل الشيطان.

وقال عنه الحسن كما ذكر الشيخ: هي رنة الشيطان. **أي**: صوت الشيطان.

وهذا الحديث يدلُّنا علىٰ أن هذه الأعمال التي ذُكِرت أنها من عمل الشيطان، وذلك أن هذا السحر إنما هو ما خفي ولطف سببه، والحاصل من هذه الأمور إنما يكون بأمرٍ خفي يتسلل إلىٰ القلوب وإلىٰ النفوس دون أن يشعر به، فلا يدري الإنسان إلا وقد وقع في الكفر والعياذ بالله!.

فهذا وجه الشاهد: أنه حينما قال: إن العيافة...

ثم ذكر المصنف - رحمنا الله وإياه - **قال: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا **قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُوْمِ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ؛ زَادَ مَا زَادَ**».

«**مَنِ اقْتَبَسَ**» **يعني**: من أخذ وحصَّل وتعلَّم «**شُعْبَةً مِنَ النُّجُوْمِ**» المراد بها طائفة، وهو جزء من علم النجوم، كما جاء في الحديث: «**الحياء شعبة من الإيمان**» **أي**: طائفة من الإيمان وجزءٌ من الإيمان.

قال: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُوْمِ**»، وهذا يدلُّنا علىٰ تحريم تعلم هذا العلم وهو العلم المتعلق بالنجوم، **ووجه هذا:** أن الذي يتعلم علم النجوم فإنه سيدَّعي أنه يعلم الغيب، ولذلك جعله النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من السحر.

فالوجه الذي يجمع بينه وبين السحر هو ادعاء علم الغيب.

ثم إن قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**زَادَ مَا زَادَ**» **بمعنىٰ:** أنه كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل، وهذا بسبب اقتباسه تلك الشُّعَب التي يقتبسها.

وبالمناسبة: علم النجوم - كما ذكر أهل العلم - أنه ينقسم إلىٰ قسمين:

❁ **الأول:** علمٌ جائز، وهو ما يُعرف من خلال النجوم بمعرفة الطريق ومعرفة الجهات والأوقات وما شابه ذلك، وهذا يكون بالاستدلال عن طريق الشمس والقمر والنجوم، كما هو واقعٌ من معرفة أوقات الصلاة ومن جهة القبلة، وأيضًا معرفة الطرق وكيف يتجه شمالًا وجنوبًا وغير ذلك، وهذا جائزٌ لا شيء فيه، ويسمىٰ هذا بعلم (التسيير).

❁ **الثاني:** وهو المحرم، وهو ما يدَّعيه أهل التنجيم من معرفة الحوادث التي لم تقع، كمجيء الأمطار أو حدوث كوارث أو موت فلان أو حياة فلان، أو غير ذلك من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، فهذا لا شك أنه محرَّمٌ وكفرٌ ومخرج من ملة الإسلام، والعياذ بالله!، ويسمىٰ هذا بعلم (التأثير).

ثم قال المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ: **وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** «**مَنْ**

عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا؛ فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِلَ إِلَيْهِ»، فهنا قوله: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً**» **أي**: يبين فيه أن من أنواع السحر ما يكون عن طريق تلك العُقَد التي يعملها الساحر، فإن الساحر إذا أراد السحر فإنه يعقد تلك العُقَد من الخيوط وغيرها ثم ينفث فيها.

والنفث: هو النفخ مع شيءٍ من الريق.

ثم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مما يدل علىٰ أن الأمر هذا عظيمٌ جدًا، وأنه لا يفعله إلا المشرك، **قال**: «**وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**»، فدل علىٰ أن الساحر مشرك، وأن أعماله أعمالٌ شركية، ومن أعماله: عَقْد تلك العُقَد التي يفرِّق بها بين المرء وزوجه.

ثم قوله: «**وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا؛ وُكِلَ إِلَيْهِ**» من تعلَّق قلبه - وهذا كما تقدم معنا - بشيءٍ مما يعتمد عليه ويرجوه فإن الله عَزَّوَجَلَّ يوكله إلىٰ ذلك الشيء ويخلِّي بينه وبينه، وهذا هو ...

ثم ذكر الشيخ - رحمنا الله وإياه - **قال**: (**وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «**أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضَهُ. هِيَ النَّمِيمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**».

العَضَه هكذا يذكرها أهل الحديث، وأما أهل اللغة فيقولون: العِضَة، ففيها هذان الوجهان.

قال: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» هذه أداة تنبيه.

ثم قال: (**هل**) وهذه للاستفهام.

(**أنبئكم**) بمعنىٰ أخبركم.

والعضة أو العَضَه الأصل فيها هي البهت والكذب، والعياذ بالله! ولذلك فسرها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالنميمة، لما يغلب علىٰ حال النَّمَّام من الكذب والسعي في الإفساد، ونقل الكلام بين الناس لإفساد العلاقات التي بينهم، ولذلك قال يحيىٰ بن أبي كثير: يُفسد النَّمَّام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.

أما وجه ذِكْر النميمة أنها من السحر؛ ذلك أن النمام يقصد الأذىٰ بكلامه وعمله علىٰ وجه المكر والخديعة، والساحر كذلك، فهو شابه الساحر من وجه التفريق، وأيضًا من وجه المكر والحيلة، والعياذ بالله!

ثم قال: «هِيَ النَّمِيْمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» يعني: كثرة القول لإيقاع الخصومة بين الناس بما يُحكىٰ لبعضهم عن بعض.

ثم قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا؛ **أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»**، متفق عليه.

البيان: المراد به اجتماع الفصاحة وذكاء القلب. فهذه هي الفصاحة. وشبهه بالسحر؛ وذلك لشدة أثر البيان في نفس السامع وسرعة قبول القلب لما يقوله المتكلم، ولذلك أخبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الحديث **قال: «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض»**، وذلك بسبب البيان الذي معه، **قال: «فأقضي له بحق أخيه، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها»**.

واختلف أهل العلم في الحديث: هل سياقه للمدح أو للذم، قولان لأهل العلم:

فمنهم من يقول: إنه إنما سِيْق من أجل الذم وخرج مخرج الذم، وذلك لبيان أن بعض البيان مفسِد، يقلب الحق باطلًا والباطل حقًا.

وقيل إنه للمدح، وهذا يميل إليه أهل اللغة وأهل الأدب.

والصواب أن البيان علىٰ نوعين: منه ما هو مذموم، ومنه ما هو ممدوح.

فالمذموم: هو الذي يجعل الحق في صورة الباطل، ويجعل الباطل في صورة الحق. فلا شك أن هذا باطل، هو مذموم ومحرم، وهذا هو الذي يكون باعتبار السحر.

وأما الممدوح: فهو الذي يوضِّح الحقائق ويقررها، وأيضًا يبين بطلان الباطل ويوضحه للناس.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي صَحِيْحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا».

وَعَنْ أَبِي هُرِيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالحَاكِمِ - وَقَالَ صَحِيْحٌ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ».

وَلِأَبِي يَعلَىٰ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ مِثْلُهُ مَوْقُوْفًا.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرْفُوْعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِّرَ لَهُ، ومَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا؛ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ». رَوَاهُ البَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - دُوْنَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَىٰ» إِلَىٰ آخِرِهِ -.

قَالَ البَغَوِيُّ: العَرَّافُ: الَّذِيْ يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الأُمُوْرِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَىٰ المَسْرُوْقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقِيْلَ هُوَ الكَاهِنُ، وَالكَاهِنُ: هُوَ الَّذِيْ يُخْبِرُ عَنِ المُغَيَّبَاتِ فِي المُسْتَقْبَلِ، وَقِيلَ: الَّذِيْ يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيْرِ.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: العَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ؛ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُوْرِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُوْنَ (أَبَا جَادٍ) وَيَنْظُرُوْنَ فِي النُّجُوْمِ: «مَا أَرَىٰ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ».

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

المصنف – رحمنا الله وإياه – ذكر هذا الباب وهو (**بَابُ مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ**) **أي**: في بيان حكمهم وما جاء فيهم من الوعيد، وأيضًا في حكم من يذهب إليهم، وذلك أن الكهانة لا تخلو من الشرك المنافي لأصل التوحيد؛ لما فيها من ادعاء علم الغيب، وأيضًا لما فيها من التقرب إلىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الاستعانة بالشياطين ونحو ذلك.

ثم ذكر المصنف ما رواه مسلمٌ في صحيحه عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وقيل أنها حفصة – عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا».

وفي حديث أبي هريرة **قال:** «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وفي حديث أبي هريرة أيضًا الآخر **قال:** «فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ».

ففي هذه الأحاديث الثلاثة حديثان متَّفِقان في أمرٍ وهو الكفر بما أُنزل علىٰ محمد، وأما الحديث الأول فذكر أنه لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا.

وهذا قد استشكله بعض أهل العلم: كيف يكون كفر بما أُنزل علىٰ محمد وكيف لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا؟

يقولون: لأن الذي لا تُقبل له صلاة أربعين يومًا لا يدل علىٰ كفره، والدليل أن العبد إذا أبَقَ من سيده فإنه لا تُقبل له صلاة حتىٰ يرجع، **بمعنىٰ:** أنه لا يؤجر عليها وإن كان ملزَمًا بأداء الصلاة، ولذلك كان لأهل العلم في توجيه هذه الأمور قولان:

القول الأول: أن الوعيد علىٰ عدم قبول الصلاة محمولٌ علىٰ مجرد المجيء فقط والسؤال دون التصديق؛ لأن الذي عند مسلم في أصوله أنه ليس فيه (فصدَّقه). وأما الأمر الذي فيه الكفر بما أُنزِل علىٰ محمد فإنه محمولٌ علىٰ مجيئه إليه وتصديقه لذلك العرَّاف أو ذلك الكاهن.

هذا هو القول الأول، وهذا قول صاحب التيسير سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وأيضًا هو ما ذهب إليه الشيخ ابن باز رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ جميعًا.

والقول الثاني: أنه لا يكفر كفرًا أكبر مخرجًا من ملة الإسلام، فإذا كان لا يكفر كفرًا أكبر مخرجًا من ملة الإسلام فإنه لا تعارض بين الحديثين، فيكون كفرًا أصغر، وهذا ما ذهب إليه صاحب فتح المجيد. والله أعلم بأيِّ القولين أصوب وأرجح، فلكلا القولين وِجهته ونظره.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **قال**: **(وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوْعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِّرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا؛ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»)**.

هنا قوله: **«لَيْسَ مِنَّا»** هذا وعيدٌ شديدٌ ودالٌّ علىٰ أن جميع هذه الأعمال من الذنوب الكبيرة جدًا.

و**(تَطَيَّرَ)** بمعنىٰ أنه فعل الطِّيَرة.

(أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ) بمعنىٰ: أمر من يتطير له وقَبِل قول ذلك الذي تطير له وتابعه علىٰ فعله.

(أَوْ تَكَهَّنَ) بمعنىٰ أنه فعل الكهانة.

(أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ) أي: بمعنىٰ أنه ذهب إلىٰ كاهن وسأله فصدَّقه. ومثله **(سَحَرَ أَوْ سُحِّرَ لَهُ)** فهذه الأمور كلها قد نهىٰ عنها الشرع وبيَّن أنها لا تجوز، فلا يجوز للإنسان أن يتطير أو أن يتكهن أو أن يعمل السحر، فإن هذه الأمور كلها محرمة، ولا يجوز له أن يطلب من غيره أن يفعل تلك الأفعال المحرمة، فإنه لا يكون من المسلمين، لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: **«ليس منا»** والحديث مرفوع، **قال**: **«ليس منا» أي**: ليس من المسلمين.

وهنا لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ العرَّاف والكاهن، العرَّاف قيل أنه هو الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدِّمات يستدل بها علىٰ المسروقات.

والكاهن هو الذي يأخذ عن مسترقي السمع، **يعني**: عن الشياطين الذين يسترقون السمع في صعود بعضهم علىٰ بعض حتىٰ يصلوا إلىٰ عنان السماء.

وأيضًا الرَّمَّال هو الذي يدعي معرفة الغيبيات، وذلك بطريق ضرب الحصىٰ في الرمل أو بالخط علىٰ الرمل.

وأيضًا يدخل معهم المنجِّم، وهو الذي يستدل بالأحوال الفلكية علىٰ ما يقع في هذه الأرض.

هذه الأسماء كلها يجمعها شيءٌ واحد وهو ادعاء معرفة شيءٍ من علم الغيب، فهي طُرُقٌ مختلفة لكنها تؤول إلىٰ معنىٰ واحد، وعلمُ الغيب لا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قال ابن تيمية كما ذكر الشيخ: **(العَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ؛ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الأُمُوْرِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ)**.

فإذن: هم طريقهم واحد، والسبب الذي حملهم علىٰ هذا هو ادعاؤهم علم الغيب.

ثم ذكر أثر ابن عباس **قال**: **(فِي قَوْمٍ يَكْتُبُوْنَ (أَبَا جَادٍ)**، والمقصود بـ (أبا جاد) هي ما يقع من حساب الجُمَل، فالحروف كانوا يقطعونها فيقولون: أبجد هوَّز حطي كلمن.. إلىٰ آخر ما جاء في مثل هذه الأمور. فالألف يعتبرونها عن واحد، والباء عن اثنين، والجيم عن ثلاثة، وهكذا إلىٰ آخر الحرف العاشر، ثم يبدؤون بغير ذلك حتىٰ ينتهوا من الحروف كلها.

وتعلم حروف (أبا جاد) تنقسم إلىٰ قسمين: منها ما هو جائز، ومنها ما هو محرم.

فأما المحرم فهو لمن يدَّعي بتعلمها معرفة علم الغيب، وهو الذي ذمَّه ابن عباس وحذَّر منه، فهم يستعملون هذه الحروف وينظرون في النجوم، ولذلك **قال**: «**مَا أَرَىٰ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ**» **أي**: ليس له نصيبٌ عند الله يوم القيامة.

وأما الجائز منه فهو لمن يتعلمها للهجاء وحساب الجُمَل وغير لك، ولذلك تجدون في بعض شعر الشعراء أنهم يذكرون أشعارًا ويذكرون من ضمنها هذه الحروف، فيؤخذ منها معرفة السنة ومعرفة الشهر ومعرفة اليوم.

فمن تعلَّم أبا جاد من أجل معرفة الغيب فلا شك أنه قد وقع في ادعاء علم الغيب، وهو واقع في الحرام.

❁ ❁ ❁

بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ.

وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا، فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُوْدٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ.

وَفِي البُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ؛ قُلْتُ لِابْنِ المُسَيِّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ؛ أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُوْنَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ.

وَرُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحُلُّ السِّحَرَ إِلَّا سَاحِرٌ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحرِ عَنِ المَسْحُوْرِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِيْ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ - وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ - فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمُنْتَشَرُ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المَسْحُوْرِ.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالدَّعَوَاتِ وَالأَدْوِيَةِ المُبَاحَةِ؛ فَهَذَا جَائِزٌ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هنا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر السحر وذكر أنواع السحر وأيضًا الكهانة؛ أراد أن يبين بأيِّ شيءٍ ينكشف السحر، بأي شيءٍ يُزال السحر عن المسحور.

وأيضًا أراد أن ينبِّه بأن غالب ما يفعله كثيرٌ من الناس أنهم يستعملون حل السحر عن المسحور بالسحر، وهذا لا شك أنه شركٌ منافٍ لأصل التوحيد.

النُّشْرة قيل هي من حيث اللغة: الكشف والإزالة.

وأما من حيث الشرع: فهي حل السحر عن المسحور بنوعٍ من العلاج المباح والرقية الشرعية.

وسُمِّيت نُشْرة لأنه يُنَشَّر بها ما أصاب ذلك المسحور وما خامره من ذلك السحر، فيُكشف عنه ويُزال.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ حديث جابر (**أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ:** «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»، وهذا يدل علىٰ تحريم النُّشْرة التي هي من عمل الشيطان وهي حل السحر بالسحر. وهذا الذي كان عليه ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولذلك قال أحمد لما سُئِل عنها: (**ابْنُ مَسْعُوْدٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ**) **بمعنىٰ:** يحرِّمه، **أي:** يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان، فيحرِّم هذا.

فالكراهة عند السلف هي بمعنىٰ التحريم كما تقدم.

ثم ذكر أثر سعيد بن المسيب يقول: (**لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُوْنَ بِهِ الإِصْلَاحَ**)

يعني: النُّشْرة. لأنه سئل عن رجل به طِبٌّ أو يؤخذ عن امرأته، **يعني**: يُحبس عن امرأته فلا يستطيع يصل إليها، **قال**: أيُحَلُّ عنه هذا الأمر أو يُنشَّر؟ **قال**: (**لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُوْنَ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ**).

هذا فهم منه بعضهم أن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرىٰ جواز النُّشرة التي هي بالسحر، وهذا - كما نبَّه عليه بعض أهل العلم - بعيدٌ جدًا، لأنه **قال**: (**لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيْدُوْنَ بِهِ الإِصْلَاحَ**)، وأيُّ إصلاحٍ يوجد في السحر؟ فالسحر ليس به إصلاح.

ثم أكَّده **بقوله**: (**فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ**) **أي**: ما ينفع الناس، وهذا لا يكون إلا بالرُّقىٰ الشرعية والأدوية المباحة.

ثم ذكر الأثر الوارد عن الحسن حيث **قال**: (**لَا يَحُلُّ السِّحَرَ إِلَّا سَاحِرٌ**)، هذا إما يُحمل علىٰ ظاهره بأن الحسن يقول أنه يجوز أن يُحل السحرُ بالسحر مثله، بأن يُذهب به إلىٰ الساحر، أو أن يُقال أنه يريد به النهي عنه، وهذا إنما قاله علىٰ سبيل التحذير، ولذلك جاء في مصنف ابن أبي شيبة عن الحكم بن عطية **قال**: سألت الحسن عن النُّشْرة، **فقال**: «**من عمل الشيطان**».

فإذن: النُّشْرة -التي تكون حل السحر عن المسحور بالسحر- محرمةٌ لا تجوز، لما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هي من عمل الشيطان**»، ولذلك ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن القيم أنه **قال**: (**النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحَرِ عَنِ المَسْحُوْرِ، وَهِيَ نَوْعَانِ**:

أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِيْ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ - وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ)، وهذا الذي يُظن بأولئك العلماء الكبار، لأن السحر مصيبته عظيمة، والساحر لن يقبل بأن يحل السحر عن المسحور إلا أن يتقربوا إليه وأن يقدِّموا له ما يريد، ولذلك قال ابن القيم: (**فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمُنْتَشَرُ إِلَىٰ الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ**).

وأما الجائزة فهي النُّشْرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز، وهذا يتماشي علىٰ الأصل الذي مر معنا بحرمة السحر وحرمة تعاطيه وحرمة تعلمه، فإن ذلك كله محرم، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأَعْرَاف:١٣١].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ١٩﴾ [يس:١٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ، وَلا صَفَرَ». أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلا نَوْءَ وَلا غُوْلَ».

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ». قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

وَلَهُ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوْعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ - ثَلَاثًا - وَمَا مِنَّا إِلَّا؛ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَجُعِلَ آخِرُهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ». قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُوْلَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وَلَهُ مِنْ حَدِيْثِ الفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ».

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب عقده المصنف حتى يبين حكم الطِّيَرة وما جاء فيها من الوعيد الشديد، وذلك أن الطِّيَرة شرك، وهي منافية لأصل التوحيد أو كماله.

ووجه منافاتها للتوحيد من وجهين:

❁ **الوجه الأول**: أن المتطيِّر قطع توكله بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واعتمد على غير الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ **والثاني**: أنه تعلق بأمرٍ لا وجود له في الحقيقة، بل هو وهمٌ وخيالٌ زيَّنه له الشيطان.

والطِّيَرة - كما تقدم - إما أن تنافي أصل التوحيد أو تنافي كماله، تنافي أصل التوحيد إذا كانت شركًا أكبر، وذلك إذا اعتقد المتطيِّر أنها تضر وتنفع بذاتها، وتكون شركًا أصغر، وذلك أن يعتقد أنها سببٌ لجلب الخير أو دفع الشر، وقد تقدم معنا في القاعدة: أن من جعل الشيء سببًا وهو ليس بسببٍ لا في الشرع ولا في القدر فقد وقع في الشرك.

والتطيُّر قد عرَّفه أهل العلم فقالوا: هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.

كيف يكون بالمرئي؟ قالوا: مثل الألوان ومثل الأرقام أو ما شابه ذلك.

أو مسموع: بما يسمعه من الكلام السيء فيؤثر في نفسه.

أو معلوم: كالتشاؤم بالأيام والشهور.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ مستدلًا علىٰ تحريم التطير **بقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١]، **وَقَوْلُهُ** ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس:١٩].

والشاهد من هاتين الآيتين: أن التطير من أعمال الكفار، وقد ذمَّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومقت أصحابه، وبهذا يُعرف أن المؤمن لا يجوز له أن يتشبَّه بالكفار بما يعتقدون، وبما يقولون ويفعلون.

الآية الأولىٰ نزلت في فرعون وقومه، والآية الثانية نزلت في الرسل الذين أرسلهم الله عَزَّوَجَلَّ كما في سورة يس.

فهاتان الآيتان دلَّتا علىٰ أن التطير من أعمال الكفار، وقد ذمَّهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومقتهم، ولذلك يجب علىٰ المسلم أن ينأىٰ بنفسه عن الأسباب الجالبة لمقت الله وذمِّه، وأيضًا الأسباب التي تجعله متشبهًا بالكفار.

ثم ذكر المصنف - رحمنا الله وإياه - حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قَالَ**: «**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**». **أَخْرَجَاهُ**) يعني: البخاري ومسلم. (**زَادَ مُسْلِمٌ**: «**وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ**».

هذا الحديث ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ليبين أن جميع هذه الأمور هي من أمور الجاهلية، وأنها منفية، والشاهد منه هنا حينما **قال**: (**وَلَا طِيَرَةَ**) وهي التي تقدمت معنا، ولكن لابد من الوقوف مع قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: (**لَا عَدْوَىٰ**)، والعدوىٰ: هي انتقال المرض من المريض إلىٰ الصحيح.

وهل المراد نفي العدوىٰ مطلقًا، أم أنه يُراد نفي عدوىٰ مخصوصة؟ لا، ليس نفي العدوىٰ مطلقًا، بمعنىٰ أنه ليس نفي لحقيقة العدوىٰ، فالعدوىٰ موجودة، وهي بسبب مخالطة الصحيح للمريض، ولذلك **قال**: «**لا يورد ممرضٌ علىٰ مصح**»، ولكن هذه العدوىٰ لا تكون إلا بإذن الله، ولا تنتقل إلا بأمر الله، ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردَّ علىٰ أهل الجاهلية الذين كانوا يعتقدون أن المرض يُعدي بطبعه دون إرادة الله ودون تقديره، ويوضِّح هذا لما سأله رجلٌ عن الإبل تكون صحيحة سليمة فيأتيها الجمل الأجرب فيخالطها فيصيبها الجَرَب كلها، فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أعدىٰ الأول؟**» **أي**: من أصاب الأول؟ هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، هو الذي قدَّر عليه أن يصيبه الجرب.

فنفىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يعتقده أهل الجاهلية، ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفىٰ هذا، وأيضًا حذرنا بأن نتخذ الأسباب **فقال**: «**لا يورد ممرضٌ علىٰ مصح**»، و**قال**: «**فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد**».

وأما الطيرة فقد تقدم تعريفها.

وأما الهامة: فهو طير البومة أو غيره، وكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفاه هنا محذرًا منه؛ ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن البومة أو ذلك الطير إذا وقع على بيت أحدٍ فإنه نذيرٌ له بأنه سيموت أو سيموت أحدٌ من أهله، فجاء هذا الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

وأما صَفَر فهو شهر صفر، وقيل: شهر صفر لماذا؟ لأن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون به.

وقيل: هي دودة تصيب بعض الدواب في بطنها فتنتقل من هذا إلى هذا بسبب العدوى. وهذا مرتبطٌ **بقوله**: «**لا عدوى**».

وأما النوء فهو الكوكب، وقيل: النجم، وسيأتي له بابٌ مستقلٌ في الحديث عنه بالتفصيل.

وأما الغول فهو واحد الغيلان، وهو جنسٌ من جنس الشياطين، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون أنها تعرض لهم أو تتعرض لهم في الطريق فتضلهم وتهلكهم، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفى ذلك وبيَّن لهم أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك ما دام أن العبد متوكلٌ على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومعتمدٌ عليه وذاكرٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم قال المصنف - رحمنا الله وإياه -: (**عَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**». **قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ**: «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»، فهنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا نفى العدوى والطيرة، والشاهد هنا **قال: (وَلا طِيَرَةَ)**.

ثم قال: (وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ) وفسره النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة هي الكلام الحسن الذي يسمعه الإنسان فيسرُّه ويقوِّيه، كأن يقول للمريض سالم، أو طيب، فهذا الكلم الطيب يبعث في النفس القوة والفأل الحسن، وكذلك الظن الحسن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، علىٰ خلاف الطيرة، فإن الطيرة فيها سوء ظن بالله عَزَّ وَجَلَّ.

والفرق بين الطيرة والفأل: أن الطيرة منهيٌّ عنها، والفأل مندوب إليه.

وقيل: إن الطيرة فيها سوء ظن بالله كما تقدم، وأما الفأل ففيها حسن ظنٍّ بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وقيل أيضًا إن الطيرة تكون فيما يضر، والفأل إنما يكون فيما يسر.

والفأل ليس هو من الطيرة أبدًا، والشبه بينهما فقط في ملحظٍ واحد من حيث الإقدام، فإن الفأل يجعل الإنسان يقدم ويكون نشيطًا ومحسنًا الظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والطيرة فيها أيضًا من هذا الملحظ من هذا الجانب.

إذن نستطيع أن نقول: إن وجه الشَّبَه بينهما هو في التأثير في كُلٍّ منهما، لكن تلك تؤثر في الشر وهذه تؤثر في الخير.

فإذن: ليس الفأل من الطيرة أبدًا.

ثم قال المصنف - رحمنا الله وإياه -: **(وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا»** **يعني**: الطيرة لا ترد مسلمًا، والعبارة لها مفهوم مخالفة، وهو أن الكافر هو الذي ترده الطيرة كما قال الطيبي: (تعريض بأن الكافر بخلافه).

ثم قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ**»، وهذا أحد أسباب ورود الطيرة علىٰ الإنسان أنه إذا رأىٰ شيئًا يكرهه، مثلًا أن يكون رأىٰ حاجزًا أو رأىٰ منظرًا كريهًا أو ما شابه ذلك وهو قد خرج في حاجة له، فهنا السبب وُجِد لقذف الطيرة في قلبه من الشيطان، فالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال**: «**فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ**» **أي**: من هذه المناظر المؤثرة أو من المسموعة أو من المرئية أو من المعلومة، **يعني**: هذه الأشياء حدثت له، **قال**: (**فَلْيَقُلْ**) **يعني**: حتىٰ يذهب ما في قلبه من التطير، «**فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**».

فالمعنىٰ: أن الطيرة لا تأتي بالحسنات وأيضًا لا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك، أنت الذي تأتي بالحسنات وهي النعم، سواءٌ كانت تلك النعم نِعَمًا دنيوية كالمال والولد والزوجة وما شابه ذلك، أو كانت نِعَمًا دينية مثل الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك.

والسيئات المراد بها ما يسوء المرء مما يصيبه في هذه الحياة الدنيا من المصائب.

ثم قال: (**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**» يعني لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن العبد تبرأ من حوله ومن قوته، وجعل الحول والقوة كلها لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فأنت المعين وأنت المسدد وأنت الحافظ وأنت الموفِّق وأنت علىٰ كل شيءٍ قدير، فمن وجد في نفسه شيئًا من الطيرة بسبب أمرٍ رآه فليقل هذا الحديث وهذا الدعاء حتىٰ يذهب الله عَزَّوَجَلَّ عنه ما يقع في قلبه من هذه الأمور.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَهُ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوْعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ - ثَلَاثًا - وَمَا مِنَّا إِلَّا؛ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»، هذا الحديث فيه بيان أن الطيرة شرك، والمقصود أنها من الشرك، وليست هي الشرك كله، وكررها للتأكيد أنها شركٌ، وما دام أنها شركٌ فإنه يجب الحذر منها والابتعاد عنها والتخلص منها.

ثم قال: (وَمَا مِنَّا) يعني يقصد أنه ما من أحدٍ إلا وقد وقع في قلبه شيءٌ من هذه الطيرة، وهذا من قول عبد الله بن مسعود، وهذا يدل علىٰ أن الإنسان مهما عَلَت منزلته فإنه معرَّضٌ للفتنة، وذلك أن الشيطان يستدرجه ويغويه ويبذل جهده لإضلاله، لكن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذكر السبب الذي يذهب ذلك الذي يجده المرء في قلبه، قال: «وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ»، وهنا نسب الأمر إلىٰ الله لأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يعين العبد، وهو الذي يخلِّصه، وهو الذي يسدده ويطهِّر قلبه مما يجده من تلك الأمراض القلبية، كما أنه هو الذي يخلصه من الأمراض الجسدية.

قال: «وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» أي: بالاعتماد علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتفويض الأمر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم ختم المصنف هذا الباب بقوله: (وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ» وفيه بيان أن من وقع في الطيرة فقد أشرك ووقع في الشرك، إما وقع في الشرك الأكبر أو وقع في الشرك الأصغر.

ثم قالوا له وسألوه: (**فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟**) **أي**: إذا وقع الإنسان في التطير، ما هي كفارته؟ كيف يتخلص منه وكيف ينجو منه؟ **قَالَ**: «**أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»، وهذا الدعاء يتضمن الاعتماد على الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والإعراض عما سواه، وبيان أن الطيرة لا تضر المرء أبدًا إذا كرهها ومضىٰ في طريقه واعتمد علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر حديث **الفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ**: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**» وهذا فيه بيان الطيرة المنهي عنها وهي التي تحمل الإنسان علىٰ المُضي أو تمنعه من المُضي كما تقدم معنا.

❁ ❁ ❁

بابُ مَا جَاءَ فِي التَنْجِيْمِ

قَالَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُوْمَ لِثَلَاثٍ؛ زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُوْمًا لِلشَّيَاطِيْنِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيْهَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ». انْتَهَىٰ.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ القَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيْهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا. وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.

وَعَنْ أَبِي مُوْسَىٰ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُوْنَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيْحِهِ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

المصنف – رحمنا الله وإياه – ذكر هنا هذا الباب (**بابُ مَا جَاءَ فِي التَنْجِيْمِ**) أي: من الوعيد وبيان خطورته، وذلك أن بعض أنواع التنجيم يوقع صاحبه في الشرك المنافي للتوحيد.

وسبب وقوعه في الشرك: أن فيه ادعاء علم الغيب، فالذي يتعامل بالنجوم يدَّعي علم الغيب، وادعاء علم الغيب لا شك أنه كفرٌ، إذ إنه لا يعلم الغيب إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ الأثر المروي عن قتادة **قال**: (**خَلَقَ اللهُ هَـٰذِهِ النُّجُوْمَ لِثَلَاثٍ؛ زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُوْمًا لِلشَّيَاطِيْنِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا**)، فهذا يبين لنا أن هذه النجوم إنما جاءت لمثل هذه الأمور التي ذكر، وهي مذكورة في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الله زيَّن فيها السماء، وأن الله جعلها شهبًا تُرمىٰ بها الشياطين، وأيضًا هي علامات، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل:١٦].

قال: (**فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيْهَا غَيْرَ ذَلِكَ**) **أي**: من ذهب إلىٰ غير هذه الثلاث (**أَخْطَأَ**) **أي**: وقع في الضلال ووقع في الشرك، ولذلك **قال**: (**وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ**)، أي: أضاع نصيبه من الدين فخاب وخسر، والعياذ بالله!

قال: (**وَتَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ**) إذ إن ذلك ليس عليه دليلٌ من كتاب الله ولا سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم ذكر المصنف أن قتادة وابن عيينة ممن كرهوا تعلم منازل القمر، وأما أحمد وإسحاق فقد قالوا بجواز تعلم منازل القمر.

وهاهنا أمرٌ لابد من الكلام عليه: وهو أن التنجيم فيه ما هو جائزٌ وفيه ما هو ممنوع.

فالجائز منه هو ما يُسمىٰ بعلم التسيير، وهو الاستدلال بالشمس وبالقمر علىٰ القبلة أو علىٰ أوقات الصلاة أو علىٰ معرفة الطريق ونحو ذلك، ونعوذ بالله من الأمور الجائزة التي لا شيء فيها، وهو ما ذهب إليه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإسحاق.

وأما النوع الثاني وهو ما يُسمَّىٰ بعلم التأثير، فينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يعتقد - **أي**: ذلك الشخص - أن هذه النجوم فاعلة مؤثرة بنفسها، وهي التي تخلق الحوادث. وهذا لا شك أنه شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة. والسبب: أنهم جعلوا ذلك المخلوق خالقًا.

القسم الثاني: أن يستدل بحركاتها - **أي**: حركات تلك النجوم وتنقلاتها - علىٰ ما يحدث في المستقبل، **يعني**: ينظر في النجوم ويقول أنه سيحدث في المستقبل كذا وكذا وكذا، كما يفعله المنجِّمون الآن حينما يُستدعون في بعض القنوات - للأسف - ثم يقولون إنه سيقع في عام عشرين عشرين كذا وكذا، أو السنة التي بعدها سيموت الرئيس الفلاني أو سيحدث كذا، وهذا كله كفرٌ مخرج من ملة الإسلام؛ لأن فيه ادعاء علم الغيب.

والقسم الثالث وهو أن يعتقد أنها سببٌ لحدوث الخير والشر، وهذا لا يكون إلا بعد أن تقع تلك الحوادث، فهو جعل النجوم سببًا في وقوع تلك الحوادث، وهذا شركٌ أصغر، وهو مندرج تحت القاعدة وهو جعل الشيء سببًا وهو ليس بسبب لا شرعًا ولا قدرًا فإنه يكون شركًا، والعياذ بالله!

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (**وَعَنْ أَبِي مُوْسَىٰ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُوْنَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**». **رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيْحِهِ**).

وهذا الحديث فيه وعيدٌ شديد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توعَّد فيه الذين يفعلون هذه الأمور بأنهم لا يدخلون الجنة.

مدمن الخمر هو المداومُ علىٰ شربها ومات ولم يتب منها.

وأما قاطع الرحم فهو الذي يقطع الصلة التي أمره الله عَزَّوَجَلَّ بوصلها من أرحامه، سواء من جهة أبيه أو من جهة أمه.

ثم قال: (وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ)، مطلقـًا، ووجه مناسبة الحديث للباب أن الذي يذهب إلىٰ التنجيم ويتعلمه أو يقول به فإنه قد أخذ من السحر كما مر معنا في حديث ابن عباس: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر**».

فإذن: تعلُّم التنجيم المذموم وهو ما يُسمىٰ بعلم التأثير نوع من السحر، وهذا لا شك أنه محرم وأنه لا يجوز، وصاحبه علىٰ الأقسام التي تقدمت: إما أن يكون واقعًا في الشرك الأكبر أو واقعًا في الشرك الأصغر.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْلُ اللهِ تعَالَىٰ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الوَاقِعَة:٨٢].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُوْنَهُنَّ: الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُوْمِ وَالنِّيَاحَةُ».

وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا؛ تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُوْنَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمَ. قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ».

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيْهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢].

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

الاستسقاء: هو طلب السُّقيا. والمراد: نسبة السقيا ومجيء المطر إلىٰ الأنواء.

ما هي الأنواء؟ الأنواء جمع نوءٍ، وهي منازل القمر.

وذلك أن العرب في أيام الجاهلية كانت تزعم أنه مع طلوع نجمٍ وغروب نجمٍ آخر يكون المطر، فينسبونه إلىٰ تلك المنازل.

وجه إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد: أن نسبة مجيء المطر إلىٰ الأنواء، واعتقاد أن لها تأثيرًا في إنزال المطر شركٌ ينافي التوحيد، فهذا هو الذي جعل المصنف يذكر هذا الباب في كتاب التوحيد.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الوَاقِعَة:٨٢] يقول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهؤلاء المخالفين المعرضين المنكرين لدعوة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إنهم يزعمون أن الأرض تنبت، وأن الضرع يدرُّ لبنًا، وأن الخير يأتي وما ذلك إلا بسبب الأنواء، **يعني:** ينسبون تلك النعمة إلىٰ الأنواء، فقال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، **أي:** أنكم حقًا تكذبون وكاذبون فيما تزعمون، إذ إن هذه الأمور كلها من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل:٥٣].

فهذا الخير الذي تجدونه من إنبات الزرع وإنزال المطر وإدرار الضرع وغيرها هو كله من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذن: هـذه الآيـة تـدلُّنا علـىٰ أن مـن نسـب النعمـة إلـىٰ غيـر المـنعِم وهـو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، نسبها إلىٰ ذلك المخلوق وهو النوء أو المطر فإنه يكون كـافرًا مشركًا، والعياذ بالله!

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَـنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ»**.

المراد بالجاهلية هو ما كان عليه الناس قبل مبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواء كانوا من العرب أو كانوا من أهل الكتاب، فكل ما كان قبل الإسلام، قبل مبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه كله من الجاهلية، ووصْفُه بالجاهلية يدل علىٰ أنه مذموم يجب أن يُحذر منه ويجب أن يُجتنب ويُبتعد عنه، ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما خطب بالناس في عرفات في حجة الوداع قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **«ألا إن أمر الجاهلية موضوعٌ تحت قدمي» أي**: كل أمور الجاهلية موضوعة تحت قدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا حتىٰ يتخلص الناس من أمور الجاهلية كلها.

ثم ذكر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من هذه الأمور التي هي من أمور الجاهلية التي أخبر أنها في أمته وأنه لا يتركها بعض الناس، أول هذه الأمور **قال: (الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ)**، والمراد به: التعاظم وهو أن يتكبر الإنسان علىٰ الناس إما بماله، أو بشرفه، أو جاهه، فهذا لا شك أنه أمرٌ مذموم، لأن الناس إنما يتميزون ويتفاضلون بتقوىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣].

ولما قال أحد الصحابة لأخٍ له: يا ابن السوداء؛ قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنك امرؤٌ فيك جاهلية**».

ثم قال: (**وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ**) والمقصود به: هو أن يقع في نسب الناس بالتنقص والقدح والتشكيك فيها أو ما شابه ذلك.

وأما الاستسقاء بالنجوم فهو أن ينسب مجيء المطر إلىٰ تلك النجوم وسقوط ذلك النجم وما شابه ذلك، وهذا هو الشاهد معنا في الحديث.

ثم ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث **قال**: (**وَالنَّائِحَةُ**)، النائحة هي التي ترفع صوتها بالنُّدْبة جزعًا علىٰ الميت، وهذا الفعل من كبائر الذنوب؛ لأنه يدل علىٰ عدم الصبر وعدم الرضا بقضاء الله عَزَّ وَجَلَّ وقدره، كأن تصيح وتقول: وافلاناه! أو تقول: وا حر قلباه! أو ما شابه ذلك، فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن التي تفعل هذا الفعل أنها إذا لم تتب فإن عقوبتها عظيمة يوم القيامة، إذ **قال**: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا؛ تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ**» وهو الثوب، وهو القميص، «**مِنْ قَطِرَانٍ**» وهو النحاس المُذاب، «**وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»، وهو أيضًا القميص الذي تلبسه. فهذا هو جزاؤها يوم القيامة، والعياذ بالله! وهذا من العذاب العظيم الذي يصيب صاحبة هذا الفعل، فدل علىٰ تحريم هذه الأمور كلها، وأنها من أمور الجاهلية، ومن ضمنها الاستسقاء بالأنواء أو بالنجوم كما مر معنا.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ **قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ**)، الحديبية هو موضع قريب من مكة، وهذا وقع حينما ذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعمرة هو وأصحابه.

(عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ) أي: بعد نزول المطر.

فلما انصرف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعني من صلاته - التفت إليهم **(فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُوْنَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»)**، وهذا استفهامٌ منه حتىٰ يجذب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذهانهم ويجعلهم يقبلون عليه فينتبهون لما يريد أن يقول.

(قَالُوا: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمَ)، وهذا من حسن الأدب حينما يُسأل الإنسان عن الشيء الذي لا يعلمه ولا يدركه ينسبه إلىٰ عالمه، فلا يتكلم فيما لا يعلم، لأن الله عَزَّوَجَلَّ سيؤاخذه حينما يتكلم في شيءٍ لا يعلمه، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء:٣٦].

(قَالُوا: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمَ، قَالَ: أي: الله عز وجل: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ)**، الآن جاء التفصيل من هو المؤمن ومن هو الكافر، قال: **(فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ)**، وهذا هو والواجب وهو الحق، أن ينسب نعمة نزول المطر إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنه رحمة من الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: (فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ) كافرٌ بما يعتقده أهل الجاهلية بأن النجوم هي التي تجلب هذا، ومؤمنٌ بالله الإيمان الحق الذي هو واجبٌ عليه.

قال: (وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا) كما كان يفعله أهل الجاهلية، فهذا قد كفر بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وآمن بذلك المخلوق الذي نَسَب إليه النعمة ونسب إليه أيضًا أنه هو الذي يجلب المطر ويأتي به، وهو كفرٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (**وَلَهُمَا مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيْهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَاتِ:** ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ **إلىٰ قوله:** ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]، فهذه الآيات التي نزلت على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك أنهم كانوا ينسبون الخير أو ينسبون تلك النعم إلىٰ تلك النجوم، ولذلك جاء في الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أصبح من الناس شاكرٌ ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمة الله» وذلك بعد نزول المطر، «**قالوا هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، فأنزل الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ **إلىٰ قوله:** ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]».

فالله عَزَّوَجَلَّ أقسم بمواقع النجوم وهي مساقط الكواكب في السماء ومغاربها، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له أن يقسم بما شاء من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما نحن البشر والجن فلا يحق لنا أن نقسم إلا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والمقسَم عليه هنا هو القرآن، ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [الواقعة:٧٥-٧٧]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أقسم بهذا، والمناسبة بين المقسَم به والمقسَم عليه: أن النجوم جعلها الله عَزَّوَجَلَّ يُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدىٰ بها في ظلمات الغي والجهل والضلال.

فدل هذا الحديث علىٰ أنه لا يجوز الاستسقاء بالأنواء ونسبة تلك النعمة إلىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

تتمة:

۞ **ذكروا أن نسبة السقيا إلىٰ الأنواء علىٰ نوعين:**

الأول: أن يعتقد أن لهذه النجوم تأثيرًا في إنزال المطر، وهذا لا شك أنه كفرٌ ومخرجٌ من الملة، ولهذا - كما ذكر أهل العلم - صورتان:

الصورة الأولىٰ: أن يدعو الأنواء بالسُّقيا، **يعني**: يدعو تلك النجوم بأن يطلب منها السُّقيا.

والصورة الثانية: أن ينسب حصول هذه الأمطار إلىٰ هذه الكواكب، بأن يعتقد أنها هي التي تنزل المطر. وكلا الصورتين كفرٌ مخرجٌ من ملة الإسلام.

وأما النوع الثاني فهو أن يجعلها سببًا والله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق وهو الفاعل حقيقة سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا من الشرك الأصغر كما مر معنا في القاعدة: أن من جعل الشيء سببًا وهو ليس بسبب لا شرعًا ولا قدرًا فقد وقع في الشرك.

❖ ❖ ❖

بَابُ قَوْلِ اللّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِ اللّهِ أَندَادًا يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ﴾[البَقَرَة:١٦٥]

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التَّوْبَة:٢٤].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ؛ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ؛ أَنْ يَكُوْنَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُوْدَ فِي الكُفْرِ - بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ - كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ حَتَّىٰ» إِلَىٰ آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَىٰ فِي اللهِ، وَعَادَىٰ فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّىٰ يَكُوْنَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَىٰ أَهْلِهِ شَيْئًا». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيْرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، **قَالَ: «الْمَوَدَّةُ»**.

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هـذا البـاب عقـده المصـنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعـالىٰ حتـىٰ يبـين أن محبـة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجب أن تكون لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يجوز أن يُشرك معه أحدٌ غيرُه جَلَّ وَعَلَا، فوجب التنبيه علىٰ ذلك، إذ إن محبة الله عبادة، وهـذه العبادة لا يجوز صرْفها لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمـن صـرفها لغيـر الله عَزَّ وَجَلَّ فإنـه يكـون قـد وقـع في الشـرك الأكـبر المخرج من ملة الإسلام.

وعَنْوَن المصنف للباب بهذه الآية: والتي يخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها أن من أحب من دون الله شيئًا كمحبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فهو من اتخاذ الأنداد وهم النُّظَراء والأشباه، أو ما شابه ذلك بحيث يساوونهم بمحبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهؤلاء قد وقعوا في الشرك ووقعوا في الكفر والضلال، والعياذ بالله!

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالىٰ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة:٢٤].

يأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يعلِّم المؤمنين ويبين لهم ويشد علىٰ عزائمهم بأن لا يوالوا الآباء والأبناء والإخوان الذين استحبوا الكفر علىٰ الإيمان، وأن يقطعوا العلائق معهم، إذ أنهم كانوا علىٰ غير دين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن ذلك الأمور وهي التجارة والمساكن والزوجات وغير ذلك، فمن قدَّم حب هؤلاء علىٰ محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فليتربص بنفسه ما يحل به من العقاب.

ففي هذه الآية وعيدٌ شديدٌ علىٰ من كانت هذه الثمانية أو بعضها أحب إليه من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أحب إليه من الجهاد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، أحب إليه من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه الآية دليلٌ واضحٌ علىٰ وجوب محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومحبة رسوله، وعلىٰ تقديم محبة الله ورسوله علىٰ محبة كل هذه الأمور التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية الكريمة.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»**، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر بأن العبد لن يكون مؤمنًا إيمانًا واجبًا حتىٰ يقدِّم محبة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ محبة الولد ومحبة الوالد ومحبة الناس أجمعين، بل علىٰ محبة النفس، كما جاء في البخاري أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، إنك لأحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، **قال: «لا يا عمر، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك»** فقال عمر: إنك والله لأحب إلي من نفسي، **قال: «الآن يا عمر»**.

فهذا الحديث يدلُّنا علىٰ وجوب تقديم محبة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ النفس وعلىٰ الأهل والمال، وهذه المحبة التي للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي تقتضي أمرًا عظيمًا، تقتضي طاعته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وتصديقه فيما أخبر، وأن لا يُعبد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا بما شرع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فإذن: محبة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة، وهي تابعة لمحبة الله عَزَّ وَجَلَّ لازمة لها، تزيد بزيادتها وتنقص بنقصها، لأن الذي أمرنا بمحبة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمن أحب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبَّ الله، ومن أحب الله أحب رسوله، كما تقدَّم في الآية.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَهُمَا عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ؛ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ؛ أَنْ يَكُوْنَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**...» إلىٰ آخر الحديث)، هذه ثلاث خصال من وُجِدت فيه تامة فإنه سيتلذذ بالطاعات، وأيضًا يتلذذ بما يجد من القُرب وتحمل المشاق فيما يرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أيضًا وفي متابعة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإن هذه اللذة التي تحصل للعبد بهذه الثلاث هي البهجة والسرور والفرح، ولذلك كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنا جنتي في صدري، ما يفعل أعدائي بي، فجنتي في صدري.. إلىٰ آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

وكذلك كما وقع من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حينما كانوا يُعذَّبون في مكة قبل الهجرة، كيف أنهم صبروا وكان ذلك العذاب يخالط ذلك الإيمان فيغلب الإيمان

ذلك العذاب، فيكون ما يجدونه من الصبر واللذة في التحمل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ يغلب ذلك العذاب الذي يصيبهم.

والعبد يجب عليه أن يعتني بهذه الأمور.

ثم إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذكر في هذا الحديث **قال:** (**وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**)، وهذا هو الواجب على المسلم، وهو أن تكون معاملته مع الناس وفق شرع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فكلما قرب العبد من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ زادت محبته في قلب أخيه، وكلما ابتعد عن شرع الله وعن دين الله عَزَّوَجَلَّ ضعفت تلك المحبة، إذ إنه يحبه لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

وكما جاء في حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **قال:** «**وجبت محبتي للمتحابين في**»، فالمحبة لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هذا هو الأصل، وهو الذي ينتفع به العبد يوم القيامة، كما قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

فالمتقون هم الذين تكون محبتهم نافعة في الدنيا والآخرة، نافعة في الدنيا أنهم يعلِّمون أخاهم حينما يجهل، ويذكرونه إذا نسي، وإذا بَعُد عنهم قرَّبوه منهم، فهذه هي المحبة التي تنفع، ولذلك قال الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ: استكثروا من معرفة الإخوان، فإن في معرفتهم منفعة ويكونون شفعاء يوم القيامة.

ثم ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال:** (**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ - بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ - كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**)، فإن العبد إذا وجد تلك اللذة العظيمة لذة

الإيمان ولذة الطاعة، والبعد عن الظلمات، والسلوك في ذلك الطريق المنير الذي أناره الله عَزَّوَجَلَّ له بالإيمان والطاعة، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢]، من وجد ذلك فإنه لا يقدِّم أيَّ شيءٍ عليه أبدًا حتىٰ لو أدىٰ ذلك إلىٰ أن يُقذف في النار، فإنه سيتحمل ولا يترك ذلك الإيمان، ولا يترك تلك الطاعة التي أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ بها.

فإذن: هذا الحديث يدل دلالة علىٰ وجوب محبة الله عَزَّوَجَلَّ ومحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأيضًا محبة من أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بمحبته، وأيضًا بالثبات علىٰ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حتىٰ يلقاه العبد وهو راضٍ عنه.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَىٰ فِي اللهِ، وَعَادَىٰ فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّىٰ يَكُوْنَ كَذَلِكَ)**.

هنا ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **يقول: (مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ) أي**: أحب أهل الإيمان وأهل الطاعة، فهو يحب من أجل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا من أجل الدنيا ولا من أجل الجاه ولا من أجل المال ولا من أجل النَّسَب ولا غير ذلك، وإنما يُحِب من أجل الله، فما دام أن العبد طائعٌ لله فهو يحبه.

ثم قال: (وَأَبْغَضَ فِي اللهِ) أي: أبغض من كفر بالله وأشرك به ومن ابتدع في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك أنهم قد وقعوا فيما يسخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو يغضب لغضب ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويسخط لسخط ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال: (**وَوَالَىٰ**) **أي:** ناصر وأيَّد أهل طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، (**وَعَادَىٰ فِي اللهِ**) عادىٰ من حارب الله وحارب رسوله وحارب أولياءه، فهو يعاديهم ويبغضهم.

ثم قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (**فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ**) **أي:** تولية الله عَزَّوَجَلَّ لعبده ومحبته له ونصرته له إنما تُنال بذلك، ولذلك جاء في الحديث: «**أوثق عرىٰ الإيمان: الحب في الله والبغض في الله**»، فهذا الحديث يدل علىٰ أن الحب من أجل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ والبغض من أجل الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي تحصل به ولاية الله لعبده، وذلك بنصرته له وتأييده له.

ثم أشار إلىٰ أمرٍ عظيم يتكلم عنه في زمانه رَحِمَهُٱللَّهُ، فكيف لو نظر إلىٰ هذا الزمان الذي يعيش فيه الناس اليوم إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ.

فقال: (**وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَىٰ أَهْلِهِ شَيْئًا**) **أي:** إنه أصبح تآخي الناس ومحبتهم لبعض وموالاة بعضهم لبعض من أجل الدنيا، من أجل أن يستفيد منه، من أجل المال، وغير ذلك من الأمور التي تذهب بذهاب أهلها وتزول بزوالهم، فهي لا تنفعهم ولا تقرِّبهم إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، لأن المحبة ليست لله عَزَّوَجَلَّ، وإنما المحبة من أجل عَرَضٍ زائل.

فهذا تحذيرٌ من ابن عباس لهذه الأمة من أن يقعوا في مثل هذه الأمور التي نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنها.

ثم ذكر أيضًا الأثر عن ابن عباس **قال:** ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ **يعني:** المشركين، تقطعت بهم الأسباب، أسباب المودة وأسباب المحبة، فلا ينفعهم شيءٌ يوم القيامة، وذلك أن العلاقة أو الوسيلة التي بينهم وبين الله هي محبة الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبة الله تستلزم طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وامتثال أمره والانقياد لرسوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن تُقدَّم محابُّ الله علىٰ محابِّ النفس وعلىٰ كل شيء، فهذا السبب وهذه الوسيلة زالت، فإذا زالت فإنه لا ينفعهم شيءٌ يوم القيامة.

والمحبة قد ذكر أهل العلم أنها تنقسم إلىٰ عدة أقسام: محبة الله، وهذه المحبة هي التوحيد، وهي أصل الإيمان، وهي محبة العبادة، وهي التي تكون نافعة للعبد.

القسم الثاني: المحبة في الله، وأعظم من يُحب في الله هم الأنبياء والرسل والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأيضًا العلماء علماء أهل السنة، ومحبة ما يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ من الأعمال الصالحة المقرِّبة إليه، وأيضًا محبة الأماكن التي فضَّلها الله عَزَّ وَجَلَّ كمكة والمدينة وأيضًا بيت المقدس، وغير ذلك من الأمور.

والثالث: محبةٌ مع الله، وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم، سواء كان ذلك المحبوب شجرًا أو حجرًا أو بشرًا أو قبرًا أو غير ذلك، وهذا شركٌ مخرج من ملة الإسلام، لأنها محبة عبادة.

والعبادة إما أن تكون عبادة صحيحة، وهي محبة الله ومحبة رسوله وأوليائه، وإما أن تكون عبادة باطلة وهي محبة المشركين لآلهتهم.

وهناك نوعٌ آخر من المحبة وهي المحبة الطبيعية، محبة الإجلال والتعظيم، كمحبة الوالد، أو محبة الرحمة والشفقة كمحبة الولد، أو محبة الزوجة وهي المحبة الطبيعية، وأيضًا محبة المشاكلة، وهي محبة الشريك لشريكه أو من يوافقه في طبعه وهديه وطريقته.

فهذه أنواعٌ ذكرها أهل العلم في أنواع المحبة التي هي موجودة في الناس.

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ [آل عِمْرَان:١٧٥]

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ١٨﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التَّوْبَة:١٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العَنْكَبُوْت:١٠].

عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوْعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِيْنِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيْصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «مَنِ التَمَسَ رِضَىٰ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَىٰ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيْحِهِ.**

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب عقده المصنف - رحمنا الله وإياه - حتىٰ يبين لنا وجوب الخوف والخشية من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن الخوف عبادة من العبادات التي يُتقرَّب بها إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنه لا يجوز صرفها لغير الله عَزَّوَجَلَّ، ومن صرفها لغير الله عَزَّوَجَلَّ فقد أشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقد بوَّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **هذا الباب بقول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ ومعنىٰ ذلك: أنه يخوِّف المؤمنين بأوليائه، وهذا يكون عن طريق تعظيم أولئك الأولياء في صدور المؤمنين، وبيان ما هم عليه من الأمور التي تؤدي إلىٰ خوف المؤمنين منهم، فنهاهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن ذلك **فقال**: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وهذا نهيٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أن يخاف المؤمن من أولياء الشيطان.

قال: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فجعل الخوف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شرطًا في الإيمان، لأن الإيمان يقتضي أن العبد يؤثر خوف الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ خوف الناس، فهو يخاف من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا يخاف من الناس، لأن الإيمان يقوده إلىٰ ذلك ويحمله علىٰ الخوف من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحده جَلَّ جَلَالُهُ.

فالآية التي ذكرها المصنف في الباب دلَّت علىٰ وجوب إفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالخوف، وذلك لأن الخوف عبادة من العبادات القلبية، فصرفها لغير الله شركٌ ينافي أصل التوحيد.

والخوف هو الفزع أو الوَجَل الذي يقع في قلب الإنسان من وقوع العقوبة عليه، **وقد ذكر أهل العلم أنه ينقسم إلىٰ أقسام:**

- الأول: خوف الله عَزَّوَجَلَّ. وهذا علىٰ سبيل التألُّه والعبادة والتقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الأمر من أعظم واجبات الإيمان، بل إن العبد لا يصح إيمانه حتىٰ يخاف من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

- الثاني: خوف السر، وهو أن يخاف الشخص من غير الله عَزَّوَجَلَّ، كأن يخاف من طاغوت أو وثن، أو من غائب، أو من شيخ طريقة، أو غير ذلك من المخلوقات، يخاف منهم بأن يصيبوه بما يكره، وهذا شركٌ أكبر ينافي أصل التوحيد.

- الثالث: الخوف من أجل الناس، وهو خوفٌ يكون من الشرك الأصغر، وهو ما يصيب المرء حينما يكون مع الناس فيترك ما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليه خوفًا من الناس، كأن يكون معهم في مجلس ويكون قد أذَّن المؤذن فيخاف إذا انصرف إلىٰ المسجد أن يتكلموا عليه، أو بأن يعلِّقوا عليه بالكلام وما شابه ذلك، أو أن يرىٰ منكرًا فيترك إنكار ذلك المنكر خوفًا ممن هو جالسٌ معهم، فإن هذا يكون من الشرك الأصغر.

- الرابع: الخوف الطبيعي، وهو أن يخاف الإنسان ممن هو أقوىٰ منه وأشد منه، كخوف الإنسان من عدوٍّ أو من سَبُعٍ أو ممن يخشىٰ ضرره، كما حدث لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:٢١]، فهذا خوفٌ طبيعي جائزٌ لا يُذم المرء عليه إذا كان الذي أمامه أقوىٰ منه وأشد منه، فخوفه منه لا شيء فيه ولا ينقص من إيمانه ولا يقدح فيه.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَوْلِهِ) يعني**: وقول الله تعالىٰ، (﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[التَّوْبَة:١٨])، هذه صفات ذكرها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لعُمَّار بيت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. والعمارة لبيت الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تكون عمارة حسية، وذلك ببنائها وتشييدها والحرص علىٰ نظافتها وغير ذلك، وهناك عمارة معنوية وهي بمداومة الطاعة فيها من الصلاة والذِّكْر وحِلق العلم وغير ذلك من العبادات العظيمة.

قال: (﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾) **يعني**: أن يكون مؤمنًا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومؤمنًا باليوم الآخر وممن يقيم الصلاة، وأيضًا ممن يؤدي الزكاة لمستحقيها، **ثم قال**: (﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾)، وهذا هو الشاهد معنا في هذه الآية، فخشية الله هي التي تكون مع المحبة والتعظيم، فهؤلاء المؤمنون الموصوفون بتلك الصفات العظيمة هم ممن أفردوا الله عَزَّوَجَلَّ بالخشية والخوف دون ما سواه.

والفرق بين الخشية والخوف: أن الخشية تكون عن علمٍ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، عن علمٍ بأسمائه وصفاته وأفعاله وآثار تلك الصفات في هذا الكون العظيم، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨]، وذلك لعلمهم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ العلم الذي تحيا به القلوب.

أما الخوف يحصل حتىٰ من الجاهل بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الثاني: أن الخشية تكون بسبب تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بخلاف الخوف؛ فإن الخوف قد يكون بسبب ضعف الخائف.

فإذن: الخشية هي قرينة العلم، فمن كان صاحب علمٍ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ظهرت تلك الخشية عليه، ولذلك كما قال بعض السلف: العلم هو الخشية. **يعني**: الخشية بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف – رحمنا الله وإياه –: وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العَنْكَبُوْت: ١٠]، يخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن صفات أناسٍ مكذبين يدَّعون الإيمان، -إنما يدَّعونه فقط بألسنتهم وإلا قلوبهم قد خلت منه، والعياذ بالله- ويزعمون أنهم مؤمنون أنهم إذا أُوذوا في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **أي**: من أجل الله عَزَّوَجَلَّ وفي سبيل الله بأن أصابهم من الألم وغير ذلك بأن عذَّبهم المشركون علىٰ إيمانهم بما حصل لهم من الإسلام وغيره؛ كانت تلك الفتنة – يعني فتنة الناس وهي أذاهم لهم في الدنيا – عندهم بمنزلة عذاب الله في الآخرة، فأصابهم الجزع من ذلك ولم يصبروا، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذمَّ من خاف الناس وجعل عقوبتهم مثل عقوبة الله عَزَّوَجَلَّ بسبب خوفه منهم وأذيتهم منهم، والواجب علىٰ المؤمن أن يخاف من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ أشد وأعظم من عذاب الناس، كما مر معنا في حديث طارق بن شهاب أن رجلًا دخل الجنة في ذباب ورجل آخر دخل النار في ذباب، الثاني تحمَّل الأذىٰ وصبر ولم يخش من عذابهم فقتلوه، فكان ذلك سببًا في دخوله جنات النعيم والحصول علىٰ رضا الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوْعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِيْنِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ»**، ضعف اليقين المراد به هنا: أن يكون المرء إيمانه ضعيفًا، واليقين هو كمال الإيمان، فإذا ضعف يقينه نقص إيمانه، فمن علامات ضعف اليقين: أن العبد يرضي الناس بسخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيؤثر رضاهم علىٰ رضا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيتقرب إليهم بما يسخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال مما يدل علىٰ هذا **قال: (وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ اللهِ) أي**: تثني عليهم وتشكرهم بما وصل علىٰ أيديهم من ذلك الرزق بأن تضيفه إليهم وتنسىٰ المنعِم الذي هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل:٥٣].

ثم قال: (وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ) أي: إذا طلبت منهم شيئًا فمنعوك فيقوم ويذمهم ويعيبهم، وما علم أن الذي منعه من أن يصل إليه ذلك الطلب أو ذلك الرزق هو الله، لأن الله لم يقدِّره له، لم يقدِّره الله عَزَّوَجَلَّ ولم يكتبه علىٰ أيديهم، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو المنفرد بالعطاء جَلَّ جَلَالُهُ، والمنع أيضًا، وهو الذي يرزق عبده من حيث لا يحتسب، ولذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيْصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ)**، فإذا قدَّر لك رزقًا أتاك ولو اجتهد الخلق في منعه، وإذا لم يقدِّره لك فإنه لن يحصل لك ولو اجتمع من بأقطارها.

فهذا الحديث يدل دلالة أن ضعف اليقين بسبب ضعف الإيمان، والإيمان

يضعف إما بترك واجب أو فعل محرم، فدل علىٰ أن الإنسان حينما يسخط الله عَزَّوَجَلَّ بإرضاء الناس فهذه معصية، وأنه آثر رضاهم علىٰ رضا ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بسبب خوفه فأوقعه ذلك في سخط الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وجانب ما أراد الله عَزَّوَجَلَّ منه بأن قدَّم رضاهم علىٰ رضا الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم ذكر حديث عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا**؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قَالَ:** «**مَنِ التَمَسَ رِضَىٰ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ**»، وهذا الحديث أيضًا يدل مثل ما دل الحديث الأول، فهنا **قال:** «**مَنِ التَمَسَ**» هذه (مَنْ) شرطية، (التمس) طلب، الشرط: رضىٰ الله، هذا هو الشرط. «**بِسَخَطِ النَّاسِ**» **يعني:** أرضىٰ الله وقدَّم رضا الله علىٰ سخط الناس كلهم، جاء جواب الشرط بأن **قال:** «رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **وَأَرْضَىٰ عَنْهُ النَّاسَ**» وذلك أن قلوب العباد كلها بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يملك ذلك كله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلمن يلتفت العبد إن لم يوجه وجهه إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ثم قال: «**وَمَنِ التَمَسَ**» **أي:** طلب «**رِضَىٰ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**»، وهذا فيه معاملته بنقيض قصده. وهذا هو وجه الشاهد معنا، **قال:** «**وَمَنِ التَمَسَ رِضَىٰ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ**» **أي:** خوفًا من الناس، يلتمس رضا الناس خوفًا من الناس حتىٰ يرضوا عنه، فقدَّم خوفه من الناس علىٰ مخافته لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا لا شك أنه شركٌ، فيحصل بسببه أن الله عَزَّوَجَلَّ يسخط عليه، وأيضًا يُسْخِط عليه الناس، والعياذ بالله! فخاب وخسر صاحب ذلك الأمر، إذ إنه قدَّم خوف الناس علىٰ خوفه من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

❖ ❖ ❖

بَابُ قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ [المائدة:٢٣]

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق:٣].

وعَنْ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا**؛ قَالَ: - حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ - قالَهَا إِبْرَاهِيْمُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وقالَهَا مُحَمَّدٌ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِيْنَ قَالُوا لَهُ:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [آل عِمْرَان:١٧٣]. **رَوَاهُ البُخَارِيُّ.**

۞ ۞ ۞

قال الشارح - وفقه الله -:

التوكل علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أعظم العبادات، ومن أعظم مقامات التوحيد، بل لا يستقيم توحيد عبدٍ حتىٰ يكون متوكلًا علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فصرْف التوكل لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شركٌ في أصل التوحيد، ينقض أصل التوحيد ويخرج صاحبه من ملة الإسلام، من أجل هذا ذكر المصنف هذه العبادة العظيمة ذكرها في هذا الكتاب حتىٰ ينبِّه الناس، لأن التوكل عبادة قلبية، فصرفها لغير الله شرك مخرج من ملة الإسلام.

وبوب بقوله: (﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾)، ودلالة هذه الآية علىٰ أن التوكل عبادة لله عَزَّوَجَلَّ وأنه لا يجوز صرْفه لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الله أمر بها **فقال:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، وهذا أمرٌ من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والأمر يقتضي الوجوب، فكان التوكل عبادة، فلا يجوز أن تُصرف العبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

الثاني قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فجعل التوكل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ شرطًا في حصول الإيمان، وما كان شرطًا للإيمان فهو دالٌّ علىٰ أن ذلك عبادة، فالتوكل علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من صفات أهل الإيمان ومن خصالهم العظيمة، فمن توكل علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كفاه وأيَّده ونصره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والتوكل قد عرَّفه أهل العلم فقالوا: هو الاعتماد علىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وتفويض الأمور إليه في جلب المنافع ودفع المضار.

فربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هو الذي بيده مقاليد كل شيءٍ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فوجب علىٰ العبد أن يملأ قلبه ثقة بالله واعتمادًا علىٰ الله وتفويض الأمر إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

أما التوكل علىٰ المخلوقين في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله فلا شك أن هذا كفرٌ وشركٌ مخرج من ملة الإسلام، كالذي يتوكل علىٰ الأموات وعلىٰ الغائبين، أو علىٰ الأحجار والأصنام وغيرهم كأن يطلب منهم نصرًا أو رزقًا أو حفظًا أو غير ذلك.

أما التوكل على الأحياء الحاضرين، كالتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدرهم الله عَزَّوَجَلَّ عليه من رزقٍ أو دفع أذى فهذا شركٌ أصغر. وهذا قد ذهب إليه صاحب فتح المجيد بأن ذكر أن التوكل فيه شركٌ أكبر وشركٌ أصغر.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن التوكل ليس فيه إلا شركٌ أكبر، وأنه لا ينقسم إلى شركٍ أكبر ولا إلى أصغر، لماذا؟ قالوا: لأن التوكل عبادة قلبية محضة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا يشرك ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها أحد.

أما الأمر الجائز الذي يكون بين الناس فهو ما يسمى بالتوكيل، بأن يوكِّل الإنسان أخاه في فعلٍ يقدر عليه نيابة عنه، كالبيع والشراء والإجارة، أو كعقد نكاح، فهذا جائزٌ، ولكن ينبغي له أن ينتبه فيقول: وكَّلتك ولا يقول: توكلت عليك، فإن التوكل لا يكون إلا على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. وهذا يسمى بباب الوكالة، وهو معروف في كتب الفقه، فله شروطه وله أركانه وله أموره المتعلقة به.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى **قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]).

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية المباركة العظيمة وصف عباده المؤمنين بصفات حميدة وعظيمة هي التي أوصلتهم إلى كمال الإيمان وحسن العاقبة بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة، **فقال**: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وهذا حصرٌ، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ **أي**: إذا ذكروا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافوا فأدوا الفرائض التي أوجبها

الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، وتركوا ما نهاهم الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وهذا من آثار ذكْرِهم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ **أي:** تُلِيت عليهم آيات القرآن، فإنها تؤثر في قلوبهم أيضًا، فيحصل من ذلك أن ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ تزيدهم إيمانًا، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص، ولذلك هذه الآية من الآيات التي استدل بها أهل السنة والجماعة علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه فقالوا: ما زاد فإنه ينقص.

ثم ذكر الصفة العظيمة التي ختم بها **فقال:** ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **أي:** إنهم لا يتوكلون إلا علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهذه الآية تفيد أن المؤمنين من أصحاب هذه الصفات من أعظم صفاتهم وأجلِّها أنهم يتوكلون علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا يتوكلون علىٰ غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فدل هذا الثناء العظيم علىٰ أن التوكل عبادة، وهذه العبادة لا يجوز صرْفها لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ **قوله تعالىٰ:** (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال:٦٤])، و(حسبك) هنا المراد منها أن الله كافِيْك بالنصر والعون لك والتأييد والتسديد، ومَن كان حسبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه لا يخيب ولا يخشىٰ، وأيضًا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حسْب من اتبعك من المؤمنين، فالله عَزَّوَجَلَّ هنا حَسْبُ النبي وحسْبُ أتباعه.

ومن الخطأ الذي نبَّه عليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فهم هذه الآية أن يُقال: يا أيها النبي حسبك الله وحسبك أيضًا أهل الإيمان، وهذا لا شك أنه خطأٌ فادح وفهم مغلوط، إذ إن الحَسْب الذي هو كفاية الله لعبده لا تكون إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

إذن: إذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ هو كافٍ عبده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[الزمر:٣٦] فإنه يجب أن لا يُتوكَّل إلا على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: (﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق:٣])، و(مَن) هنا شرطية، ﴿يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ دلت على وجوب التوكل على الله؛ لأنه بالتوكل على الله يحصل للعبد حفظ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له، ولذلك جاء جواب الشرط: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ، وهذا جواب الشرط، **أي**: أن الله كافيه، فمن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع للعدو فيه أبدًا ولا يضره ولا يصل إليه.

إذن: الاعتماد على الله عَزَّ وَجَلَّ يجعل العبد في كفاية بأن الله يتفضل عليه ويكون كافيه من جميع ما يضره، وأيضًا أن العبد يحصل على ما ينفعه، ولكن هنا أمرٌ لابد من التنبيه عليه، وهو: أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب والإتيان بها، وهذا ما كان يفعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما كان يذهب إلى الغزو عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه كان يظاهر بين درعين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وأيضًا حينما رأى ذلك الرجل الذي أطلق دابته **فقال**: «**اعقلها وتوكل**» **أي**: ابذل الأسباب وتوكل.

فالتوكل مع تَرْك الأسباب المأمور بها من جهة الشرع هو قدحٌ في العقل، والاعتماد على الأسباب هو قدحٌ في التوحيد.

ثم قال: (**وعن ابن عبَّاسٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا؛ **قَالَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ**) **أي:** كافينا الله، فلا نتوكل إلا على الله، **قال:** (**قالَهَا إِبْرَاهِيْمُ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **حِيْنَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**) وذلك حينما رموه بالمنجنيق في تلك النار العظيمة، فلما رأى إبراهيم ذلك الأمر **قال:** حسبي الله ونعم الوكيل، فكان الأمر العظيم أن قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[الأنبياء:٦٩].

وأيضًا قالها محمدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حينما أرجف المرجفون بتخويف أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقالوا لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، **أي:** يريدون إرهابهم وإفزاعهم، فما كانت النتيجة؟ أن زادتهم إيمانًا ثم قالوا: حسبنا الله، **أي:** كافينا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وهو نِعْم الوكيل تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وهو الذي يتولى أمرنا سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو الذي عليه الاعتماد جَلَّجَلَالُهُ.

❁ ❁ ❁

بَابُ قَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللّٰهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُوْنَ﴾ [الأَعْرَاف:٩٩]

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحِجْر:٥٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «اَلشِّرْكُ بِاَللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاَللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالقُنُوْطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ». رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب مقصود المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ منه أن العبد يجب عليه في سيره إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجمع بين أمرين: أن يجمع بين الخوف والرجاء، لأن العبد إذا ترك الخوف كانت النتيجة: الأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا ترك الرجاء فإن ذلك سيوقعه في القنوط من رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكلا الأمرين – وهو القنوط وأيضًا الأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ – ينافي كمال التوحيد، فوجب علىٰ العبد أن يطير – كما يقول ابن القيم – بجناحين: جناحي الخوف والرجاء في سيره إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك عقد المصنف الباب **بقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ﴾ وهذا استفهام استنكاري، لأنهم اغتروا بالنعم التي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها عليهم ونسوا العقوبة بأن يعاقبهم الله عَزَّوَجَلَّ ويأخذهم علىٰ غِرَّة وهم غافلون، لأنهم قد أعرضوا عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأعرضوا عن أمره، وأيضًا ارتكبوا ما نهاهم الله عَزَّوَجَلَّ عنه، لأنهم مكذِّبون لرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك ختمها الله عَزَّوَجَلَّ **بقوله**: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، الخاسرون هم الذين حقت عليهم الخسارة العظيمة التي لا ربح فيها، فأدىٰ ذلك إلىٰ هلاكهم.

فالأمن من مكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من أعظم الذنوب، وهو ينافي كمال التوحيد.

ثم ذكر المصنف قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: (﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحِجْر:٥٦])، (مَنْ) هنا للاستفهام الإنكاري، ومعنىٰ ذلك: لا أحد يقنط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ إلا الضالون الذين ضلوا الطريق الذي يوصلهم إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والقنوط: هو أن يستبعد العبد الفرج وأن ييأس منه أشد اليأس.

والقنوط يكون بأحد أمرين: إما بأن يسرف العبد في الذنوب وأن يتجرأ علىٰ محارم الله عَزَّوَجَلَّ والإصرار عليها، وإما أن يغلب عليه جانب الخوف، وذلك حينما يرىٰ كثرة ذنوبه وعظمها فيصيبه من الخوف فينقطع عنده الرجاء وينقطع تعلقه برحمة الله عَزَّوَجَلَّ فيقع في القنوط، ولذلك ذكر المصنف هذه الآية حتىٰ ينبِّهنا علىٰ أنه لا يجوز لمن خاف من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفًا وأيضًا راجيًا لما عند الله عَزَّوَجَلَّ، يخاف من ذنوبه التي اقترفها وأيضًا يعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ ويرجو رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف - رحمنا الله وإياه - **قال: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ **أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «اَلشِّرْكُ بِاَللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»**.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ **قَالَ: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاَللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالقُنُوْطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»**.

فالكبائر جمع كبيرة، وهي كل معصية فيها حدٌّ في الدنيا، كالقتل والزنا والسرقة، أو فيها وعيدٌ في الآخرة من حيث العذاب أو غضب الله عَزَّوَجَلَّ، أو فيها لعنة، أو نُفِي الإيمان عمن يقترفها، أو ذُكِر فيها أن الله بريءٌ منه أو رسوله، أو غير ذلك من الوعيد الشديد، فهذا هو حدُّ الكبيرة، وهذا يُعتبر أفضل حدٍّ للكبيرة.

فإذن ضابط الكبيرة أن يُقال: هي كل معصية فيها حدٌّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة، أو لعنة أو نفي إيمان أو التبرؤ من صاحبها.

واعلم أن ما ذُكر لم يُرد فيه حصر الكبائر، فإن الكبائر كثيرة جدًا، وهي أكثر من ذلك، حتىٰ ألَّف بعض أهل العلم مؤلَّفات خاصة في حصر الكبائر ومنهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»** وهو قطع الرجاء من رحمته.

«وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ» وهو عدم الخوف من أن يستدرج الله عَزَّوَجَلَّ العبد وأن يسلبه الإيمان وهو قائمٌ علىٰ معاصي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والقنوط هو كما يُقال القنوط هو أن يصل الإنسان إلىٰ شدة اليأس، بأن يحيط اليأس به من كل جهة، فييأس من رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالمصنف ذكر هذه الأمور كلها هنا وذلك حتىٰ يحذر العبد منها، وأن لا يقع فيها، لأن ذلك ينافي كمال التوحيد، فيحذر المرء من هذه الأمور فيكون خائفًا وراجيًا لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سيره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فتكون حياته بين الخوف والرجاء، إذا وقع عنده التساهل في ترك الواجبات أو في اقتراف المحرمات فعليه أن يغلِّب جانب الخوف من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإذا كثرت عنده الذنوب وتسلطت عليه واعتراه شيءٌ بأن الله لن يغفر له غلَّب جانب الرجاء، فبمثل هذا تستقيم حياة الإنسان المؤمن في سيره إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ويكمل السير حتىٰ يلقىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو راضٍ عنه.

* * *

بَابُ مِنَ الإِيْمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ

وَقَوْلُـهُ تَعَـالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التَّغَابُن:١١]. قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيْبُهُ المُصِيْبَةُ؛ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ».

وَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ مَرْفُوْعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُوْدَ وَشَقَّ الجُيُوْبَ وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ بِالعُقُوْبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ عقد هذا الباب ليبين لنا وجوب الصبر علىٰ أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المؤلمة التي تصيب العبد في هذه الحياة الدنيا، وأن هذا من كمال التوحيد، لأن الذي قدَّر هذه الأمور هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وربنا جَلَّ وَعَلَا ليس بظلامٍ للعبيد.

وأيضًا حتىٰ يبين أن الجزع والتسخط وعدم الصبر ينافي كمال التوحيد، فيحذر المؤمن من ذلك ويتحلىٰ بالصبر.

والصبر في اللغة: هو الحبس والمنع.

وأما في الشرع: فهو أن يحبس الإنسان نفسه عن الجزع، فيحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وأيضًا يحبس جوارحه عن الأفعال التي تدل علىٰ عدم صبره وجزعه مثل شق الجيوب أو لطم الخدود كما جاء في الأحاديث.

فالصبر منزلته عظيمة في هذا الدين، حتىٰ إنه قد جاءت فيه الآيات العظيمة، ثمانون آية جاءت في الصبر، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن الصبر بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس فلا فائدة من الجسد.

وقد قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لم نذق حلاوة أو طعم العيش إلا بالصبر.

والصبر قد قسَّمه أهل العلم إلىٰ ثلاثة أقسام: صبرٌ علىٰ ما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به، وصبرٌ عما نهىٰ عنه، وصبرٌ علىٰ ما قدر الله عَزَّ وَجَلَّ.

ثـم ذكـر المصـنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قـول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، والآيـة بتمامهـا هـي: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التغابن:١١]، ثم ذكر أثر علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال: (هُوَ الرَّجُلُ تُصِيْبُهُ المُصِيْبَةُ؛ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ)**، وذلـك أن الصبر علىٰ المصائب والتسليم هـو مـن علامـات الإيمـان، فبيَّنـت هـذه الآيـة ثـواب الصـبر والتحلي بـه والحث عليه.

فالصبر علىٰ المصيبة يحصل به هداية القلب وطمأنينة النفس، وأيضًـا يحصـل العبد به علىٰ الثواب من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثـم قـال: (وَفِـي صَـحِيْحِ مُسْـلِمٍ عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّ رَسُـوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ»**، وأيضًا قال: **(وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ مَرْفُوْعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُوْدَ وَشَقَّ الجُيُوْبَ وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ»**، وهـذان الحـديثان يـدلان علـىٰ تحـريم النياحة، وذلك لما في النياحة من التسخط علىٰ أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومـن مظاهر النياحة: أنهم يضربون الخدود. وذُكِرت الخدود لأن هـذا هـو الغالـب الـذي تعمله النائحة حينما تصيبها المصيبة.

وشق الجيوب: والجيب هـو الـذي يُدخَل فيـه الـرأس حينمـا تلبس الثـوب فتدخِل رأسك من هذا المكان، هذا يسمىٰ الجيب، وهـذا كلـه مـن عمـل الجاهلية، وهو دالٌّ علىٰ تحريم النياحة، وذلك لأنها تنافي الصبر وتنافي الإيمان الواجب الـذي يجب أن يتحلىٰ به العبد.

ثم قال: (**وَعَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ بِالعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه الترمذي**)، يخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من علامة إرادة الله بعبده الخير أن يصيبه بالمصائب وبالبلاء، فمرة يكون في نفسه، ومرة في أولاده، ومرة في أهله وماله، وذلك لما حصل منه بسبب الذنوب، وهذه المصائب تطهر العبد وتكفِّر عنه تلك الذنوب كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«حتىٰ الشوكة يشاكها فيكفِّر الله** عَزَّ وَجَلَّ **بها عن خطاياه»**، فتكون النتيجة أنه يلقىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة وليس عليه خطيئة.

وأما القسم الثاني فهو الذي يمسك الله عَزَّ وَجَلَّ عنه، وهذا لا شك أنه أمرٌ عظيم، أي: أن الله يؤخر عنه العقوبة، فلا يصيبه بالمصائب في هذه الحياة الدنيا، فلا يصيبه بها، وإنما يكون أمره يوم القيامة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهذا الحديث يدل علىٰ أن المصائب التي يُبتلىٰ بها الإنسان هي مكفِّراتٌ لذنوبه إذا صبر واحتسب.

وأيضًا ذكر الحديث الذي بعده **قال: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»**، وهذا أيضًا فيه أن ابتلاء الله عَزَّ وَجَلَّ لعبده كلما كان عظيمًا وأشد فإن الجزاء يكون أعظم، وهذا يدل علىٰ محبة الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده، ولذلك كان أشد الناس بلاءً الأنبياء، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أشد الناس بلاءً الأنبياء فالأمثل فالأمثل»**، فالمصائب حينما تنزل علىٰ العبد المؤمن ليس ذلك من الله عَزَّ وَجَلَّ عقوبة له، أو ليس كرهًا من الله

عَزَّوَجَلَّ وبغضًا من الله لعبده، وإنما الله عَزَّوَجَلَّ يريد به الخير ويريد به أن يكفِّر عنه ذنوبه حتىٰ يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة وليس عليه شيءٌ من تلك الذنوب والمعاصي.

ثم إن العبد إذا رضي بما قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ عليه وصبر علىٰ ذلك كان له الجزاء العظيم من الله، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠]، وأما من تسخط وجزع ولم يصبر فإنه يكون قد أغضب ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وذكر في الحديث صفتين: الرضا، والسُّخْط، وهما صفتان لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجب الإيمان بهما علىٰ ما يليق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كسائر صفاته.

فإذن: هذا الحديث فيه وعيدٌ شديد لمن تسخط علىٰ أقدار الله عَزَّوَجَلَّ ولم يصبر علىٰ البلاء الذي يصيبه في هذه الحياة الدنيا، فالواجب علىٰ المرء أن يصبر وأن يتحمل علىٰ ما يقدره الله عَزَّوَجَلَّ عليه حتىٰ ينال الثواب والأجر، وحتىٰ يكمل توحيده ويكون بعيدًا عن كل خُلُقٍ يدل علىٰ عدم رضاه بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَـوْلِ اللهِ تَعَـالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ تَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «أَلا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ يُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ، لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرَ رَجُلٍ إِلَيْهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح -وفقه الله-:

هذا الباب عقده المصنف حتىٰ يبين ما جاء من النهي عن الرياء والتحذير منه، وأيضًا حتىٰ يبين بأن الرياء شركٌ أصغر منافٍ لكمال التوحيد.

والرياء: هو مشتقٌ من الرؤية، وهو أن يعمل الإنسان العبادة من أجل ثناء الناس عليه، يحسِّن العبادة من أجل ثناء الناس عليه، كما جاء في الحديث الذي ذكره المصنف الذي هو حديث أبي سعيد قال: **«الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ يُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ، لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرَ رَجُلٍ إِلَيْهِ»**، هذا هو تعريف الرياء.

فالرياء يكون في العمل، وأما السُّمعة -كما تقدم معنا- فهي تكون بعد العمل. والرياء شرك والسمعة أو التسميع الذي يكون بعد العمل هو معصية وذنبٌ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ**: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]).

هنا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك، ﴿أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ ليس لي من الربوبية شيء، وليس لي في الألوهية حقٌّ، بل ذلك كله لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الربوبية والألوهية والأسماء والصفات هي كلها حقٌّ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يجب الإيمان بها، وهذا الإله الحق المبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المستحق للعبادة ومستحقٌّ للطاعة، ولذلك **قال**: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ **يعني**: يرجو لقاء الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة، ويرجو أيضًا أن يحصل علىٰ الجزاء والثواب، ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، والعمل الصالح لابد أن يتوفر فيه شرطان:

الأول: أن يكون موافقـًا للسنة، وأشار إليه بقوله: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾.

والثاني: أن يكون خالصـًا لله تبارك وتعالىٰ، وأشار إليه بقوله: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

الشاهد من الآية: أن الرياء ليس بعملٍ صالح، وواقعٌ صاحبه في الشرك، ولذلك يجب علىٰ المرء أن يحذر منه.

فإذن: إذا أردت السعادة -يا عبد الله- وأردت الفلاح وأن تلقىٰ الله وهو راض عنك فعليك أن تخلص العمل لله عَزَّوَجَلَّ، تخلِّصه من الرياء وتخلِّصه من جميع المكدرات والمنغصات، وأيضًا أن تخلِّصه من البدع، فيكون خالصًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما إذا خالطه الرياء أو جانب السنة وكان في البدعة فإنه مردودٌ علىٰ صاحبه غير مقبولٍ منه.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ تَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكِهِ»)**.

وهذا الحديث معناه: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غنيٌّ عن المشاركة، فلا يقبل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يشاركه أحدٌ فيما يتقرب به عبده إليه، لأن الله غنيٌّ عن ذلك، وهو غنيٌّ عن العمل مطلقًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالمرائي الذي يرائي بعمله قد بطل عمله، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: «**تَرَكْتُهُ وَشِرْكِهِ**»، فإن الله يرد عليه عمله فلا يقبله منه.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ يُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ، لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرَ رَجُلٍ إِلَيْهِ»)**.

وهذا الحديث يبين لنا فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هنالك أمرٌ يخافه علينا أشد من فتنة المسيح الدجال مع ما في فتنة المسيح الدجال من البلاء العظيم،

وما فيه من الشر المستطير، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف علينا أشد من المسيح الدجال، وذلك أن الرياء خفيٌّ يتسلل إلىٰ القلب ولا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وظاهر العمل أنه لله ولكن باطنه لأجل مدح الناس وثنائهم علىٰ صاحب ذلك العمل، ولذلك قال -كما مر معنا- في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عند قوله: باب الخوف من الشرك **قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»** فسئل عنه ف**قال: «الرياء»**.

فهذا الحديث يدل علىٰ مدىٰ شفقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته، وحرصه علىٰ النصح لهم، وتحذيرهم مما يعكِّر صفو علاقتهم وعبادتهم بربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقبل أن ننتقل إلىٰ الباب الآخر فهنا فائدة وهي لابد من الحديث عنها، وهو أن الرياء له ثلاث حالات مع العبادة:

الأولىٰ: أن يكون الباعث للعبد علىٰ العبادة هو مراءاة الناس، يعني من الأصل، وهو لم يقصد وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذا شركٌ أكبر مبطل للعمل، وهذا كحال المنافقين والعياذ بالله ! كما قال الله عز جل: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

الحالة الثانية: أن يحصل له الرياء في أثناء العبادة فيقوم بالعمل لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهو لا يريد إلا الله عَزَّ وَجَلَّ ثم بعد ذلك يدخل عليه الرياء، فهنا إن اجتهد بدفع ذلك الرياء وصرفه عنه، وجدد النية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا شيء عليه، وعبادته صحيحة، وأما إن استرسل معه، واطمئن إليه، ولم يدفعه، فهنا يُنظر في عبادته:

أ- **إن كانت** العبادة مرتبطًا أولها بآخرها، مثل الصلاة، فالصلاة تُبتدأ بالتكبير وتختتم بالتسليم أو تنتهي بالتسليم، فهذا تبطل صلاته، وعليه أن يعيد الصلاة.

ب- **وإن كانت** العبادة لا يرتبط أولها بآخرها، مثل إنسان أخرج مبلغًا من المال تصدق بأوله فرأي وهو في أثناء الصدقة بجزء من المبلغ ثم استغفر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وجدد النية وأخلص وتصدق بباقي المال، المال الأول فسدت نيته، والله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وأما الثاني فهو صحيحٌ ويقبله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الحالة الثالثة: هو أن يأتيه الرياء بعد الفراغ من العبادة، فهذا لا يؤثِّر عليه شيئًا، وهذا يكون مثل التسميع الذي يحب أن يسمِّع الناس بأنه فعل كيت وكيت من العبادات، فهذا لا يؤثر علىٰ عمله بشيء.

❖ ❖ ❖

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥- ١٦].

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إِنْ أُعطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ وَإِذَا شِيْكَ فَلا انْتَقَشَ. طُوبَىٰ لِعَبْدِ آخِذٍ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ؛ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

❁ ❁ ❁

قال الشارح -وفقه الله-:

هذا الباب يبين فيه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ أن العبد إذا عمل عملًا صالحًا يقصد به الدنيا فقد وقع في الشرك.

۞ **ربما يسأل البعض ويقول: ما الفرق بين هذا الباب والباب الذي جاء في الرياء؟**

يقول أهل العلم: أن الرياء هو أن يعمل الإنسان عملًا المراد منه مراءاة الناس حتىٰ يعظِّموه ويثنوا عليه ويمدحونه، أما هذا الذي معنا في هذا الباب (**بَابُ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا**) فالمراد منه أن يحصل علىٰ نصيبٍ من الدنيا، كالذي يطلب العلم أو يطلب الوظيفة، أو كالذي يجاهد من أجل تحصيل المال، فهذا الفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله، غير أنهما بينهما وجه اتفاق وهو أن كلاهما يعمل لغير الله.

ثم استدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقول الله تعالىٰ**: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ **يعني**: يريد ثواب الحياة الدنيا.

قال: ﴿وَزِينَتَهَا﴾ **يعني**: يقصد لذاتها من الطعام والشراب واللباس.. إلىٰ آخره.

قال: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ **أي**: نجازيهم بها في الحياة الدنيا كما يريدون.

ثم قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ **أي**: لا ينقص ثوابهم الذي أرادوه.

ثم بيّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **قال**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ **أي**: هؤلاء الناس الذين يعملون من أجل الدنيا، يعملون العبادة من أجل أن يحصلوا علىٰ ثواب الدنيا، **قال**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾، لماذا؟ لأنهم أشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ وأرادوا بعملهم غير وجه الله، أرادوا به الدنيا.

قال: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ **أي:** في هذه الحياة الدنيا وبطل عملهم، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ **أي:** بطل ذلك العمل منهم، فليس لهم جزاءٌ إلا النار وأحبط الله عملهم، ففي هاتين الآيتين الوعيدُ لمن قصد بعمله الدنيا، وذلك بإحباط العمل ودخول صاحبه النار، والعياذ بالله!.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في الصحيح وهو عند البخاري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ**» تعِس وتعَس يجوز فيها الوجهان فتح العين وكسرها، ومعناها: هلك أو سقط علىٰ وجهه وذلك إذا عثر، وهذا دعاء عليه بالهلاك من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ**» **أي:** الطالب له والحريص علىٰ جمعه، ومن شدة تعلقه بالدينار صار عبدٌ له، وسماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الدينار لكونه هو المقصود من عمله، فصار عبدًا له، والعياذ بالله!

ثم قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ**» وهو أيضًا مثله، فالدينار الذهب، والدرهم الفضة.

ثم قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيْصَةِ**» ، والخميصة هي كساءٌ أو ثوبٌ مصنوع من الخز أو الوصف، وأما الخميلة فهي ثيابٌ لينة لها أهداب متعلقة بها.

ثم قال: «**إنْ أُعطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**» **أي:** حاله متعلقٌ بالدنيا، يرضىٰ إذا أُعطي، وإن لم يُعط يسخط علىٰ ذلك.

ثم قال: «**تَعِسَ وانْتَكَسَ**» **يعني:** خاب وخسر.

ثم قال: «وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ»، أي: إذا أصابته الشوكة فلا يقدر علىٰ إخراجها حتىٰ بالمناقيش.

والمراد من هذا: أنه إذا وقع في البلاء والشر فلا خلاص له منه، وذكر أقل الشر وهو الشوك، وهي أضعفه وأهونه إلا أنه لا يستطيع أن يتخلص من ذلك، وهذا بسبب إرادته بعمله الدنيا والعياذ بالله!

ثم ذكر الذي يريد ما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **ثم قال: «طُوبَىٰ لِعَبْدٍ»** طوبي: يعني الجنة، أي: له الجنة.

«طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وقوله **(في سبيل الله)** يعني خالصًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **«أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ»**.

ثم من كونه لا يريد إلا الله فلا يهمه أين كان، المهم أنه يخدم دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك **قال: «إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ»** لا يهمه، **«وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ» أي:** في آخر الجيش يسقي الناس أو ما شابه ذلك فإنه أيضًا لا يهمه، وأيضًا من كونه لا يلتفت إلىٰ الدنيا ولا يعبأ بها فإنه لا يلتفت إلىٰ نظر الناس إليه، حتىٰ إنه **«إِنْ اسْتَأْذَنَ» يعني:** استأذن علىٰ الناس، علىٰ الوجهاء أو ما شابههم فإنه لا يؤذن له، لماذا؟ لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة له عندهم، **«وَإِنْ شَفَعَ»** أيضًا لا تُقبل شفاعته؛ لأنه ليس له جاه، وهذا الذي يريد ما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك وجب علىٰ العبد أن يحذر أشد الحذر من أن يريد بعمله الدنيا، وإنما يجعل عمله خالصًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإنما يريد بعمله وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فإذن: تحريم إرادة العبد بعمله الدنيا وتركه أيضًا للرئاسة والشهرة، فهذا هو الذي ينفع العبد عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

بَابُ مَنْ أطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللّٰه أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّم اللّٰه؛ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُوْشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارةُ مِنَ السَّمَاءِ؛ أقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ! وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!».

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ؛ وَيَذْهَبُونَ إِلَىٰ رَأي سُفْيَانَ !! واللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلَكَ.

وَعَنْ عُدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة: ٣١]، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ! قَالَ: «أَلَيْس يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّوْنَهُ؟»، فَقُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وحَسَّنَهُ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح -وفقه الله-:

هذا الباب عقده المصنف -رحمنا الله وإياه- وهو (**بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ**) وذلك فيما يشرعون من أمور تخالف أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أمورٌ فيها النص واضح وفيها الدليل بيِّن، ليست الأمور الاجتهادية التي هي راجعة إلىٰ الاجتهاد، ليس فيها نص، وإنما الأمور التي جاء بها الدليل وهي بينة أنها حرام أو حلال، فطاعتهم تكون بمعنىٰ أنه جعلهم أربابًا من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فإذن: طاعة العلماء والرؤساء في تحريم الحلال وتحليل الحرام هو شركٌ أكبر ينافي التوحيد.

وقد ذكر أهل العلم -رحمنا الله وإياهم- أن طاعة العلماء والأمراء تنقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: طاعتهم في مخالفة أمر الله عَزَّوَجَلَّ، **يعني**: مخالفة الكتاب والسنة، مع اعتقاد أن قولهم صحيح، وأنه دين، فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام.

والقسم الثاني: طاعتهم في مخالفة أمر الله وهو يعلم أن ذلك لا يجوز، ولكن لهوىٰ وشهوة في نفسه، فإن هذا حكمه كما قال شيخ الإسلام: (له حكم أمثاله من أهل المعاصي).

وعلىٰ كل حال، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، وكما قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما الطاعة بالمعروف**».

ثم ذكر أثر ابن عباس: «يُوْشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ» إلىٰ آخره. ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ما كان يقول بوجوب التمتع بالعمرة إلىٰ الحج، وقد ذكر له بعضهم أن أبا بكر وعمر ينهيان عن ذلك ويأمران الناس بالإفراد، فابن عباس قال لهم: إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد تمتع وأمر بالتمتع، فتتركون قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ قول أبي بكر وعمر مع جلالة قدر أبي بكر وعمر، ولذلك قال لهم: «**يُوْشِكُ**» **يعني**: يقرب ويدنو «**أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ**»، وهذا فيه وعيدٌ شديد وتحذير شديد بأن الإنسان يحذر أشد الحذر، فلا يتبع عالمًا في أمر خالف فيه أمر الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولا يغتر بعلو منزلته وعلو كعبه ومكانته عند الناس، وإنما العبرة بالدليل الثابت في الكتاب والسنة.

ثم ذكر الأثر عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ حينما **قال: (عجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ) أي**: ثبت عندهم الحديث وتبين لهم، فكيف يتركون هذا الحديث لرأي سفيان أو رأي فلان وفلان؟ فإنه لا يجوز لهم ذلك، فلا يجوز لهم أن يطيعوا أحدًا من العلماء في مخالفة حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولذلك كما جاء عن الأئمة: إذا خالف قولي قول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فاضربوا بقولي عرض الحائط، وكما قال الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

ثم ذكر الإمام أحمد -رحمنا الله وإياه- محذرًا لمن يقع في مخالفة حديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **قال: (وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾**

فليحذر الذين يخالفون عن أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم فسر الإمام أحمد الفتنة **فقال**: هي الشرك، وذلك بأنه إذا ردّ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ والهلاك، والعياذ بالله! وهذا تحذيرٌ ووعيد شديد يجب على المرء أن يتنبه له لئلا يقع في الكفر أو يقع في النفاق أو يقع في البدعة، فيصيبه الله عَزَّ وَجَلَّ بعذاب أليم، بعذاب أليم في الدنيا: إما بالقتل أو بالحبس أو نحو ذلك، وأما في الآخرة فهو العذاب في النار، أجارني الله وإياكم من النار!

إذن: المراد من هذا الأثر هو أن الذي يرد قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يسبب له زيغ القلب الذي يوقع العبد في الهلاك والكفر، والعياذ بالله!

ثم ذكر حديث (**عُدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ **أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقْرَأُ هَـٰذِهِ الآيَةَ**: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فقال عدي لأنه ذهب إلىٰ أن الرب هو المعبود، وأن العبادة إنما هي الصلاة والصيام والنذر وغيرها، فقال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ**)، قالها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنبها له ولغيره علىٰ أن العبادة ليست هذه فقط، **قال**: («**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّوْنَهُ؟**»، **فَقُلْتُ**: **بَلَىٰ**، **قَالَ**: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»).

فهنا قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾ **يعني**: علماءهم، ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾ هم عُبَّادهم، ولذلك إذا فسد العلماء والعُبَّاد خربت الديار.

فهنا هذا الحديث أفاد أن طاعة العلماء وطاعة العُباد في معصية الله عَزَّوَجَلَّ **هي عبادة لهم، وهي من الشرك**: إما أن يكون شركًا أكبر على ما تقدم، وإما أن يكون شركًا أصغر كما تقدم ذلك.

❁ ❁ ❁

بَابُ قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦].

وَقَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وَعَنْ عَبْد اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

قَالَ النَّوَوِيُّ: حَدِيْثٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَاب الحُجَّة بِإسْنَادٍ صَحِيْحٍ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ المُنَافِقِيْنَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ -عَرَفَ أَنَّهُ لا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ-، وَقَالَ المُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَىٰ اليَهُودِ - لِعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأخُذُونَ الرِّشْوَةَ - فَاتَّفَقَا أنْ يَأتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآيَة.

وَقِيْلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَترافَعُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَىٰ كَعْبِ بْنِ الأشْرَفِ، ثُمَّ ترافَعَا إِلَىٰ عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقتَلَهُ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب مناسبته: أن الحكم بشرع الله عَزَّوَجَلَّ فرضٌ واجبٌ لا يجوز تركه أبدًا، وأن ترك الحكم فيما يتعلق بشؤون المتخاصمين هو شركٌ أكبر مخرجٌ من ملة الإسلام، ولذلك الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ **قال:** ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ وهؤلاء -ما مر معنا في آخر الباب- أحد المنافقين الذي يدعي الإيمان بما أنزل علىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومع ذلك هو يريد أن يتحاكم إلىٰ غير كتاب الله وإلىٰ غير سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الطواغيت التي أُمِر العبد بالكفر بها، ومن ذلك التحاكم إلىٰ غير شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

قال: ﴿يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ **أي:** يريدون في قلوبهم، يعني هذا الأمر يكون في القلب فقط، فكيف إذا فعلوا ذلك ونفَّذوه؟ فلا شك أنه أشد وأعظم.

قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ **يعني:** هم يعلمون ذلك، يعلمون أنهم مأمورون بالكفر بالطاغوت، وأن الطاغوت لا يجوز التحاكم إليه، لأنه مناقضٌ للإيمان.

ثم قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾، الشيطان حريص علىٰ إيقاع وإغواء بني آدم حتىٰ يوقعهم في الضلال.

وهنا قال: ﴿يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ أكَّده بالمصدر، ووصفه بالبعد حتىٰ يدل علىٰ عِظَم هذا الأمر، علىٰ عِظَم ذلك الضلال وعِظَم ذلك الخطر العظيم الذي يؤدي إلىٰ فساد الدين، وأيضًا يؤدي إلىٰ فساد الدنيا، يؤدي إلىٰ فساد الدين وذلك أنه تحاكم إلىٰ غير شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وأما فساد الدنيا فإنه يؤدي إلىٰ انتشار الرشوة وانتشار الأمور المحرمة التي تذهب حقوق الناس فيما بينهم

ثم ذكر المصنف -رحمنا الله وإياه- قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾، وهذه الآية أيضًا هي في حق المنافقين، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول لهم: لا تفسدوا في الأرض بمعنىٰ: لا تعصوا في الأرض، فإن العصيان في الأرض فسادٌ فيها، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، إلا أن هؤلاء كانوا يقولون: إنما نحن مصلحون وهم في حقيقتهم مفسدون، ومن الإفساد في الأرض: الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إلىٰ غير شرع الله، فإن ذلك من الإفساد في الأرض.

فمن تحاكم إلىٰ غير كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وإلىٰ غير سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

فأولًا: هذا من أعمال المنافقين.

وثانيًا: هذا من الإفساد في الأرض ومن الحكم بالطاغوت، والعياذ بالله !

ثم قال: وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾، الشاهد منها كما تقدم في الآية السابقة بأن التحاكم إلىٰ غير كتاب الله وإلىٰ غير سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم ما يفسد في الأرض، وأن الأرض لا تصلح إلا بالتحاكم إلىٰ شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والإفساد في الأرض إما إفسادٌ حسي، كهدم البيوت ومنع الحقوق وغير ذلك، وإما أن يكون إفسادًا معنويًا وذلك كإفساد المعاصي، ومن ذلك الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والسحر، وأيضًا من ذلك التحاكم إلىٰ غير شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر رحمنا الله وإياه **قوله تعالىٰ:** ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، وهذا استفهامٌ للتوبيخ، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ يريدون حكم الجاهلية، فالله ينكر عليهم، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، الجاهلية التي كانت قبل الإسلام مما كان عليه العرب وكان عليه أهل الكتاب.

ثم قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فإنه لا أحسن ولا أفضل من حكم الله تباكر وتعالىٰ لأناسٍ أيقنوا ذلك واستقر في قلوبهم، وعلموا أن الحق كله في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهذه الآية تحذرنا من الحكم بالجاهلية، ومن ذلك أحب أن أنبه إلىٰ أن: التحاكم إلىٰ الأعراف الموجودة عند أهل البادية، حينما يختصمون ويختلفون فإنهم يتحاكمون إلىٰ الأعراف التي هي مصادمة لشرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فإذن: من عدل عن التحاكم إلىٰ شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وفضل حكم الجاهلية فقد حكم بالطاغوت.

ثم ذكر حديث عَبْد اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ »**، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر أن الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتىٰ تكون محبته تابعة لما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك اتباعه لأوامر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجتنابه لما نهاه عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والهوىٰ هو ما تهواه النفس وتحبه وتميل إليه.

فإذن: إذا أراد الإنسان أن يعرف صحة إيمانه والفرق بين إيمان أهل الإيمان وأهل النفاق؛ فلينظر إلىٰ مدىٰ تعظيمهم لسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباعهم لها، وتقديمهم لها علىٰ ما تهوىٰ أنفسهم.

❁ ❁ ❁

بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِي؛ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!».

وَرَوَىٰ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصِّفَاتِ -اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ-، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

❁ ❁ ❁

قال الشارح -وفقه الله-:

المصنف -رحمنا الله وإياه- عقد هذا الباب هنا حتىٰ يبين أن التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: الإيمان بأسمائه وصفاته، وأن جحد الأسماء والصفات أو جحد شيء من الأسماء والصفات أنه كفر؛ لأنه مكذبٌ لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن أجل هذا ذكر المصنف هذا الباب حتىٰ يبين أن الذي لا يأتي بالإيمان بالأسماء والصفات أو ينكر الأسماء والصفات، فقد أتىٰ بأمر يناقض التوحيد وينافيه، وهو من شُعَبِ الكفر.

ثم ذكر رحمنا الله وإياه: قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾، وسبب هذا كما جاء في آخر الباب: أن قريشًا لما سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الرحمن أنكروا ذلك، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

ووجه الدلالة: أن الله سمَّىٰ من أنكر الإيمان باسمه الرحمن سماه كفرًا، وهكذا الذي ينكر أسماء الله وصفاته فإنه يكون كافرًا؛ لأنه كذَّب كتاب الله وكذَّب سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا لا شك أنه خطير ومصادم للتوحيد ومخالف له، ولذلك يجب علىٰ المؤمن أن يؤمن بأسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته علىٰ الوجه اللائق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأهل السنة قد ذكروا أن هنالك ثلاث قواعد يجب العناية بها في هذا الباب:

- **الأولىٰ:** أن يثبت ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.
- **والثاني:** قطع الطمع عن إدراك كيفية تلك الصفات.
- **والأمر الثالث:** أن ينفي ما نفاه الله عَزَّ وَجَلَّ عن نفسه ونفاه عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بمثل هذا يكون الإنسان قد أتي بالإيمان بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته موافقًا لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ثم ذكر المصنف حديث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صحيح البخاري **قال: « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟!»، أي:** حدثوا الناس بما تدركه عقولهم، فإن الناس يتفاوتون ويختلفون، فهناك من عنده إدراك صحيح وعلم سليم يدرك الأمور علىٰ تفصيلها وعلىٰ التوسع فيها، ومن ذلك الإيمان بالأسماء والصفات، فبعض الناس ليس عنده إدراك تام، فإيمانه المجمل بالأسماء والصفات هذا يكون في حقه واجبا، وهو يكون إيمانًا صحيحًا، ولذلك هؤلاء لا يستفصل معهم في الأسماء والصفات استفصالًا تامًا، وإنما يُذكر لهم علىٰ سبيل الإجمال، وأما الدخول في التفصيل فإن ذلك سيؤثر عليهم، ولذلك ينبغي للداعية أن ينتبه إلىٰ من يخاطبهم من الناس، فيخاطبهم بما تدركه عقولهم.

وأما إذا كان الإنسان مع طلبة علم يفهمون ويعقلون ويدركون مراد الله ومراد رسوله فإن هذا يكون من كمال الإيمان وتمامه، فيكون الحديث فيه من الأمور الطيبة النافعة التي تعود علىٰ العبد بالصلاح وأيضًا باستقامة الحال وبخشيته من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر ما رواه (**عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوسٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا**: أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا انْتَفَضَ**) ، هذا الرجل انتفض لأن عقله لا يتحمل

ما ذكره ابن عباس في ذلك، وإما لكونه اعتقد عدم صحة ذلك فأنكره ووقع في قلبه من ذلك، لذلك **قال**: (**انْتَفَضَ**) **أي**: تحرك واضطرب من هول ما سمع من ابن عباس في هذا الباب في باب الأسماء والصفات.

فقال ابن عباس: (**مَا فَرَقُ**) و(ما) هنا استفهامية، يعني خوفهم، الفَرَق هو الخوف، ما خوف هؤلاء من آيات الصفات واستنكارهم لها؟ (**يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ**) **يعني**: عند الأمور الواضحة البينة، (**وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!**) بمعنىٰ: إذا سمعوا آيات الصفات اشتبهت عليهم، وذلك لقلة علمهم، أو لما فيهم من دخول البدع عليهم، فيهلكون بالإنكار وبالجزع حينما يسمعون ذلك.

وهذا فيه فائدة أن إنكار الصفات كان قديمًا في هذه الأمة، فإنه كان في زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فإذن: الحديث يدل علىٰ أن الواجب علىٰ المرء أن يؤمن بكل ما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ به وأخبر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواء فهمه أو لم يفهمه، هذا هو الواجب عليه وأن يسلِّم ذلك لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إلىٰ عالمه جَلَّ وَعَلَا علىٰ مراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعلىٰ مراد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون أن ينكر ذلك الأمر.

❁ ❁ ❁

بَابُ قَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هَذا مَالِي؛ وَرِثْتُهُ عَن آبَائِي.

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيْهِ: «وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»- الحديث: وَقَدْ تَقَدَّمَ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ يَذُمُّ سبحانه مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالمَلَّاح حَاذِقًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ كَثِيرةٍ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح -وفقه الله-:

مناسبة ذكر المصنف لهذا الباب: أن إضافة النعم إلىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كفرٌ، وجعله شريكًا لله تعالىٰ في ربوبيته من جهة أن النعم ليست إلا من الله، فهو الذي يرزق عباده وينعم عليهم.

ومن جهة أخرىٰ أنه لم يقم بشكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ هذه النعم، وهذا منافٍ للتوحيد، فإنه لم يقم بحق هذه النعمة من شكر الله عَزَّ وَجَلَّ عليها، وهو مخالفٌ لتوحيد الألوهية.

والكفر بنعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينقسم إلىٰ قسمين:

- **القسم الأول**: أن يضيفها إلىٰ غير الله عَزَّ وَجَلَّ بلسانه مع أنه معتقدٌ بقلبه أنها من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذا يكون شركًا أصغر.
- **والقسم الثاني**: أن ينسب النعم إلىٰ غير الله اعتقادًا منه بأنها من عند غير الله عَزَّ وَجَلَّ فهذا شركٌ أكبرٌ مخرج من ملة الإسلام.

وقوله: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ **يعني**: يقرون بها ويعلمون أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي أنعم بها عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهم يعرفون أنها نعمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي أنعم بها، ثم هم بعد ذلك ينكرون ذلك، وذلك بإضافتها إلىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إلىٰ السبب الذي يعتقدونه.

ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ **أي**: الجاحدون لنعمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهذه الآية فيها أن إضافة النعم إلىٰ غير الله عَزَّ وَجَلَّ إما بالقلب: وهو أن يعتقد أنها من عند غير الله، وهذا شركٌ أكبر مخرجٌ من ملة الإسلام، وإما باللسان: وهو أن يجعل هؤلاء سببًا في وصول تلك النعمة، مع اعتقاد أنها من عند الله.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الأقوال التي جاءت عن السلف في تفسير هذه الآية، وهو قول مجاهد، هو قول يفسر الآية، من ذلك: (**هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هَذا مَالِي؛ وَرِثْتُهُ عَن آبَائِي**)، ووجه ذلك: أنه أضاف تملكه للمال إلىٰ السبب وهو الإرث متناسيًا الذي أنعم عليه بذلك وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا من كفر النعمة.

ثم قال: (**قَالَ عَونٌ بن عَبْدِ اللهِ: يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا**) وهذا مثل ما تقدم، فإنه نسب ذلك إلىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ونسي أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي تفضل عليه وأنعم عليه.

ثم قال: (**يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا.**

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا)، وهذا أشدهم وأقبحهم، وذلك أنهم مع إضافة النعم إلىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا أنهم جعلوا هنالك شفعاء لهم وهم الأصنام، فهذا فيه إثبات الشرك بهذه الأصنام لأنهم جعلوهم شفعاء وآلهة، والثاني: أنهم جعلوا هذه الأصنام سببًا في حصولهم علىٰ الرزق. وهذا لا شك كله باطل وكفر بنعمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكفرٌ بالله عَزَّ وَجَلَّ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ**) **يعني**: ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(**بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيْهِ: «وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**» - **الحديث: وَقَدْ تَقَدَّمَ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةَ**) **أي**: مثل هذا الأمر الذي يذم الله عَزَّ وَجَلَّ فيه من يضيف إنعامه إلىٰ غيره ويشرك به.

ولذلك قال: (**قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالمَلَّاحِ حَاذِقًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ كَثِيرةٍ**)، وهذا فيه أن نسب إلىٰ غير الله

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ونسوا أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أجرىٰ الفلك، وهو الذي أتىٰ بهذه الريح الطيبة وسخّر لهم ذلك، فهم كمن نسب نزول المطر إلىٰ غير الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا كفر بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ حيث أسندوا الفضل لغير الله عَزَّوَجَلَّ.

***

بَابُ قَوْلِهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي الآيَة: «الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ؛ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَوْدَاءِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ؛ وَحَياتِك يَا فُلانُ! وَحَيَاتِي! وَتَقُولَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا؛ لأَتَانَا اللُّصُوصُ! وَلَوْلَا البَطُّ فِي الدَّارِ، لأَتَىٰ اللُّصُوصُ؛ وَقَولُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلانٌ! لا تَجْعَلْ فيها فُلانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ.

وَقَال ابن مَسْعُودٍ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا».

وَعَنْ حُذَيْفَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلانٌ؛ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَاءَ عَنْ إِبْراهِيمَ النَّخَعِيِّ؛ أَنَّه يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُل: أعوذُ بِالله وَبِكَ، وَيَجُوزُ أن يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، قَالَ: وَيَقُولُ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللهُ وَفُلانٌ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح -وفقه الله-:

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقد هذا الباب حتىٰ يبين أن تحقيق التوحيد لا يكون إلا بالاحتراز من الشرك كله: الشرك الأكبر، وأيضًا الشرك الأصغر ومنه الشرك في الألفاظ وإن لم يقصد ذلك.

فإذن: المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقد هذا الباب حتىٰ يحذرنا من ذلك، ويبين لنا أن هذا من الشرك، وأنه يجب علينا أن نحذر منه وأن نتجنبه.

ثم استدل **بقول** الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، و(لا) هنا ناهية، **أي**: لا تجعلوا أنداداً لله في عبادته.

وهذه الآية وإن كانت في الشرك الأكبر إلا أن السلف جرت عادتهم علىٰ الاحتجاج بما ورد في الشرك الأكبر علىٰ الشرك الأصغر، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصه.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحذرنا من أن نشرك به وأن نجعل له أندادًا، ومن ذلك ما جاء من الألفاظ الواردة التي تدل علىٰ الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف -رحمنا الله وإياه- الأثر الوارد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، **قال**: **(الأندادُ هُوَ الشِّرْكُ)**، والنِّدُّ -كما تقدم معنا- هو الممثل والنظير والشبيه، والشرك المراد به هنا الشرك الأصغر.

ثم ذكر ابن عباس أمثلة كلها تدل علىٰ الوقوع في الشرك: (**وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ؛ وَحَياتِك يَا فُلانُ**) **يعني**: يقسم بغير الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، أو أن يقول: (**لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا؛ لأَتَانَا اللُّصُوصُ**)، وهذا فيه أنه الذي حماهم من هذا هو وجود هذه الكلبة، وهذا أيضًا من الشرك، بل إنه لولا الله وحده جَلَّوَعَلَا.

ثم قال: (**وَلَوْلَا البَطُّ فِي الدَّارِ**) إلىٰ آخره. (**وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**)، وهذه كلها من الألفاظ التي تدل علىٰ الشرك، وذلك بسبب أنه عطف بالواو، والواو تدل علىٰ المساواة بين المعطوف والمعطوف عليه، والواجب أن تُنسب لله وحده لا شريك له، فيقول: لولا الله وحده لكان كذا وكذا، ولا بأس أن يعطف بـ (ثم)، التي تدل علىٰ الترتيب والتراخي، فيقول: لولا الله ثم كذا، أو ما شاء الله ثم شئت، وهكذا من سائر الألفاظ.

ثم ذكر حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ»**) (مَن) شرطية، «حلف بغير الله» أيّ شيء يحلف به غير الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، يفيد العموم، **قال**: «**فَقَدْ كَفَرَ**» وهذا جواب الشرط، «**فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»، قيل أن (أو) هنا أنهاش من الراوي، وقبل أن (أو) هنا بمعنىٰ الواو، **يعني**: قد وقع في الكفر ووقع في الشرك، إذ إنه ساوي غير الله مع الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وهذا دليل علىٰ تحريم الحلف بغير الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

والحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ يكون شركًا أكبراً ويكون أيضًا شركًا أصغراً.

متىٰ يكون شركًا أكبر؟ إذا اعتقد أن هذا الذي حلف به كعظمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ويكون شركًا أصغر إذا لم يعتقد بأنه كعظمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر أثر ابن مسعود أنه قال: (لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا)، وهذا ليس معناه جواز الحلف بغير الله كاذبًا، ولكن حتىٰ يبين أن الحلف بالله كاذبًا معصية، وأما الحلف بغير الله هو شرك، والشرك أعظم الذنوب والمعاصي.

ثم ذكر حديث (**حُذَيْفَة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ **أن رسول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاء فُلانٌ**) وهذا يدل علىٰ أنه لا يجوز مثل هذه الألفاظ، وأنها شرك، لأنه ساوىٰ غير الله بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال: « وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ »**، وأرشدهم النبي صلىٰ اله عليه وسلم إلىٰ القول الصواب والأمر الذي ينبغي لهم أن يلتزموه وهو الذي فيه (ثم) التي تدل علىٰ التراخي وعدم مساواة مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ بمشيئة خلقه.

ثم ذكر أثر إبراهيم النخعي (**أنّه يَكْرَهُ: أعوذُ بِالله وَبِكَ**) وذلك للمساواة بين الله وبين المخلوق، (**وَيَجُوزُ أن يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ**)، وهذا فيه جواز الاستعاذة بغير الله، وذلك فيما يقدر عليه المخلوق، وأن يكون حيًا حاضرًا يسمع ما يقوله.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللّٰهِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ **أَنَّ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ». رَوَاهُ ابْنُ حَبان بِسَنَدٍ حَسَنٍ.**

۞ ۞ ۞

قال الشارح -وفقه الله-:

أي: باب من الوعيد، وذلك أن القناعة بالحلف بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو من كمال توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ومن لم يقنع بذلك فهذا دالٌّ علىٰ استخفافه بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتنقصه له، ولذلك هذا ينافي كما التوحيد.

فإذن: المقصود هنا أنه إذا توجه العبد أو الشخص علىٰ خصمه باليمين وهو قد عُرِف بالصدق؛ فإنه يجب عليه أن يرضىٰ بتلك اليمين، لماذا؟ تعظيما لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإجلالًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر أثر (**ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ **أَنَّ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا»**) وهذا نهي عن الحلف، **قال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»** نهي عن الحلف بغير الله.

ثم قال: «**مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ**»، وهـذا مـن تعظيمـه لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فيجـب علىٰ الحالف أن لا يستهين باليمين حين يحلف بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وذلك من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم قال: «**وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ**»، فليصدق وليقبل وليُذعن، لأن الله عظيم جَلَّجَلَالُهُ، وهذا من تعظيمه لله عَزَّوَجَلَّ.

ثم ذكر الوعيد قال: «**وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِن اللهِ**»، وهذا وعيدٌ بأن الله غير راضٍ عنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لأنه لم يعظِّم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

❖ ❖ ❖

بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيلَةَ؛ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنَّكُم تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! وتَقُولُونَ: وَالكَعْبَةِ! فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ. رَوَاهُ النَّسَائِي وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وحْدَهُ».

ولابْن مَاجه عَنْ الطُّفَيلِ -أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا-؛ قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَىٰ نَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ: قُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تقُولُونَ عُزَيرٌ ابْنُ اللهِ ! قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشاءَ مُحَمَّدٌ! ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارىٰ، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنتمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ! قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لأَنْتُمْ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ! فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبرتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟ » قُلْتُ: نعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَىٰ رُؤْيًا؛ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخبرَ مِنكم، وإِنَّكُم قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعنِي كَذا وَكَذَا أَنْ

أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ».

❁ ❁ ❁

قال الشارح -وفقه الله-:

وهذا الباب أيضًا عقده المصنف تحذيرًا من هذه الألفاظ الشركية، وقد أفردها المصنف هنا وإن كانت داخلة في الباب الذي تقدم قبل، لكن أفردها هنا لأهميتها وعموم البلوىٰ بها، وجهل كثير من الناس بخطورة هذه الألفاظ.

وقوله هنا: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، هذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، إلا في حالة واحدة: إذا اعتقد أنه مساوٍ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر حديث قتيلة أن اليهود أتوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: (**إِنَّكُم تُشْرِكُونَ، تقولون: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**) أي: بينوا أن هذا شرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقهم في قولهم هذا، ثم أمر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن لا يحلفوا إلا أن يقولوا ورب الكعبة، وحينما يقولون ما شاء الله فإنهم يقولون: ثم شئت.

ثم ذكر أثر ابن عباس (**أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وحْدَهُ**)، قوله: «**مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**» هذه أعلىٰ درجة وأفضل درجة أن يقولها المرء. وأما الدرجة التي تأتي بعدها فهو أن

يقول: ما شاء الله ثم شئت. وأما الأمر الذي لا يجوز وهو من الشرك هو أن يقول: ما شاء الله وشئت، وهذا هو الذي حذر منه المصنف.

ثم ذكر حديث عن الطفيل وهو أخٌ لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من أمها، والذي فيه الرؤيا، وهذه رؤيا صادقة، رؤيا صالحة بإقرار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، وفيها أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهاهم أن يقولوا تلك الأمور التي أنكرها اليهود والنصارىٰ علىٰ الطفيل.

ثم إن قوله: «وَإِنَّكُم قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعَنِي كَذا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْها» لم تذكر في هذه الرواية، وجاء في بعض الروايات أنه كان يمنعه الحياء منهم، وهذا قبل أن يؤمر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالإنكار لهذا الأمر، لم يأته الأمر من الله عَزَّوَجَلَّ بإنكار ذلك، ثم أنكره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم.

فإذن: هذه الأمور التي لا تجوز، وهي من الشرك الأصغر، ويجب علىٰ المرء أن يحذر منها أشد الحذر.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللّٰهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وَفِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يُؤْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ - وَأَنَا الدَّهْرُ - أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».**

۞ ۞ ۞

قال الشارح - وفقه الله -:

المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد حتىٰ يبين لنا أن من سب الدهر فقد آذىٰ الله تعالىٰ.

والمقصود بالأذىٰ هنا: أن الذي يسب الدهر فهو في الحقيقة سابٌّ لله تعالىٰ، لماذا؟ لأن الله هو الفاعل لهذه الأمور وهو الذي قدَّرها، أو أن السابَّ للدهر إن سبَّه باعتبار أن الدهر هو فاعلٌ مع الله تعالىٰ فهذا شركٌ أكبر، فمن أجل هذا ذكر الشيخ هذا الأمر لأنه مخالفٌ لكمال التوحيد وأصله التوحيد، فأراد الشيخ أن ينبِّه علىٰ هذا الأمر حتىٰ يكون المؤمن في حذرٍ منه.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية:٢٤] ، فهنا يخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الدهرية وهي طائفة من الكفار، وأيضًا ومن وافقهم من مشركي العرب، وذلك في إنكارهم للمعاد، إذ إنهم يقولون: ما هي إلا هذه الحياة التي نعيشها، ولا يوجد بعث ولا يوجد نشور، ولذلك كما يقولون: أرحامٌ تدفع وأرضٌ تبلع. ولا يوجد حياة أخرىٰ بعد هذا الموت، ولذلك قالوا: نموت ونحيا، **أي**: يموت قومٌ ويعيش آخرون، فلا يوجد قيامة، وأن الذي يميتهم إنما هو مرُّ الليالي والأيام، هي التي تفنيهم، ولذلك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنكر عليهم هذا القول، وبيَّن أن قولهم باطل، بقوله: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ وهذا تكذيبٌ بالبعث، ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾، وهذا هو الشاهد هنا **قال**: ﴿إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾، ومراده: أن من سبَّ الدهر فقد شارك هؤلاء في سبِّهم وإن لم يشاركهم في الاعتقاد.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **قَالَ**: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يُؤْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ**»، والأذىٰ هو دون الضرر، يعني ليس مثل الضرر، هو دونه، كالذي يتأذىٰ من الحر فإنه يقول: تأذَّيت من الحر ولا يقول تضررت من الحر، وذلك أن العباد لا يلحقون الضرر بالله عز وجل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، لكن يؤذيه العباد إذا سبوا الدهر، وهذا الأذىٰ الذي قال الله عنه: «**يُؤْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ**» هو ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ «**يَسُبُّ الدَّهْرَ**» وذلك بأن يقول حينما يصيبه البلاء فيقول: يا خيبة

الدهر، أو كما يقول العامة عندنا: الله يلعن هذه الساعة، أو ما شابه ذلك من الألفاظ التي يتجرأ فيها الإنسان علىٰ سبِّه للدهر.

ثم قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**وَأَنَا الدَّهْرُ**» والدهر ليس اسمًا من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذ لو كان اسماً لكان الذين قالوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، مصيبين.

وأيضاً لابد لنا من أن نعرف أن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تدل علىٰ وصفٍ وتدل علىٰ معنىٰ، فالرحيم يدل علىٰ أن الله متصفٌ بصفة الرحمة، وأما الدهر فهنا فكما ذكر أهل العلم أنه اسمٌ جامد، ومقصودهم بجامد: أي أنه لا يدل علىٰ معنىٰ، وإنما هو اسم للأوقات، وهذا هو الذي عليه أهل العلم، بخلاف ما ذهب إليه ابن حزم، وقد أخطأ في هذا وجانب الصواب.

ثم بيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذا الحديث القدسي وفسَّر معنىٰ الدهر المراد به، **قال: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» بمعنىٰ**: أنا الذي أتصرف فيه وأنا الذي أملكه وهو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فحينما يسبُّ الدهر فهو قد عاب الله الذي يقلِّب هذا الدهر ويصرِّفه كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قال في الرواية الأخرىٰ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**».

فما يجري فيه من خيرٍ أو شرٍّ فهو بإرادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتدبيره وحكمته لا شريك له في ذلك، فسبُّ الدهر محرمٌ، لأنه مسبَّة لله وأذيَّة له، فلا يجوز ذلك،

فسابُّ الدهر بين أمرين وهو أنه حينما يسب الدهر أنه يعتقد أن الدهر فاعلٌ مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا شركٌ لا شك، وإما أن يعتقد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المالك وهو الفاعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو يسب الدهر من أجل ما يقع فيه، فيضيف تلك الأفعال إليه، فهذا قد آذىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو محرمٌ لا يجوز ومنافٍ لكمال التوحيد.

۞ وسبُّ الدهر ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقصد بقوله حينما يسب الدهر الإخبار المحض، **يعني:** كالذي يتكلم عن اليوم أو عن السنة، فإنه يقصد ما يقع فيه إخبارٌ محض دون اللوم، كقولهم: تعبنا من شدة الحر، أو كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[هود:٧٧]، أو ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[القمر:١٩] فهذا من باب الإخبار وليس من باب سبِّ الدهر.

الثاني: أو أن يسب الدهر علىٰ أنه هو الفاعل حقيقة، وهذا - كما قلنا - كفرٌ أكبر مخرج من ملة الإسلام.

الثالث: أو أن يسب الدهر لا لاعتقاده أن الدهر هو الذي يفعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل علىٰ الحقيقة، ولكن يسب الدهر لأنه محلٌّ لهذا الأمر المكروه، فهذا محرم ولا يجوز.

۞ ۞ ۞

بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلَاكِ؛ لَا مَالِكَ إِلَّا اللهَ». قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَىٰ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ».

قَوْلُهُ (أَخْنَعَ): يَعْنِي أَوْضَعَ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف حتىٰ يبين أنه لا يجوز التسمي بالشيء الذي لا يليق بالمخلوق، وإنما هو يليق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو التسمي بأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كأن يقول: حاكم الحُكَّام، وحاكم الحُكَّام هو الله جَلَّ جَلَالُهُ، أو قاضي القضاة كما ذكر الشيخ هنا، فإن قاضي القضاة هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **ومعناه**: حاكم الحكام.

أو أن يقول كما ذكر سفيان: شاهان شاه، وهي كلمة عند العجم تعبِّر علىٰ أنه

ملك الأملاك، وهذا كله لا يجوز، لأنه ينافي كمال التوحيد، ولكن إذا قُيِّد بأن **قال**: قاضي قضاة دمشق مثلًا، أو قاضي قضاة الرياض، أو رئيس القضاة؛ فإن هذا لا شيء فيه، ويكون مخصوصًا لأنه قيَّده، فهو لا يدل على العموم وإنما يريد به خصوص ذلك المكان الذي ذكره.

ثم استدل عليه بالحديث الذي رواه البخاري ومسلم **قال**: (**فِي الصَّحِيْحِ**) **يعني**: عند البخاري ومسلم. «**إِنَّ أَخْنَعَ**»، والأخنع كما فسره الشيخ هو أوضع.

وقوله في الرواية الأخرى: «**أَغْيَظُ**» وهو من الغيظ، **بمعنى**: أنه بغيضٌ إلى الله مغضوبٌ عليه، من هو؟ **قال**: «**رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ**»، وفي الحقيقة ملك الأملاك لا يُطلق إلا على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وهذا دالٌّ على المنازعة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك **قال**: «**لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ**»، **أي**: هو مالك الأملاك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الذي له المُلْك الحق جَلَّ جَلَالُهُ.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر أن أبغض الرجال إلى الله يوم القيامة وأخبثهم وأوضعهم وأحقرهم من تعاظم نفسه وتسمى بما لا يليق به، فهذا الأمر لا يجوز وهو محرم، التسمي بقاضي القضاة أو ملك الأملاك، وذلك لأنه منافٍ لكمال التوحيد.

* * *

بَابُ احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ؛ أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّىٰ أَبَا الحَكَمِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي؛ فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيْقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

وهذا الباب المقصود منه بيان التأكيد علىٰ وجوب احترام أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والحذر أشد الحذر من امتهانها واحتقارها، أو تسمية غير الله بها، وأنه يجب تغيير ذلك من أجل احترام أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

والفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله: أن الذي قبله دالٌّ علىٰ المنازعة ومشاركة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا لا شك أنه أمرٌ عظيم، وذلك لأنه ادعىٰ شيئًا لا حق له فيه، ولذلك كان أخنع اسمٍ، **يعني**: أوضعُ اسمٍ وأحقر عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما هذا الباب الذي معنا هنا فهو راجعٌ إلىٰ شيءٍ كان يفعله أبو شريح وهو الحكم بين الناس، فيرضون بذلك الحكم، وليس هو من باب المنازعة، وذلك أنه يعني ربما يقع مثل هذا من غير قصدٍ، كما هو الحال مع أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ **وأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تنقسم إلىٰ قسمين:**

من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما لا يصلح إطلاقه إلا علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا يُسمىٰ به إلا الله جَلَّ جَلَالُهُ، من ذلك: اسم (الله) لفظ الجلالة (الله)، والرحمن، ورب العالمين، والخلاق، وخالق الخلق، وما شابه ذلك من الأسماء التي لا تليق إلا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما القسم الثاني وهو ما يصح أن يُسمىٰ به غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وذلك للاشتراك في المعنىٰ وإن كان المعنىٰ التام هو لائقٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأما المخلوق فله المعنىٰ الناقص، مثل سميع ورحيم وعليم وكريم، فهذه يجوز تسمية الخلق بها.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث (**أَبِي شُرَيْحٍ؛ أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّىٰ أَبَا الحَكَمِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ**»، وهذا من باب الإنكار عليه.

قال: (وَإِلَيْهِ الحُكْمُ)، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي إذا حكم لا يُردُّ حكمه، وهذه صفة لا تليق إلا بالله جَلَّ جَلَالُهُ.

وأيضًا: (وَإِلَيْهِ الحُكْمُ) أي: هو الذي يفصل بين العباد في الدنيا والآخرة.

ثم قال أبو شريح: (إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا) وهذا يذكره من باب بيان السبب الذي من أجله كُنِّي بهذه الكنية: أبو الحكم، فهو لم يكني نفسه وإنما هم الذين كنَّوه، لذلك **قال: (إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي؛ فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيْقَيْنِ، فَقَالَ) أي:** النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **(مَا أَحْسَنَ هَذَا)** يقصد الإصلاح، **يعني:** ما أحسن الإصلاح بين الناس وتسوية الخلافات والخصومات التي بينهم.

ثم قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟)** فذكر أن له ثلاثة أبناء: شريح ومسلم وعبد الله، ثم سأله عن أكبرهم **فقال:** هو شريح، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ).**

وهذا يدلنا علىٰ أنه يُكنىٰ الإنسان بأكبر أبنائه وإن كان يجوز أن يُكنَّىٰ بغيرهم، أو حتىٰ يُكنَّىٰ بكنية ليست من أبنائه.

الشاهد معنا هنا: أن التسمي بشيءٍ من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والتكني بها هذا مما ينافي كمال التوحيد، لأن فيه مشابهة لأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مثل هذا، واحترام أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ توجب علىٰ العبد أن يغيِّر ذلك الاسم من أجل تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأيضًا لأن فيه تمام التوحيد.

وأما سبب المنع لأن هنا قوله أنه يُكنىٰ أبا الحكم؛ مشعرٌ بأنه مستقلٌ في الحكم استقلالًا مطلقًا، وهذا لا يكون إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن الحكم هو بلوغ الغاية في هذا الحكم وتمامه وخلوصه من الظلم، وهذا خاصٌّ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فمن أجل هذا مُنِعت التسمية بهذا الاسم، وكل اسمٍ يدل علىٰ نفس المعنىٰ الذي دلَّ عليه هذا فلا

يجوز، أما لو أنه سُمِّي مثلًا فلانٌ بأنه اسمه حكيم كحكيم بن حزام دون أن ينظروا إلىٰ الصفة وهي صفة الحكم فهذا جائز؛ لأنه قد وُجِد في بعض الصحابة كحكيم بن حزام وغيره، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهاه هنا وغيَّره من أجل المعنىٰ الذي دلَّ عليه وهو الاستقلال في الحكم.

* * *

بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيْهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُوْلِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التَّوْبَة:٦٥].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - دَخَلَ حَدِيْثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ -: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُوْنًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ - يَعْنِي رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ - فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ فَوَجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ - فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ؛ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيْثَ الرَّكْبِ؛ نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيْقِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَإِنَّ الحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ -، وَهُوَ يَقُوْلُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُوْلُ لَهُ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التَّوْبَة:٦٥]، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيْدُهُ عَلَيْهِ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هـذا البـاب فيـه بيـان أن الهَـزْل بشـيءٍ فيـه ذكـر الله أو القـرآن أو الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفرٌ وردة عـن الإسـلام ومنـاقضٌ للتوحيـد، لأنـه يـدل علـىٰ تكذيبـه واحتقاره لما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ ولشرع الله وللقرآن أو للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولـذلك يقـول ابـن تيميـة رَحِمَهُ اللَّهُ: إن سـبَّ الله أو سـبَّ رسـوله كفـرٌ ظـاهرًا وباطنًـا، سواء كان السابُّ يعتقد أن ذلـك حـرام أو كـان مسـتحلًا أو كـان ذاهـلًا عـن اعتقـاده. وهذا يدلُّنا علىٰ عِظَم هذه المسألة وهي أنَّ الاستهزاءَ أو السخرية بشيءٍ مـن ديـن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمرٌ خطير، أو أن يتجرأ المرءُ علىٰ سبِّ ربِّه أو سبِّ دينه أو سبِّ رسوله، فإن ذلك مضادٌّ لتوحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومضادٌّ لتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ وتوقيره جَلَّ جَلَالُهُ.

فالسـخرية والاسـتهزاء والـتحكم بالإسـلام والمسـلمين وبـدينهم كفـرٌ ينـافي التوحيد.

ثـم اسـتدل المصـنف رَحِمَهُ اللَّهُ علـىٰ هـذا **بقـول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:٦٥-٦٦]، وهذا هو الشاهد هنا، وهو نصٌّ في الحكم فيمن استهزأ بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أو اسـتهزأ بـالقرآن أو بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنـه مضـادٌّ لتعظيم الله وتوحيده.

ثم ذكر ما جاء في سبب نزول هذه الآية، وهو ما جاء عـن ابـن عمـر ومحمـد بـن كعب وزيـد بـن أسـلم **وقـال**: دخـل حـديث بعضـهم في بعـض، **أي**: أن هـذه الروايـة مجموعة من رواياتهم.

والمنافق هذا الذي قال هذا الكلام إنما كان يقول: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء. ويعني به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

قال: إنهم أكثر رغبة في الأكل، وإنهم أكذب من ينطق، وأنهم أكثر الناس جُبْنًا وأخوفهم عند لقاء العدو. وهذا كذبٌ واستهزاءٌ برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ولذلك أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ هذه الآية التي تبين كفر هؤلاء أو كفر هذا المنافق الذي قال هذا الكلام.

وذهاب عوف بن مالك إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ يخبره بما قال، وهذا ليس من النميمة، بل هذا من النصيحة والذب عن دين الله، لأن النميمة تكون علىٰ وجه الإفساد بين الناس، وأما هذا ففيه نصيحةٌ لله ولرسوله من فعل هؤلاء المنافقين، ومثله الكلام في أهل البدع والتحذير منهم ومن أفعالهم، بل إذا كان منهم الضرر علىٰ المسلمين ويعلم المرء أن ولي الأمر سينتصف منهم وينتقم منهم فإنه يبلِّغ ولي الأمر في مثل هذه الأمور حتىٰ يقطع دابر هؤلاء أصحاب البدع وأصحاب السحر أيضًا والكهنة وغيرهم.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه يعتذر **قال:** إنما كنا نخوض ونلعب. **يعني:** حديث الركب، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يلتفت إليه ولا يقول له إلا كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ فلم يقبل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عذره ولم يزده إلا أن تلا عليه تلك الآيات العظيمة.

فإذن: من تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وكمال توحيده جَلَّ وَعَلَا أن يحذر الإنسان من الاستهزاء ومن الهزل بشيءٍ من ذكر الله أو القرآن أو سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعاذني الله وإياكم من ذلك، ووفقنا جميعًا إلىٰ تعظيمه جَلَّ وَعَلَا وتعظيم دينه وتعظيم رسوله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❋ ❋ ❋

بَابُ قَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُوْلَنَّ هَذَا لِي﴾ [فُصِّلت:٥٠]

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتىٰ يبين أن الشخص إذا أضاف النعمة إلىٰ عمله وكسبه فقد وقع في نوعٍ من شرك الربوبية، وإذا أضافها إلىٰ الله ولكنه يزعم أنه مستحقٌ لذلك لكونه أهلًا لهذا الأمر؛ فهذا فيه تعلِّي وترفع في جانب العبودية، فلا يشكر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما أنعم به عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإضافة النعم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والثناء عليها والشكر هو من كمال التوحيد، وإنكار ذلك وجحوده هو من الكفر الذي ينافي كمال التوحيد.

ثم استدل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾، والمقصود به: الإنسان، **أي**: جنس الإنسان، أذاقه الله الخير وأذاقه النعم ودفع عنه النِّقَم، أعطاه فأكرمه ورفع عنه الضر الذي مسَّه، فمن جحوده ونكرانه ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ بأنه مستحقٌّ لذلك.

ثم ذكر الشيخ - رحمنا الله وإياه - بعض الأقوال عن السلف في تفسير هذه الآية، قال: (**قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقُوْقٌ بِهِ». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيْدُ: مِنْ عِنْدِي»**)، وهذه الآثار كلها تدل علىٰ ذم من ينسب النعم لنفسه ويرىٰ أنه أهلٌ لعطاء الله وفضله، وأن ذلك بعلمه واستحقاقه، فهذا كله من الأقوال التي تنافي كمال التوحيد.

ثم ذكر الشيخ قوله: (﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[القَصَص:٧٨]) وهو قارون، قارون يقول هذا الكلام حينما طلب منه قومه أن يتذكر فضل الله عليه وإحسانه إليه، وأن لا يغتر بمثل هذا، فقال هذا القول، وأنكر أن تكون هذه النعم من عند الله، وزعم أنه إنما نالها علىٰ علمٍ منه بوجوه المكاسب، فكذَّبه الله عَزَّوَجَلَّ وبيَّن أنه قد كذب في مثل هذا القول.

ثم قال: (**قَالَ قَتَادَةُ: عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوْهِ المَكَاسِبِ**) وهذا تفسيرٌ لها.

(**وَقَالَ آخَرُوْنَ: عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ**) وهذا أيضًا تفسير، وهذا كله من الباطل، وهذا كله من الأمور التي لا تجوز.

(**وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ مُجَاهِدٍ: أُوْتِيْتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ**) يعني: علىٰ مكرمة مني واستحقاقٍ مني.

قال: (**وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُوْلُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ؛ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ؛**

وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِيْ قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ أَوِ البَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا.

قَالَ: فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِيْ قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ أَوِ الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا.

فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُوْرَتِهِ - يعني المَلَك - وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبِيْلٍ؛ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِيْ أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ؛ بَعِيْرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوْقُ كَثِيْرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيْرًا؛ فَأَعْطَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ).

وهذا هو وجه الشاهد هنا أنه أنكر فضل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عليه وجحد هذا، ونسبه

إلىٰ أنه قد أخذه كابرًا عن كابر، **يعني**: ورثه. (**فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ**.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُوْرَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا) **يعني قال**: ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، (**فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ**.

قَالَ: وَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِي صُوْرَتِهِ؛ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبِيْلٍ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ؛ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ).

فهذا الحديث يدل علىٰ أن من أنكر نعم الله وأضافها إلىٰ نفسه، وأنه مستحقٌّ لذلك لشرفه ومكانته، أو أضافها إلىٰ سببٍ آخر، كالذي أضافه إلىٰ أنه أخذ المال كابرًا عن كابر؛ فإن هذا منافٍ لكمال التوحيد، ولا يجوز.

وقوله هنا: (**لَا أَجْهَدُكَ**) **أي**: لا أشق عليك في ردِّ شيءٍ تأخذه من مالي في سبيل الله.

فهذا الحديث فيه أن من جحد فضل الله عليه ونِعَمه ونسبها إلىٰ غير الله فقد وقع عليه سخط الله كما وقع لذلك الأبرص والأعمىٰ.

وأما الذي يعترف بحق الله ويؤدي حق الله في ماله الذي عنده فإن الله سيرضىٰ عنه ويكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب علىٰ العبد أن يضيف النعم إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن لا يجحد فضل الله عليه، ولا ينسب ذلك إلىٰ نفسه ولا إلىٰ استحقاقه، فإن ذلك منافٍ لكمال التوحيد.

❁ ❁ ❁

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيْمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ﴾ [الأعْرَاف: ١٩٠]

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: اتَّفَقُوا عَلَىٰ تَحْرِيْمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الكَعْبَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ - حَاشَا عَبْدِ المُطَّلِبِ -.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الآيَةِ؛ قَالَ: «لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ؛ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيْسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِيْ أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الجَنَّةِ، لَتُطِيْعَانِي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ إِيَّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ فَيَشُقُّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ - يُخَوِّفُهُمَا - سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ. فَأَبَيَا أَنْ يُطِيْعَاهُ؛ فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ قَتَادَةَ؛ قَالَ: شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: أَشْفَقَا أَلَّا يَكُوْنَ إِنْسَانًا، وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنْ الحَسَنِ وَسَعِيْدٍ وَغَيْرِهِمَا.

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حتىٰ يبين صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يجوز التعبيد لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الأسماء، وذلك أن الشيطان – يعني كما جاء في تفسير هذه الآية مما ذكره من الأثر – طلب من حواء بأن يسمُّوا ابنهم بعبد الحارث، والحارث هو الشيطان.

فإذن: التسمية أو التعبيد لغير الله كعبد العُزَّىٰ أو عبد اللات أو عبد النبي أو عبد الحسين أو عبد علي وغير ذلك، أو كما ذكر ابن حزم كعبد عمرو وعبد الكعبة، كل هذا لا يجوز وهو محرم، لأنه ينافي كمال التوحيد وهو شركٌ.

ثم ذكر قول ابن حزم بأنهم اتفقوا علىٰ تحريم كل اسمٍ معبَّدٍ لغير الله، **يعني**: أجمعوا علىٰ هذا، فكل اسم معبَّدٍ لغير الله فإنه محرم.

قال: (حَاشَا عَبْدِ المُطَّلِبِ) ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس في كلامه جواز التسمية بعبد المطلب، وإنما فيه أنهم لم يجمعوا علىٰ تحريم هذا الاسم كما أجمعوا علىٰ تحريم عبد الكعبة، كما أجمعوا علىٰ تعبيد عبد الكعبة أو عبد العزىٰ.

الذي حمل من قال بجواز التسمية أو جواز عبد المطلب حملهم أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في غزوة الطائف: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»، النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا لم يذكر هذا الاسم تقريرًا له وتجويزًا له، وإنما ذكره من باب الإخبار، فإن جدي عبد المطلب، وأنا أنتسب إلىٰ جدي، وهذا اسمه وهو معروفٌ بين العرب، فليس هذا من الإقرار بمثل هذا الأمر، بل إنه لا يجوز التسمي لا بعبد المطلب كما أنه لا يجوز التسمي بعبد الكعبة أو ما شابه ذلك.

ثم إن عبد المطلب اسمه في الحقيقة شيبة، وعمه المطلب، وقد وُلِد وبقي في المدينة، فلما كبر ذهب إليه عمه فحمله معه إلىٰ مكة، ولما وصل إلىٰ مكة وقد تغير لونه بسبب السفر والشمس حتىٰ أصبح لونه أسوداً، فظن الناس أنه عبدٌ للمطلب فقالوا: هذا عبد المطلب، يعني من عبيده وممن يملكهم، فليس ذلك اسمًا له.

تتمة:

هل ما جاء في الأثر عن ابن عباس بأن المقصود بالآية هنا هو آدم وحواء؟ هذا لأهل العلم فيه قولان، وهذا الأثر المذكور فيه ضعف، لكن أهل العلم ذهبوا فيه إلىٰ قولين:

قولٌ يقول بذلك، وأن المراد به آدم وحواء، بناءً علىٰ هذه الآثار التي قد وردت معنا.

وذهب بعض أهل العلم ومنهم ابن كثير والشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهم من أهل العلم، ذهبوا إلىٰ أنه ليس المراد به هنا آدم وحواء، وإنما المراد به جنس بني آدم الذين هم من ذرية آدم، والدليل إنه لما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝﴾ [الأعراف:١٩٠] وهذا جمع، وآدم وحواء مثنىٰ، ثم قال تعالىٰ: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝﴾[الأعراف:١٩١].

فالمقصود هنا المشركون من بني آدم لا آدم ولا حواء، وإلا لو كان المقصود به آدم وحواء لأسند الأمر إليهما، وهذا مما يدل علىٰ أن المقصود به جنس بني آدم.

وهذا الذي عليه المحققون من أهل العلم، وهو ما ذهب إليه الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث **قال**: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ المشركون من ذريتهما.

ثم إنه من المعلوم أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الشرك، وآدم كما جاء في الحديث أنه نبيٌّ مكلَّم، فهم لا يقعون في مثل هذه الأمور.

وهذه الرواية التي ذُكِرت إنما هي مأخوذة عن بني إسرائيل، فوجب التنبيه علىٰ هذا.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوْهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ﴾ [الأَعْرَاف:١٨٠]

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يُشْرِكُوْنَ، وَعَنْهُ: سَمُّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيْزِ.

وَعَنِ الأَعْمَشِ: يُدْخِلُوْنَ فِيْهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا.

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لبيان وجوب إثبات أسماء الله وصفاته، وأن الإلحاد فيها ينافي توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأنه كفرٌ بالله، وأيضًا يريد أن يردَّ على من يتوسل بغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من الأموات، وإنما التوسل يكون بأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصفاته جَلَّ وَعَلَا، فإن هذا هو التوسل المشروع.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب **قال:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ﴾ فادعوا الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه الأسماء التي بلغت الغاية في الحسن، هذه الأسماء الحسنى التي بلغت الحسن غايته، فادعوا الله عَزَّ وَجَلَّ بها واثنوا عليه بها وتضرعوا إليه جَلَّ وَعَلَا بها،

فإن قوله: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، دعاء العبادة هو الثناء علىٰ الله، وهذا أعظم العبادة أن يثني العبد علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما هو أهله من الصفات والأسماء الحسنىٰ.

ودعاء مسألة، أي: أن تسأل الله بأسمائه، فتقول: يا غفور اغفر لي، يا رزاق ارزقني، وما شابه ذلك من الأمور.

وهنا أمرٌ مهم: وهو معرفة قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾، (ذَرُوا) هذا تهديد من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لهؤلاء الملحدين في أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو يتوعدهم جَلَّ وَعَلَا بأنه سيجازيهم في الآخرة ويعذبهم بما عملوا.

والإلحاد في أسماء الله ونفيها هو ينافي توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والإيمان به.

۞ ما هو الإلحاد؟

الإلحاد: هو الميل والانحراف والعدول عن القصد، ومنه سُمِّي اللحد في القبر؛ لانحرافه إلىٰ جهة القبلة.

ومعنىٰ الإلحاد في أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هو العدول بها عن حقائقها ومعناها الحقَّة التي ثبتت في كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وقد ذكر ابن القيم وغيره من أهل العلم أنواعًا من هذا الإلحاد، فمن ذلك ما فعله هل الجاهلية كما ذكر الشيخ عن ابن عباس أن سمَّوا اللات من الإله، والعُزَّىٰ من العزيز، فهذا إلحادٌ بأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. ومناة من المنَّان.

وأيضًا من الإلحاد: تسمية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما لا يليق به، كما فعل النصارىٰ بأن قالوا عنه أبًا، وهذا ما ذكره المصنف عن الأعمش **قال:** (**يُدْخِلُوْنَ فِيْهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا**) **أي:** يدخلون في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ما ليس من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا من الإلحاد: وصْف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالنقائص كما فعلت اليهود، بأن قالوا عنه إنه فقير، أو بأنه ارتاح يوم السبت، وكذلك ما قالوه بأن يد الله مغلولة، غُلِّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا.

وأيضًا من الإلحاد: تعطيل أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الحسنىٰ عن معانيها وجحد تلك الحقائق، وهذا ما عليه الجهمية من أنها ألفاظ مجرَّدة لا تدل علىٰ صفات ولا معانٍ، بل هي أسماء جامدة، فهو سميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بلا بصر، تعالىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن قولهم علوًا كبيرًا!

أو الذين ينكرون صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلها أو بعضها، ولا يؤمنون بها ولا يثبتونها، وهذا يدخل فيه المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكلابية، فكل هؤلاء قد ألحدوا في صفات الله وألحدوا في أسمائه.

وأيضًا من الإلحاد: تشبيه صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بصفات خلقه، كقول غلاة المشبِّهة الذين يقولون: له وجهٌ كوجهي، أو يدٌ كيَدِي، وهذا ما كان عليه غلاة الروافض في أول عقائدهم، ثم بعد ذلك انقلبوا فأصبحوا معتزلة ينكرون كل الصفات فلا يؤمنون بها.

وهذا أمرٌ كله من الإلحاد في أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والحمد لله الذي هدىٰ أهل السنة إلىٰ أن خالفوا هؤلاء الملاحدة الذين ألحدوا في أسماء الله وصفاته، فآمنوا بأسماء الله وصفاته علىٰ الوجه اللائق به جَلَّجَلَالُهُ، وأثبتوا ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، إثباتًا بلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل علىٰ ما جاء في قوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

* * *

بَابُ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللّهِ

فِي الصَّحِيْحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُوْلُوا السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**».

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ حتىٰ يبين لنا أن اسم السلام هو من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأنه يدل علىٰ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منزَّهٌ عن النقائص جَلَّ جَلَالُهُ، فهو لا يحتاج إلىٰ أن يدعو له عبادُه بالسلامة، لأنه غنيٌّ عنهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو السلام جَلَّ وَعَلَا المسلِّم لعباده من كل شر، فالسلام دعاءٌ بالسلامة من العيوب والنقائص، وهذا ينافي كمال التوحيد، والله جَلَّ وَعَلَا منزَّهٌ عن كل عيب وكل نقصٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِي الصَّحِيْحِ**) **يعني**: في البخاري ومسلم (**عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي الصَّلَاةِ**) **أي**: في التشهد، (**قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَىٰ فُلَانٍ**) والمقصود بفلان هنا هم الملائكة، كما جاء في بعض الروايات: السلام علىٰ جبرائيل وميكائيل، فقال

لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلِّمًا لهم: «**لَا تَقُوْلُوا السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**»، فهو المسلِّم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده من الآفات والبليَّات، وهو المنزَّه جَلَّ وَعَلَا عن كل عيبٍ ونقصٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُم: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ؛ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب الذي هو: (**بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ**)، **يعني**: أنه لا يجوز تعليق الدعاء بالمشيئة، نحو: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، أو: اللهم أدخلني الجنة إن شئت، اللهم ارزقني الجنة إن شئت، وهكذا كل دعاءٍ وسؤالٍ تسأل الله عَزَّ وَجَلَّ منهيٌّ عنه إذا علَّقته بالمشيئة؟ لماذا؟ لأنه ينافي كمال التوحيد.

ووجه كونه منافٍ لكمال التوحيد لعدة أمور:

- **الأمر الأول**: أنه مشعرٌ بأن صاحب هذا الدعاء مستغنٍ عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إذ إنه يقول: يا رب، إن شئت أن تغفر لي وإن شئت أن لا تغفر لي، **يعني**: ليس الأمر عندي بذاك الضروري، هذا لسان الحال يقول هذا، أي: ليس الأمر مهمًا عنده.

❁ **والأمر الثاني:** أيضًا يشعر بأن الله له مُكْره على هذا الشيء، وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه.

وأيضًا قوله: (إن شئت) كأنه يرى أن هذا أمرٌ عظيم على الله، فقد لا يشاؤه لكونه عظيمًا عليه، تعالى الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك علوًا كبيرًا! لذلك هذا فيه سوء أدبٍ عظيم مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لذلك يجب على الداعي حينما يدعو ربه أن يجزم وليعزم في مسألته وليقل: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم اعف عني، ويظهر فقره وحاجته إلى الله، وربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥].

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يغضب على عبده حين يترك سؤاله، وذلك أنه مشعرٌ غناه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا يوجد أحدٌ غني عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل الكل محتاجٌ إلى الله ضرورة واضطرارًا في هذه الحياة وأيضًا بعد الممات.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يقُلْ**»، وهذا نهيٌ من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا القول.

قال: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُم: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ» لأنه يدل أيضًا على فتور الرغبة وقلة اهتمام الطالب والداعي، فهو كأنه يقول: إن حصل هذا المطلوب الحمد لله، وإن لم يحصل فأنا مستغنٍ عنه، **قال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ»**.

ثم قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **موجهًا ومعلمًا ومربيًا: «لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ»** ومعنىٰ ليعزم المسألة: أي ليحقق الرغبة وليجزم في مسألته، وليظهر حاجته وفقره إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإن العبد إذا صدق أقبل بقلبه، وصدق في حاجته، وعظم رجاؤه بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإن الله يستجيب دعاءه، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر: **«إن الله يستحي من عبده أن يرفع يديه أن يردهما صفرًا»**.

ثم قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **«فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»**، فإن الله لا يضطره شيءٌ، بل يفعل ما يريده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو غير كارهٍ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك لعظم غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن عبده وعظيم قدرته جَلَّ جَلَالُهُ، فإنه لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

ثم قال في الرواية الأخرىٰ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ» أي: لِيُلِح ويظهر رغبته وحاجته، فإن العظائم مهما عظمت عندك يا عبد الله فإنها لا تعظم علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والله جَلَّ وَعَلَا كريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكرم عبده إذا أقبل إليه والتجأ إليه، فالله عَزَّ وَجَلَّ يرحم عبده إذا رفع يديه، فالدعاء عبودية وذُلٌّ وانكسارٌ بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا تكون هذه العبودية ظاهرة إلا بالطلب الجازم الذي لا تردد فيه والرغبة المُلِحَّة التي تظهر الفقر والحاجة.

❖ ❖ ❖

بَابُ لا يَقُوْلُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ؛ وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي؛ وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

۞ ۞ ۞

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب عقده المصنف ليبين لنا فيه أن إطلاق هاتين الكلمتين (عبدي وأمتي) علىٰ غير الله عَزَّ وَجَلَّ ينافي كمال التوحيد، وذلك أن فيه تشريكًا في اللفظ بين الخالق والمخلوق، فإنه حينما يقول (عبدي) يشعر أنه هو ربُّه ومالكه، أنه ربه وأنه إلهه، إلهٌ لذلك الفتىٰ أو لتلك الجارية، ولذلك جاء النهي عن ذلك، والشريعة جاءت بسد باب الذرائع وحماية جناب التوحيد حتىٰ في مثل هذه الألفاظ، لئلا يتطرق أو يظن ظانٌّ أن فيه تساوي، أو ربما يسمعه الشخص فيظن أن هناك تشريكٌ بين الخالق والمخلوق، فلذلك جاءت الشريعة سدًا لوسائل الشرك.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو رب العباد جميعهم، فإذا أُطلق علىٰ غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه فيه مشاركة في الاسم، وهذا منهيٌّ عنه، فتعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واجبٌ علىٰ كل أحد، ومن تعظيم الله أن يجتنب العبد هذه الألفاظ، وليستعمل الألفاظ التي أخبر بها

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليقل: سيدي ومولاي، لأن المراد بالسيادة هنا بمعنىٰ الرئاسة، بمعنىٰ رئاستهم، ومولاه هو من يتولىٰ أمره.

فهذه الألفاظ مما جاءت الشريعة بالنهي عنها تأكيدًا لحق الله عَزَّوَجَلَّ، وتعظيمًا لجناب التوحيد، وكذلك لما فيها من الأدب مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ **قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ سَأَلَ بِاللهِ؛ فَأَعْطُوْهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ؛ فَأَعِيْذُوْهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيْبُوْهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوْفًا فَكَافِئُوْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوْهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.**

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف – رحمنا الله وإياه – من باب إعظام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتعظيمه وتوقيره جَلَّ وَعَلَا، ومن ذلك أن من سأل بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شيئًا فإن من تعظيم العبد لربه ومن كمال توحيده أن يجيب ذلك الداعي أو ذلك السائل الذي سأله بذلك، فمن لم يجبه فإن عمله يكون منافيًا لكمال التوحيد، وأيضًا فيه سوء أدبٍ وعدم تعظيمٍ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر المصنف حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قال: «وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ؛ فَأَعِيْذُوْهُ»**، ومعنىٰ استعاذ بالله قد مر معنا، **يعني**: استجار واعتصم.

قال: «**وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ؛ فَأَعِيْذُوْهُ**» **ومعناه**: أجيروه وأعيذوه، فإذا **قال**: أعوذ بالله من شرك، إذا كان يخاف منك، أو نحو هذا الكلام؛ فإنه يجيبه إلىٰ ذلك، وقد وقع هذا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه تزوج امرأة، فلما دخل عليها قالت: أعوذ بالله منك، **فقال**: «**قد عذتِ بعظيم**» فخرج من عندها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلَّقها عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال: «**مَنْ سَأَلَ بِاللهِ؛ فَأَعْطُوْهُ**» هذا هو وجه الشاهد، **أي**: سألكم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فأعطوه ما سأل، ما لم يكن ذلك أو تلك الحاجة حرامًا، فإنه يعطىٰ منها، وهذا من باب تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: «**وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيْبُوْهُ**» **أي**: إذا دعاكم إلىٰ طعام فأجيبوا دعوته.

وفرَّق أهل العلم بين وليمة العرس وغيرها، فأما وليمة العرس فقالوا: إنه واجبٌ علىٰ العبد أن يجيب دعوة وليمة العرس، وأما ما عداها فإنه علىٰ وجه الاستحباب. والسبب في هذا: أن من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين، حينما يدعوك أخوك فتجيب دعوته، وتطيب نفسه وتطيب خاطره.

قال: «**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوْفًا**» **يعني**: إن أحسن إليكم، إما أعطاكم شيئًا، وإما أنجز لكم معاملة، فالمعروف يشمل كل خير وكل إحسان يقدمه العبد لإخوانه المسلمين.

ثم أرشدنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من صنع إلينا معروفًا علينا أن نكافئه علىٰ عمله ذلك، وذلك حتىٰ نكافئ من أحسن إلينا بالإحسان، وأيضًا حتىٰ يتخلص الإنسان من ذلك المعروف، لأنهم يقولون: من أحسن إليك فإنه يقع علىٰ المحسَن

إليه شيءٌ من التعلق، شيءٌ من العبودية، ويرىٰ أن لهذا الإنسان عليه معروفًا، لكن إذا كافأه وأعطاه فإن في ذلك أولًا ردَّ الإحسان بالإحسان، وأيضًا فيه تخليصٌ لنفسه من ذلك الإحسان الذي تعلَّق بعنقه.

قال: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ**» **يعني:** لم تقدروا علىٰ مكافأته، فماذا نفعل؟ فأرشدنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «**فَادْعُوا لَهُ**» **يعني:** أكثروا له من الدعاء بينكم وبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قال: «**حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**» **يعني:** حتىٰ تظنوا أو يغلب علىٰ ظنكم أو تعلموا أنكم قد كافأتموه علىٰ ذلك.

فإذن: من سألكم بالله فأعطوه، إذن كما قلنا لكم أن هذا يُعطىٰ من باب تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لأنه سألنا به، فتعظيمًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإجلالًا له أن نعطيه ما سأل ما لم يكن ذلك المسؤول حرامًا.

❖ ❖ ❖

بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ **قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ**». **رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.**

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

مناسبة هذا الباب: أن من باب تعظيم الله جَلَّ جَلَالُهُ وتعظيم صفاته أننا لا نسأل بوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى شيئًا من أمور الدنيا، من الأمور التي هي من المحقرات أو من العَرَض الزائل، فإن من تعظيم الله جَلَّ وَعَلَا أن لا نسأله بوجهه إلا الجنة، وهذا من تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهو من كمال التوحيد.

ثم أورد حديث جابر الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ»، هذا الحديث فيه خلاف بين أهل العلم من حيث الصحة وثبوت الإسناد، لكن على كل حال عموم الأدلة التي تدل على تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تدل على ذلك.

فهذا الحديث يبين لنا فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يجب علينا أن نحترم أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصفاته، وأن لا نسأل بوجهه العظيم جَلَّ جَلَالُهُ الذي هو صفته سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨]، فصفة الوجه لله ثابتة قطعًا ويقينًا لا شك في ذلك ولا ريب، دل عليها القرآن وأيضًا دلت عليها السنة،

فإنه لا يُسأل بوجه الله العظيم إلا الجنة التي هي المطلب الأعظم والمقصد الذي يسعىٰ إليه المؤمنون، التي هي النعيم المقيم، والتي فيها رضا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وفيها أعظم نعيم وهو النظر إلىٰ وجهه الكريم جَلَّ جَلَالُهُ.

فعلىٰ المرء أن يحذر من هذا الأمر، وللأسف هذا منتشرٌ بين كثير من العامة أنهم يسألون بوجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمورًا في الدنيا، وربما حتىٰ في دعوة الناس إلىٰ العشاء أو إلىٰ الغداء يقول: أسألك بوجه الله إنك ما تردني أو ما شابه ذلك، وهذا كله لا شك أنه من المنافي لكمال التوحيد، وأيضًا فيه سوء أدبٍ مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

❁ ❁ ❁

بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ (لَو)

وَقَـوْلِ اللهِ تَعَـالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عِمْرَان:١٥٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عِمْرَان:١٦٨].

وَفِـي الصَّـحِيْحِ عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُـوْلَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا؛ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ - لَوْ - تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب فيه بيان أن (لو) هنا منهيٌّ عنها، لأن فيها اعتراضًا علىٰ قَدَر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والمراد بِقَدَر الله أو أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هي البلايا والمصائب إذا جرت علىٰ العبد، فإذا قالها العبد متحسرًا معترضًا فإن هذا منافٍ لكمال التوحيد، إذ إنه من كما التوحيد: الصبر علىٰ أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

۞ ثم إن أهل العلم نظروا في النصوص الواردة في الكتاب والسنة فوجدوا أن (لو) تنقسم إلىٰ قسمين:

۞ قسمٌ منها ممنوع ومذموم.

۞ وقسمٌ منها محمود.

أما القسم المذموم: فهو الذي عقد المصنف الباب من أجله، وهو أن يقع الاعتراض فيها علىٰ أمرٍ قد مضىٰ، والذي يحمله علىٰ ذلك هو عدم الصبر والتضجر والتسخط علىٰ أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وعدم الرضا بقضاء الله وقدره، وعدم الصبر علىٰ ذلك، وأيضًا التحسر والأسف علىٰ ما فات مما لا يمكن استدراكه.

ومثال ذلك ما ذكره المصنف - رحمنا الله وإياه - حينما **قال: وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ:** ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عِمْرَان:١٥٤] ، فهذه الآية نزلت في المنافقين حينما وقعت غزوة أحد وقُتِل من قُتِل في هذه الغزوة فأصابهم الجزع والخوف، فاعترضوا علىٰ قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقَدَره، ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ **يعني**: في هذا الأمر وفي هذه الغزوة أو في هذا الذي أصابكم، ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ ولكن أمر الله عَزَّوَجَلَّ نافذ. فهذا ذمٌّ من الله عَزَّوَجَلَّ لهم.

وأيضًا من الأمثلة ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في قوله تعالىٰ أيضًا:** ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عِمْرَان:١٦٨] ، هاتان الآيتان مثالٌ علىٰ (لو) التي أراد المصنف التحذير منها والنهي عنها، وهي (لو) المذمومة الغير محمودة؛ لأن

المنافقين حينما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ غزوة أحد وخالف رأي عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين، فلما خرج ورجع عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش ناكصًا علىٰ عقبيه، كيف أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطيع الشباب ولا يأخذ رأينا ولا مشورتنا؟ فوقع ما قدَّر الله عَزَّ وَجَلَّ من القتل علىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من المهاجرين والأنصار.

فهم يقولون هذا الكلام، يقولون: لو أنهم سمعوا مشورتنا وسمعوا رأينا بالقعود أننا لا نخرج إليهم وإنما نمكث في المدينة ونقاتلهم ونحن في المدينة، فهذا كله تضجُّرٌ منهم.

و(لو) هنا هي اعتراضٌ علىٰ الشرع، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي أمرهم بالخروج، والاعتراض عليه هو اعتراضٌ علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالشيخ ضرب مَثَلين لـ(لو)، مَثَلٌ لـ(لو) التي فيها الاعتراض علىٰ القضاء والقدر بعد ما وقع، والثاني (لو) التي فيها اعتراضٌ علىٰ الشرع.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يرشد فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أن المرء عليه أن يحرص علىٰ ما ينفعه في دينه ودنياه، وعليه أن يستعين بالله علىٰ ذلك، إذ أنه لا غنىٰ له عن إعانة الله عَزَّ وَجَلَّ له، وأن يحذر من العجز، فإن أكثر ما يوهن العبد هو العجز، أعاذني الله وإياكم من العجز! ولذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله من العجز والكسل، لأنه يفوِّت علىٰ الإنسان مصالحه الدنيوية ومصالحه الدينية المرتبطة بآخرته.

فإذن: عليه بالعمل والجد والاجتهاد وبذل السبب وترك الكسل.

ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ» **يعني**: إن قدَّر الله عَزَّ وَجَلَّ عليك شيءٌ أنت تكرهه من المقادير المؤلمة «فَلَا تَقُلْ» وهذا نهيٌ منه، «لَوْ أَنِّي»، وهذه (لو) المنهي عنها، «فَعَلْتُ كَذَا؛ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا» فإن هذا لا ينفع، لأنه أمرٌ قد مضىٰ، والأمر الآخر: لأن فيه اعتراضًا علىٰ قضاء الله عَزَّ وَجَلَّ وقدره.

ثم أرشدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أن نقول كلمة هي خيرٌ لنا وأنفع لنا، **قال**: «وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي قدَّر وهو الذي شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتقدير الله للمؤمن كله له خير، ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وهذا ليس إلا للمؤمن»**.

ثم بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه (لو) التي للتحسر علىٰ القضاء والقدر **قال**: **«فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»** **أي**: لما فيها من التأسي والتحسر علىٰ ما فات، ولما فيها من معارضة قدر الله عَزَّ وَجَلَّ.

❁ ❁ ❁

بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيْحِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيْحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُوْنَ؛ فَقُوْلُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيْحِ وَخَيْرِ مَا فِيْهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيْحِ وَشَرِّ مَا فِيْهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

الريح هي من تدبير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهو الذي يرسلها ويدبرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فسبُّها هو اعتراضٌ على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهذا قادحٌ في التوحيد، وهو مثل ما تقدم معنا في النهي عن سب الدهر، ولذلك أورد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أُبي بن كعب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَا تَسُبُّوا الرِّيْحَ»**، لماذا؟ لأنها إنما تهُبُّ عن إيجاد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لها وخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لها، فهي تسير بأمر الله، فالذي يسيِّرها هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثم أرشدنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما نرى ما نكره من هذه الريح الشديدة التي تثير الأتربة وغير ذلك من شدتها، أو من برودتها، بأن نرجع إلى ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى،

بالتوحيد وسؤاله جَلَّ وَعَلَا، إذ إن هذه الريح مدبَّرة بأمره، فلا يكشفها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأرشدنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ما فيه من الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، ولما فيه من حسن السؤال له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن نسأله الصالح والخير الذي في هذه الريح، «**فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»، وأيضًا أن نستعيذ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أُمِرت به.

فهذا هو الواجب علىٰ العبد أن يفعله حينما يرىٰ الريح، فإن هذا الدعاء فيه العبودية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وطاعته وحسن الأدب معه جَلَّ وَعَلَا، وأيضًا فيه أن الإنسان يدفع الشرور ويجتنبها باستعاذته بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

* * *

بَابُ قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿يَظُنُّوْنَ بِاللّهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُوْلُوْنَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤]

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح:٦].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي الآيَةِ الأُوْلَىٰ: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُوْلَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ.

فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ وَإِنْكَارِ القَدَرِ وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُوْلِهِ ﷺ وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّيْنِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِيْ ظَنَّهُ المُنَافِقُوْنَ وَالمُشْرِكُوْنَ فِي سُوْرَةِ الفَتْحِ.

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَمَا يَلِيْقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيْلُ البَاطِلَ عَلَىٰ الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنَّ يَكُوْنَ مَا جَرَىٰ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُوْنَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الحَمْدَ - بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ -؛ فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّوْنَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيْمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيْمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَمُوْجَبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيْبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَىٰ اللهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَّ لَرَأَيْتُ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَىٰ القَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟ فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيْمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا».

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ حتىٰ يبين لنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الظن بالله الظن السَّوء قادحٌ للتوحيد، وقد فسَّره ابن القيم بعدة تفسيرات: إما إنكار حكمته جَلَّ وَعَلَا، وإما إنكار قَدَره، وإما إنكار أن يتم الله أمر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يظهر دينه علىٰ كل الأديان، فهذا كله من الظن السيء بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن حسن الظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من موجبات التوحيد ومن تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالعبد لا يتم له الإيمان ولا التوحيد حتىٰ يؤمن بجميع ما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ به من أسمائه وصفاته وكماله، وأيضًا أن يصدق بكل ما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ به، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفعل ما يشاء جَلَّ وَعَلَا، وأن وعْدَه صادقٌ من نصرة دينه ومن إظهار الحق وإزهاق الباطل، فهذا كله من الإيمان الذي يجب علىٰ العبد أن يعتقده وأن يجزم به، وأن يحذر أشد الحذر من الظن الذي ينافي هذه الأمور.

وهذه الظنون كلها من ظنون الجاهلية التي تنافي توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وسوء الظن هو منافٍ لتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأيضًا فيه أمر آخر: وهو تكذيبٌ لخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حينما واعد رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووعد أولياءه بأنه ينصرهم ويؤيدهم.

ولذلك المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **جعل هذا الباب بهذه الآية العظيمة:** ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وهم المنافقون، فهم الذين يظنون ظن السوء بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك أردفها **بقوله** جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾.

فعلىٰ المرء أن يحذر أشد الحذر من ظن السوء بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بأن الله لن ينصر هذا الدين، ولن يظهره علىٰ الدين كله، أو أن الله يفعل أفعالًا لا حكمة فيها، أو أن هذه الأمور وقعت والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يقدِّرها، فهذه من الأمور التي يجب علىٰ المرء أن يحذر منها وأن يتجنبها لئلا يقع الخلل في توحيده.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو كلامٌ طويل لكنه مفيدٌ ونافع، والذي أحب أن أؤكد عليه وهو ما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ بأن المرء إذا أراد أن يتخلص من هذا أو أنه يسلم من هذا الظن السيء فعليه أن يتعرف علىٰ ربه جَلَّ وَعَلَا، ولذلك قال ابن القيم: (**وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ**)، فالتعرف علىٰ أسماء الله وصفاته هي من الأمور التي تنجي العبد من الوقوع في ظن السوء بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا أن يعرف موجب حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذ إن الله حكيمٌ حكَمٌ جَلَّ وَعَلَا،

أفعاله وأقداره تقع وِفْق حكمته ومشيئته، فلا يقع إلا ما فيه خير ونفعٌ وِفْق الحكمة الربانية جَلَّوَعَلَا، فيُحمد عليها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وعليه أن يكثر من التوبة والاستغفار والرجوع إلىٰ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، لأن المرء لو فتَّش - كما قال ابن القيم - في نفسه لوجد أنه ربما يصيبه شيءٌ من ذلك، إلا أن يسِّلمه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ منه.

❁ ❁ ❁

بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ؛ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ؛ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ؛ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ. سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيْرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُوْمَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ القَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ؛ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ».

وَفِي المُسْنَدِ والسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ؛ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ؛ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. **حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي صَحِيْحِهِ.**

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف – رحمنا الله وإياه – **قال: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ) أي**: ما جاء فيهم من الوعيد الشديد في أولئك القوم الذين أنكروا القدر ولم يؤمنوا به، وذلك أن إنكار القَدَر منافٍ للإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومنافٍ أيضًا للتوحيد، لأن القَدَر ركنٌ من أركان الإيمان، وجميع أركان الإيمان تابعةٌ للركن الأول وهو الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذ من آمن بالله عَزَّ وَجَلَّ، ربًا خالقًا متصرفًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مدبرًا لهذا الكون، وأنه إلهٌ معبودٌ بحقٍّ سبحانه، وأن له الأسماء الحسنىٰ جَلَّ وَعَلَا، يفعل ما يشاء بحكمته البالغة جَلَّ وَعَلَا؛ وجب عليه أن يؤمن بالقضاء والقدر، إذ إن القضاء والقدر هو من أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولذلك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩].

فالقَدَر هو ما قدَّره الله عَزَّوَجَلَّ وشاءه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من هذه الأمور التي تقع في هذه الدنيا وفي هذا الكون الفسيح، ولذلك المؤمن يجب عليه أن يعتقد أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون في هذا الوجود شيءٌ إلا بمشيئة الله وقدره سبحانه، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حينما جاءه أناسٌ يسألونه عما سمعوه من أناسٍ يتكلمون في القَدَر ويقولون: أن لا قدر، يعني: ينكرون القدر وأن الأمر أُنُف، فقال لهم ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **(وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ) يعني**: يقسم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **(لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ؛ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ)**، لأن الذي لا يؤمن بالقدر هو كافر، الذي يكفر بأيِّ ركنٍ من أركان الإيمان يكون كافرًا بالأركان كلها، فهؤلاء لم يؤمنوا بالقدر، وهذا هو وجه الشاهد **قال: (حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ)**، ثم استدل عليهم بالحديث حينما سأل جبريل وهو حديث جبريل المشهور المعروف الذي قال فيه: وما الإيمان؟ **قال: «الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**.

فهذا الحديث يدل علىٰ أن الإيمان بالقَدَر أصلٌ من أصول الإيمان، وأن الذي يترك أصلًا من أصول الإيمان ولا يؤمن به أنه يكون كافرًا قد أحبط الله عمله، ومهما فعل من الأعمال الصالحة فهي مردودة عليه غير مقبولة.

ثم ذكر **أيضًا** حديث عبادة بن الصامت، وفيه أنه يوصي ابنه **فقال له**: (**لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ**) **يعني**: حلاوته ولذَّته، (**حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ؛ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ**)، وهذا هو الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم له.

ثم قال له: (**سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُوْلُ**: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيْرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُوْمَ السَّاعَةُ**»، ثم بيَّن له أن الذي لا يؤمن بذلك فإنه ليس من النبي، **أي**: ليس علىٰ دين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس من أتباعه.

وذكر **أيضًا** الرواية الأخرىٰ عند الإمام أحمد: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ القَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**».

فالقلَم أول ما خلقه الله أمره بأن يكتب تلك المقادير التي قدَّرها الله عَزَّ وَجَلَّ، وكما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن الله قدَّر مقادير الخلق قبل خلقهم بخمسين ألف سنة، فهذا القَدَر قد مضىٰ وقدَّره الله عَزَّ وَجَلَّ والعبيد يعملون بما قدَّره الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم.

ثم ذكر أيضًا ما جاء في المسند والسنن عن ابن الديلمي أنه وقع في نفسه شيءٌ، يعني في القدر، إشكالٌ، تردد، فأراد أن يذهب هذا الذي وقع في قلبه، فذهب إلىٰ أُبي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو من علماء الصحابة. وهكذا علىٰ كل مسلم أنه إذا وقع في قلبه شيءٌ من هذه الشُّبَه فعليه أن يذهب إلىٰ أهل العلم، أهل البصيرة بكتاب الله وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعقيدة السلف الصالح، يسألهم حتىٰ يذهب ما يجد في قلبه،

أما أن يذهب إلىٰ الجُهَّال فإنه لن يجد ما يشفي غليله ويذهِب ما في قلبه، ولذلك جاء في حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، وأنه ذهب إلىٰ عابد وهو عابدٌ محسنٌ إلىٰ نفسه لكنه غير عالم، ليس عنده علم، **فقال له**: ليس لك توبة، فأكمل به المائة، لكن لما ذهب إلىٰ العالم **فقال**: من يحول بينك وبين التوبة.

فالعلماء هم النور الذي يبصر به الناس الطريق إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهم الكواكب والنجوم التي تضيء الأرض بما يدلوا الناس علىٰ الطريق إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فالشاهد أن أُبي بن كعب حدثه بأنه لابد أن تؤمن بالقدر، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ثم حذره وقال له: (**وَلَوْ مِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**)، وهذا فيه الوعيد الشديد، وهو مثل قول ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الله لن يقبل منهم حتىٰ يؤمنوا بالقدر.

فإذن: إنكار القدر وجحوده كفرٌ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذهب إلىٰ عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت كلهم حدثوه بمثل هذا.

۞ والإيمان بالقَدَر قد ذكر أهل العلم أن له أربع مراتب:

المرتبة الأولىٰ: العلم، وهو أن الله علم ما كان وما سيكون قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

المرتبة الثانية: الكتابة، وهو أن الله كتب ذلك العلم في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: المشيئة، وهو أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما يقع من الخلق هو بمشيئة الله.

المرتبة الرابعة: الخلق، وهو أن ما هو واقع من الأفعال التي للعباد هي مِن خلق الله.

فهذه هي المراتب الأربع التي تتعلق بالإيمان بالقدر.

بَابُ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِيْنَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِيْنَ يُضَاهِئُوْنَ بِخَلْقِ اللهِ».

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُوْرَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوْعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُوْرَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيْهَا الرُّوْحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ؛ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَلَّا تَدَعَ صُوْرَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا؛ إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

(بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِيْنَ) أي: من عظيم العقوبة وشديد العذاب بسبب وقوعهم في هذا الذنب العظيم، والمقصود بالمصورين هم الذين يصوِّرون ذوات الأرواح، لأن التصوير إما أن يكون تصويرًا للجمادات وإما أن يكون تصويرًا لذوات الأرواح، والمقصود به التصوير لذوات الأرواح.

❁ **والتصوير علىٰ قسمين:**

❁ التصوير الذي هو كصناعة الأصنام التي لها ظل، المجسَّمات، وهذا مجمَعٌ علىٰ تحريمه.

❁ أو تصوير ذوات الأرواح التي ليس لها ظل، علىٰ الورق أو علىٰ الخِرَق أو مما شابه ذلك مما ليس له ظِل، وهذا أيضًا هو محرم علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم.

وذِكْر المصنف لهذا الباب هنا معنا لأنه منافٍ لكمال التوحيد، لماذا هو منافٍ لكمال التوحيد؟ لما فيه من مشابهة لخلق الله تعالىٰ، ومشابهة خلق الله عَزَّوَجَلَّ أو مضاهاة خلق الله بالتصوير أمرٌ محرم لا يجوز، ولذلك المصوِّر إذا قصد بتصويره مضاهاة خلق الله أو عمل تلك الصور حتىٰ تُعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهذا كفرٌ مخرج من ملة الإسلام.

وأما إذا لم يقصد أنها تُعبد من دون الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فإن هذا يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ويكون صاحب ذلك الفعل قد وقع في الفسق ووقع في الذنب العظيم الذي جاء فيه الوعيد الشديد.

ثم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي فيه: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً**»، فهؤلاء لا أظلم منهم، **أي**: لا أحد أشد منهم ظلمًا، لأنهم قد ضاهوا خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والمراد هنا «**مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**» **أي**: يصوِّر تلك الصور إما بالأصنام وإما برسمها علىٰ الورق أو علىٰ الخِرَق.

ثم إنه قال: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**» وهذا تنكيلٌ بهم ومن باب تحسيرهم، إذ إنهم لا يستطيعون أن يخلقوا ذرة التي هي صغار النمل.

قال: «**أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً**» والمراد بالحبة هنا: حبة القمح.

«**أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً**» **أي**: حبَّةُ شعير. فهذا تعجيزٌ لهم بأنهم يُكلَّفون بخلق شيءٍ لن يستطيعوه، وهذا حتىٰ يعذِّبهم بسبب فعلهم ذلك.

فهذا الحديث يدل علىٰ تحريم التصوير، وأنه من كبائر الذنوب، وانظروا إلىٰ العذاب الذي سيصيبهم يوم القيامة.

ثم ذكر حديث ابن عباس **قال**: (**سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُوْلُ**: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ**» وفي الحديث الآخر: «**مَنْ صَوَّرَ**»، فـ(كل)، و (مَن)، من ألفاظ العموم، فهي تشمل كل مصوِّرٍ وكل صورة، والمراد بها كل ما فيه روح.

فهذا من الوعيد الشديد الذي ينبغي للإنسان أن يحذر منه، وأن يتجنب التصوير، وأن يحذر منه أشد الحذر، إلا في الأمور التي لابد منها، كما هو الحال في الجوازات وما يتعلق في البطاقات المدنية أو بطاقة الأحوال، أو غير ذلك مما اضطُر إليه الناس في هذا الزمان، فهذا أمرٌ الضرورة قد أباحته.

ثم ذكر حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِيْنَ يُضَاهِئُوْنَ بِخَلْقِ اللهِ»**، والمقصود بهم: يشابهون بتصويرهم خلق الله.

هل المضاهاة هنا لابد أن تكون مقصودة؟ يعني: أن يقصدها الإنسان؟ لا، ليس شرطًا، فإنه بمجرد تصويره قد ضاهىٰ خلق الله وإن لم يقصد ذلك، كالذي يقلِّد الكفار في أمورٍ هي مختصة بهم ثم يقول: أنا لا أقصد ذلك، فنقول له: قصْدُك ليس شرطًا في مشابهتهم، فإنه إذا وقعت المشابهة فإنه يكون قد وقع في الممنوع، فيجب عليه أن يتوب إلىٰ الله وأن يترك ذلك.

ثم ذكر حديث أبي الهيَّاج الأسدي أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له: **(أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟) يعني**: أرسلك وأمرك. **قال: «أَلَّا تَدَعَ صُوْرَةً» يعني**: لا تترك، **«صُوْرَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»** بمعنىٰ محوتها، كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما دخل مكة فاتحًا ودخل الكعبة ثم دخل داخل الكعبة فوجد أن الكفار قد صوروا إبراهيم، فغضب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا عليهم وأمر بمسح هذه الصورة وطمسها، فأُحضر الماء وغيره حتىٰ مُسِحت تلك الصور.

قال: «**وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا**» **يعني**: مرتفعًا عاليًا، إذ إن السنة في القبور أن تكون شبراً كما جاء في السنة.

قال: «**إِلَّا سَوَّيْتَهُ**» **يعني**: هدمته وألحقته بالأرض وجعلته موافقًا للصفة النبوية التي جاءت.

والأمر بطمس الصور في هذا الحديث لما فيها من مضاهاة خلق الله عَزَّوَجَلَّ، وأمْرُه بتسوية القبور وذلك لما في تعليتها من الفتنة بأرباب تلك القبور، ولذلك تجدون أن القبور التي تُعبد من دون الله كلها مرتفعة ومبنية عليها القباب والجُدران، وهذا كله بسبب هذه الفتنة في هذه القبور، وأيضًا الفتنة في الصور.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المَائِدَة:٨٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ».

وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يُزَكِّيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِيْنِهِ، وَلا يَبِيْعُ إِلَّا بِيَمِيْنِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.

وَفِي الصَّحِيْحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُوْنَ وَلا يُسْتَشْهَدُوْنَ، وَيَخُوْنُوْنَ وَلا يُؤْتَمَنُوْنَ، وَيَنْذِرُوْنَ وَلا يُوْفُوْنَ، وَيَظْهَرُ فِيْهِمُ السِّمَنُ».

وَفِيْهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ يَجِيْءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِيْنَهُ، وَيَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ».

قَالَ إِبْرَاهِيْمُ كَانُوا يَضْرِبُوْنَنَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

(**بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ**) **يعني**: ما جاء فيه من الوعيد ومن الذم ومن النهي أيضًا عن ذلك، وذلك أن كثرة الحلف ينافي كمال التوحيد، إذ إن اليمين إنما شُرِعت من أجل التأكيد علىٰ أمرٍ محلوفٍ عليه، وتعظيمًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولهذا يجب علىٰ الحالف أن لا يحلف إلا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن تمام تعظيم هذه اليمين: أن لا يحلف بالله إلا صادقًا، وأيضًا أن يجتنب كثرة الحلف، وكثرة الحلف تنافي تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ الذي هو روح التوحيد.

إذن: كثرة الحلف تدل علىٰ عدم التعظيم لله تبارك تعالىٰ، وعدم تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ ينافي كمال التوحيد، ومن أجل هذا ذكره المصنف هنا.

ثم استدل بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ قيل فيها: لا تتركوها بغير تكفير. هذا القول الأول.

وقيل: احفظوا أيمانكم عن الحِنْث، فلا تحنثوا فيها.

والقول الثالث: لا تكثروا من الحلف.

ومراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القول الثالث الذي هو في تفسير الآية، ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ **أي**: لا تكثروا من الحلف، وإن كان جميع ما تقدم صحيح، لأنه كله راجعٌ إلىٰ تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إلا إذا حلف الإنسان علىٰ شيء ثم رأىٰ غيره خيرًا منه وأفضل منه، كأن يحلف الواحد بأن لا يدخل بيت أخيه، أو أن لا يزور ابن عمه أو

ابن خاله أو ما شابه ذلك، فإن الخيرية لا شك في صلة الرحم وزيارة الأخ ودخول بيته، وهكذا، فيُكَفِّر ويفعل ما هو خير.

ولذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء عنه **قال**: «**إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا كفَّرت عن يميني وأتيت الذي هو خير**»، فهذا حينما يفعله المرء ليس هو غير منافٍ لتعظيم الله، بل هذا من تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذ إنه أخذ الخير، والخير هنا المراد به ما فيه خيرٌ للعبد في دينه وعند ربه جَلَّ وَعَلَا.

وهنا أمرٌ ينبغي أن نتنبه له، وهو أنك إذا حلفت - يا عبد الله - على شيءٍ عليك أن تعلِّق هذه اليمين، خاصة في الذي يحلف على ما يُسمى بالعزائم حينما يعزم شخص، يدعوه على وليمة أو يدعوه على عشاء أو على غداء فيقسم عليه، فأنا أقول: قل إن شاء الله، وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سألوه عن الحلف عن الطعام، **قال**: الطعام أهون من أن يُحلف عليه.

إي والله، كم من الأمور التي هي أهون من أن نحلف عليها، فعلينا أن نحذر من ذلك وأن نتنبه منه.

ثم ذكر المصنف حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي قال فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**»، والمقصود هنا: أن الحلف سببٌ لبيع تلك السلعة، وكذلك لرواجها وانتشارها بين الناس، والمقصود بالسلعة: المتاع الذي يبيعه الناس فيما بينهم.

فالحلف حينما يحلف ذلك يمينًا كاذبة أو حتىٰ لو كانت يمينًا صادقة لكنه يكثر منها؛ فإن ذلك يمحق البركة، ممحقٌ للبركة، **بمعنىٰ**: أن البركة تذهب، والبركة معلومٌ أنها هي الزيادة والنماء، فيذهب ذلك الخير وتلك البركة في ذلك المال الذي يجنيه، فعلىٰ المرء أن يحذر من ذلك، وأن يتنبه لنفسه.

ثم ذكر أيضًا حديث (**سَلْمَانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ **أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ**» الأشيمط هو الرجل الكبير الذي علاه الشيب، **وقال**: (أُشيمط) تحقيرًا له، لأن هذا تصغير، ومن استعمالات التصغير: التحقير، وهذا تحقيرًا له، لماذا؟ لأن داعي المعصية عنده قد ضعف في حقه بسبب كبر سنِّه، إلا أنه - والعياذ بالله - يبحث عن الحرام ومُحِبٌّ للمعصية. فهذا لا يكلم الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة ولا يزكيه، **يعني**: لا يطهره من دنس الذنوب، وله عذابٌ أليم، والعياذ بالله!

قال: «**وَعَائِلٌ**» **يعني**: فقير. **قال**: «**وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**» **يعني**: متكبر، الإنسان إنما يدخله الكبر - أعاذني الله وإياكم منه - بسبب أمرين:

الأمر الأول: إما أن يكون ذا مال، عنده مالٌ كثير.

الأمر الثاني: أن يكون ذا جاه، وجاهة عند الناس. فهذا فقيرٌ ليس له وجاهة وليس عنده مال، فعلىٰ أيِّ شيءٍ يتكبر علىٰ الناس، دواعي الكبر غير موجودة، فلذلك كانت عقوبته هذا الأمر، هو أن الله لا يكلمه ولا يزكيه وله عذابٌ أليم. وهذا يدل علىٰ أن هذا الإنسان مريض، والعياذ بالله!

ثم قال: «**وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ**»، يعني: بمعنىٰ أن كثرة الحلف بالله هي بضاعته التي يبيع بها ويشتري، علىٰ لسانه: والله اشتريها بكذا، والله إنها كذا، وهكذا. وهذا يدل علىٰ عدم تعظيمه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ثم ذكر حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ الذي قال فيه: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي**»، والقرن هو العصر المتقارب، والمراد بالقرن مائة سنة، فخير القرون هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال: «**ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ**» أي: التابعون، «**ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ**» هم تابعو التابعين، فهذه الثلاثة القرون الأُوَل هم خير الناس وأفضل الناس، وذلك لما عندهم من الإيمان والجهاد والعلم والدين الصحيح والعقيدة الصحيحة، وهذا لا يعني أن البدع لم تخرج، البدع لم تخرج إلا في أواخر عصر الصحابة إلا أنهم حاربوها وحذروا منها وانقطعت، لكنها خرجت بعد ذلك في القرن الذي بعدهم والذي بعدهم ثم انتشرت بعد ذلك، فهؤلاء القرون الثلاثة هم السلف الصالح الذين يقتدي بهم الإنسان ويتبعهم.

ثم ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُوْنَ وَلَا يُسْتَشْهَدُوْنَ**»، وهذا بسبب استخفافهم بأمر الشهادة وعدم حرصهم علىٰ الصدق وتحريهم له، وهذا عائدٌ إلىٰ ضعف دينهم وضعف إيمانهم ويقينهم.

ثم قال: «**وَيَخُوْنُوْنَ وَلَا يُؤْتَمَنُوْنَ**» أي: أن الخيانة غالبة عليهم.

ثم قال: «**وَيَنْذِرُوْنَ وَلَا يُوْفُوْنَ**» أي: لا يؤدون ما وجب عليهم. وهذه الأعمال كلها تدل علىٰ ضعف الإيمان عندهم وضعف اليقين وعدم قيامهم بحق الله عَزَّوَجَلَّ عليهم.

وأما قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**وَيَظْهَرُ فِيْهِمُ السِّمَنُ**» هذا بسبب تعلقهم بالدنيا ومحبتهم للدنيا وتوسعهم في الدنيا، فإنه بسبب رغبتهم في الدنيا وتعلقهم بها أورث عندهم هذا، إذ إنهم تعلقوا بالدنيا وتركوا الآخرة فوقعوا فيما وقعوا فيه.

ثم ذكر حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ يَجِيْءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِيْنَهُ، وَيَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ»**، وهذا أيضًا يتضمن ما جاء في الحديث الذي قبله، وأيضًا فيه عدم التسارع إلىٰ اليمين أو إلىٰ الشهادة، فالمرء عليه أن يحذر من ذلك أشد الحذر.

ثم ختمه بأثر إبراهيم النخعي التابعي الجليل، وهو من أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: (كَانُوا يَضْرِبُوْنَنَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ)**، وهذا لئلا يتعودوا علىٰ ذلك فيسهل عليهم، فيكون عندهم شيء من الاستخفاف بالعهد أو باليمين، وهذه هي التربية الصحيحة التي ينبغي للآباء وللأمهات أن يربُّوا أبناءهم علىٰ تعظيم اليمين وعلىٰ تعظيم العهد، فإنه إذا أطلق العهد أو أطلق اليمين أو الشهادة ينبغي ويجب أن تعلِّمه بأن هذا أمرٌ عظيم وليس بالأمر السهل، حتىٰ يعظِّموا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويتمرَّنوا علىٰ ذلك.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النَّحل:٩١].

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَىٰ جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ خَيْرًا؛ فَقَالَ: «اُغْزُوَا بِسْمِ اللهِ، فِي سَبِيْلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ. اُغْزُوَا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيْدًا، وَإِذَا لَقِيْتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ؛ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ -، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ؛ فَإِنْ أَجَابُوْكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِيْنَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِيْنَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَىٰ الْمُهَاجِرِيْنَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُوْنُوْنَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِيْنَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَىٰ وَلَا يَكُوْنُ لَهُمْ فِي الغَنِيْمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِيْنَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوْكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ؛ فَأَرَادُوْكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ؛ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا

ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ؛ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ؛ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيْهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليبين أنه يجب على المرء أن يَفِي بالعهد إذا عاهد عليه واتفق عليه، وأن نقض العهد ينقِص من حق التوحيد، لماذا؟ لأنه لم يحترم عهد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، واحترام عهد الله جَلَّ وَعَلَا يدل على تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لأن من تعظيم الله عَزَّ وَجَلَّ أن تعظِّم العهد، وأن تلتزم به، ومن وقع في عدم الالتزام بالعهد واحترامه فقد نقص توحيده بقدر ما وقع منه.

إذن: نقض العهد دليلٌ على عدم تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو إِذَنْ ينقص التوحيد ويقدح فيه.

ثم قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾)، وهذا أمرٌ من الله، (أوفوا) أمر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأضاف العهد جَلَّ وَعَلَا هنا إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم، مما يدل على تعظيم هذا العهد، فبيتُ الله وناقةُ الله هذه كلها أُضيفت إضافة تشريفٍ وتكريم.

وبالمناسبة: المضاف إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إما إضافة أعيان وإما إضافة أوصاف.

أما إضافة الأعيان فكما تقدم أنه يدل علىٰ التشريف، مثل: ناقة الله وبيت الله وما شابه ذلك، ومن ذلك أيضًا هذه العهود، وإن كانت هذه من المعاني لكنها معانٍ مُلْزِمة للعباد.

وأما الثاني فهو إضافة الصفة، فإنها تكون صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كسمع الله وبصر الله وحياة الله وقدرة الله وعلم الله وغير ذلك مما ثبت في القرآن والسنة من إضافة الصفات إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذه نثبتها ونؤمن بها كما تقدم معنا.

ثم قال: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ﴾ وهذا نهيٌ عن نقض الأيمان، والأيمان المقصود بها هنا ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ **أي**: العهود.

إذن: هذه الآية فيها أمرٌ بالوفاء بالعهد، وفيها نهيٌ عن نقض العهد.

ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ **أي**: بعد عقدها، فإن العقد إذا عُقِد فإنه يلزم المرء أن يلتزم به وأن يوفي بذلك العهد.

إذن: هذه الآية يأمرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيها بأن نوفي بالعهد وتلك المواثيق التي عقدناها مع الناس، سواء كان أولئك الناس من المسلمين أو من الكفار، وأن المحافظة عليها مؤكَّدة وعدم نقضها، فدلت الآية علىٰ وجوب الوفاء بالعهد، وأيضًا دلت علىٰ حرمة نقض العهد وعدم الالتزام به.

ثم ذكر الشيخ - رحمنا الله وإياه - حديث بريدة، وهو حديث طويل فيه توجيهات كثيرة جدًا متعلقة بالجهاد، لكن الشاهد معنا **قوله: «وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا»**، وهذا فيه إخلافٌ للعهد، فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يغدروا، لأن الغدر هو نقضٌ للعهد. فهذا هو الشاهد معنا من هذا الحديث.

وأيضًا الشاهد الآخر معنا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ؛ فَأَرَادُوْكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ»** فهنا نهاهم **قال: «فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ»**، لماذا؟ **قال: «فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ»** لأن ذمة الله عظيمة جدًا، فيجب عليه أن يلتزم بها وأن يعتني بها، ولذلك **قال: «اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ»**، وهذا احترامًا لذمة الله وذمة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النقض، من أن ينقضها، فهذا هو الذي معنا في هذا الحديث.

وأما ما فيه من معانٍ أخرىٰ لعلكم إن شاء الله ترجعون إلىٰ ما ذكره الشُّرَّاح في هذا الكتاب علىٰ باقي معاني هذا الحديث وما فيه من فوائد.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَـنْ جُنْـدُبِ بْـنِ عَبْـدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَـالَ: قَـالَ رَسُـوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَـالَ رَجُـلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِـرُ اللهُ لِفُـلَانٍ، فَقَـالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَـنْ ذَا الَّـذِيْ يَتَـأَلَّىٰ عَلَـيَّ أَنْ لَا أَغْفِـرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ القَائِلَ رَجُـلٌ عَابِـدٌ، قَـالَ أَبُـو هُرَيْـرَةَ: «تَكَلَّـمَ بِكَلِمَـةٍ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ».

۞ ۞ ۞

قال الشارح – وفقه الله –:

(بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَىٰ اللهِ) أولًا: الإقسام علىٰ الله بمعنىٰ الحلف، أن يحلف علىٰ الله أن يفعل كذا أو أن لا يفعل كذا.

۞ والإقسام علىٰ الله قد ذكر أهل العلم أنه علىٰ قسمين:

القسم الأول: إقسامٌ ممنوع منه، وهو محرم، وهو الذي يكون علىٰ وجه الحجر علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والقطع بحصول المقسَم علىٰ حصوله، كأن يقول: والله لا يغفر الله لك، أو لا يرحمك الله، أو لا يدخلك الجنة، أو غير ذلك، فهذا محرم ولا يجوز، إذ إن فيه سوء ظنٍّ بالله عَزَّوَجَلَّ وأيضًا سوء أدبٍ معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا

أحد يستطيع أن يمنع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يتصرف في خلقه، فالله عَزَّوَجَلَّ له القدرة المطلقة جَلَّ جَلَالُهُ، وله المُلْك المطلَق، فهو يفعل في خلقه ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو يرحم من يشاء ويغفر لمن يشاء، وهذا هو الذي عَنَاه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن وقع في هذا فقد وقع في أمرٍ من الأمور التي تقدح في التوحيد.

القسم الثاني: وهو الإقسام الجائز، وهو ما كان عن حُسْن ظنٍّ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وحُسْن رجاءٍ به جَلَّ وَعَلَا، ولذلك بأن يفعل الله عَزَّوَجَلَّ الخير لعباده ويغفر لهم، أو أن يغيثهم بالمطر، أو أن ينصر الله عباده الموحدين، فهذا كله حُسْن ظنٍّ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا لا شيء فيه، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جاء عنه **قال: «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين مدفوعٌ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه»**، وقال: **«إن من عباد الله مَن لو أقسم على الله لأبرَّه»**، وهذا كله على حسن ظنٍّ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا لا شيء فيه.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الدليل من السنة الذي يدل على تحريم الإقسام الذي على وجه التحريم الذي فيه سوء ظنٍّ وسوء أدب مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **قال: (عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَالَ رَجُلٌ»**، وهذا فيمن مضى من الأمم التي سبقتنا. وهذا الحديث له قصة، وهي أن هنالك رجل عابد ورجل عاكف على الذنوب والمعاصي، وكان هذا العابد يمر وينكر عليه، وهكذا يكرر عليه الكلام حتى رآه مرة على ذنبٍ فتعاظم ذلك الذنب فقال الكلمة هذه: «**وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ**»، **يعني**: لهذا. وهذا هو النوع الأول المحرم الذي فيه إقسامٌ على الله جهة الحَجْر على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**مَنْ ذَا الَّذِيْ**» وهذا استفهامٌ إنكاري علىٰ أن ذلك القول منكر.

قال: «**مَنْ ذَا الَّذِيْ يَتَأَلَّىٰ**»، ومعنىٰ (يتألي) يحلف. «**عَلَيَّ**» **يعني**: علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ «**أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غفر لذلك العاصي، وهذا العابد حبط عمله بسبب سوء تصرفه.. وهذا يؤكد لنا أن العلم بصيرة وتوفيق، وأنه هو الذي يُنجي صاحبه من مواطن العَطَب والهلاك، فهذا بسبب جهله وإن كان هو عابدٌ في نفسه مطيعٌ لله في نفسه لكن الجهل غلبه فأوقعه في الهلاك بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أحبط عمله، **يعني**: أبطله وأهلكه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذلك، ولذلك قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَوْبَقَتْ**» **يعني**: أهلكت «**دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ**»، فباء بالخسران المبين، والعياذ بالله! وكل ذلك بسبب سوء ظنِّه بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسوء أدبه مع الله عَزَّوَجَلَّ، وأيضًا بسبب جهله، فإنه لولا الجهل لم يقع في مثل هذا، فإن الذنوب مهما عظمت فربنا يغفرها جَلَّوَعَلَا، ورحمة الله واسعة قد وسعت كل شيء، وربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد **قال**: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وأيضًا قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣]، فلا تكن سببًا في تقنيط الناس من رحمة الله وعفوه ولطفه، فكن سببًا في تحبيب الناس إلىٰ الله حتىٰ يلجؤوا إلىٰ الله ويتعلقوا به، وينيبوا إلىٰ ربهم ويسألوه الرحمة والتوفيق.

❁ ❁ ❁

بَابُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! نُهِكَتِ الأَنْفُسُ وَجَاعَ العِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَىٰ اللهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!»، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوْهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»، وَذَكَرَ الحَدِيْثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

(بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ) الاستشفاع هو طلب الشفاعة، والشفاعة – كما تقدم معنا – هي الواسطة في قضاء الحوائج، أن تتوسط في قضاء حوائج الناس عند مَن هي بيده ومَن هو قادرٌ عليها، والشفاعة تكون من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ.

فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا عقد هذا الباب ليبين أن الاستشفاع بالله علىٰ خلقه منافٍ للتوحيد، لماذا؟ لأن فيه تنقصًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وعدم تعظيم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله جَلَّ وَعَلَا أجل وأعظم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أن يُستشفع به علىٰ مخلوقٍ من مخلوقاته، فجميع

المخلوقات هم بحاجة إلىٰ الله وهم قائمون بإقامة الله عَزَّوَجَلَّ لهم، بل إن السماوات والأرض كلها قائمة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده، فكل شيءٍ هو بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فكيف يُستشفع بالعظيم جَلَّ جَلَالُهُ علىٰ مخلوقٍ ضعيفٍ هو محتاج إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في جميع أحواله وجميع أموره؟

فإذن: الاستشفاع بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ أحدٍ من خلقه لا يجوز، وهو منافٍ للتوحيد، وأيضًا فيه سوء أدبٍ مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فينبغي للمسلم أن ينتبه إلىٰ مثل هذه الأمور وأن يحذر منها.

ثم ذكر حديث جبير بن مطعم قال: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ)، والأعرابي هو الذي يعيش في البادية، وهو عكس الحَضَري، الحَضَري هو الذي يعيش في القرىٰ والمدن، وأما الأعرابي فهو الذي يعيش في البادية مع غنمه ومع إِبِلِه، والأعراب الغالب عليهم الجهل والجفاء والغلظة بسبب البيئة التي هم يعيشون فيها، ولبعدهم عن مواطن العلم، لأن العلماء موجودون في القرىٰ وفي المدن.

ثم إن هذا الأعرابي شكا إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: (نُهِكَتِ الْأَنْفُسُ) يعني:** ضعفت، أصابها الضعف، **(وَجَاعَ العِيَالُ)** أصابهم الجوع، **(وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ)** التي هي المواشي من الإبل والغنم والماعز بسبب قلة الأمطار، **(فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ) يعني:** اسأل لنا ربك، ادع لنا ربك بأن يغيثنا، وهكذا كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كانوا إذا أصابهم الجدب والقحط قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: استسق لنا يا رسول الله، ادع

الله لنا بأن يغيثنا، كما جاء في ذلك الرجل الذي دخل علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يخطب علىٰ المنبر، **فقال:** يا رسول الله، هلكت الأنفس وهلكت الماشية وجفت الآبار وما يجدون ما يشربون، فرفع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه وما في السماء من قَزعة - يعني من سحابة - فدعا الله عَزَّوَجَلَّ، فما أنزل يديه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا ولحيته تقطر من المطر والماء الذي نزل عليهم.

ثم إن هذا الرجل قال كلمة هي الشاهد معنا قال: (فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاَللهِ عَلَيْكَ) أي: نتوسط بالله عليك **(وَبِكَ عَلَىٰ اللهِ)** الأولىٰ منكَرة والثانية صحيحة وهي أننا نتشفع بالنبي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، هذا لا شيء فيه، ولذلك هو سيكون الشفيع للناس يوم القيامة بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ ليقضي الله عَزَّوَجَلَّ بين الخلائق.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ!**» وما زال يكررها، وهكذا إذا سمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا منكرًا، قولًا لا يجوز أخذ يسبح الله أو يكبِّره، كما مر معنا في غزوة حنين **قال:** «ٱللَّهُ أَكْبَرُ، **قلتم والذي نفسي بيده**» وهكذا.

فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **معلِّمًا له ومبينًا:** «**وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟**» يعني من هو الله؟ الله عظيم جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال له: «**إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ**» **يعني:** شأن الله عظيم، كيف يُستشفع بالخالق علىٰ المخلوق؟

ثم قال له: «**إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ**»، وبهذا الحديث يتبين لنا تحريم الاستشفاع بالله علىٰ خلقه؛ لأن شأن الله عظيم جَلَّجَلَالُهُ.

وأيضًا مما يُستفاد من الحديث: تنزيه الله عن النقائص سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأيضًا مما يُستفاد منه: الاستشفاع بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأيضًا الاستسقاء به، وهذا في حال حياته عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، أما بعد موته عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فإنه لا يُستسقىٰ به ولا يُستشفع به.

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ؛ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «اَلسَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُوْلُوْا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُوْلُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُوْنِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِيْ أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح - وفقه الله -:

هذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ والمقصود منه: صيانة التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأفعال التي تنقص التوحيد، أو تؤثر عليه، وتقدح فيه.

والفرق بين هذا الباب: وباب: (ما جاء في حماية المصطفىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **جناب التوحيد)**، أن نعرف أن جناب الشيء هو بعضه وهو جزءٌ منه، وأما الحِمىٰ فهو ما حول الشيء، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ**» **يعني**: هو لم يرعىٰ داخل الحمىٰ، لم يدخل داخل الحمىٰ، ولكن يحوم حوله.

فأراد المصنف في الباب الذي تقدم معنا في أوائل كتاب التوحيد حماية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد أراد حماية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتوحيد نفسه من أن يقع فيه الشرك، **يعني**: ذات التوحيد نفسه، وأراد هنا أن يبين أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ ما حول التوحيد بعد حمايته من التوحيد، فأغلق جميع الأبواب التي تؤثر أو تخل بالتوحيد، سواء كان في التوحيد نفسه أو كان في الحمىٰ، حتىٰ يكون ذلك التوحيد مُصانًا محفوظًا بأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا قال بعضهم: أن حماية جناب التوحيد متعلقٌ بالأفعال، وهنا حماية حمىٰ التوحيد متعلقٌ بالأقوال.

هذا بعض ما ذكره أهل العلم حول الفرق بين هذا الباب والباب الذي مر معنا.

ثم ذكر حديث (عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؛ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ)** وهذا عام الوفود، **(إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا)**، وهذا علىٰ عادة العرب أنهم إذا وفدوا علىٰ عظيم يقولون له مثل هذا الكلام، **(فَقَالَ: «اَلسَّيِّدُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»، وهذا حتىٰ يغلق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم ويسد عليهم باب الغلو في

حقه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **فقال**: السيد هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، إذ إن السيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **يعني**: هو الذي كمل في سؤدده جَلَّ وَعَلَا وعظم في شأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو الذي له السيادة المطلقة والمُلْك المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا أحد يشاركه في ذلك، لذلك **قال**: «**السيد الله**» **يعني**: المالك المُلْك المطلق جَلَّ جَلَالُهُ. وهذا لا شك أنه لله عَزَّ وَجَلَّ.

(**قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا**)، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرض بهذا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم قال لهم: «**قُوْلُوْا بِقَوْلِكُمْ**» **يعني**: قولوا يا رسول الله، يا نبي الله، «**أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ**» **يعني**: دعوا بعض قولكم واتركوه، «**وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» **بمعنىٰ**: أن يغلبكم الشيطان فيتخذكم رسلًا له ووكلاء فتنطقون علىٰ لسانه.

ثم ذكر حديث أنس (**أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُوْلُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»**، **بمعنىٰ**: لا يقودنكم إلىٰ ما يهوىٰ الشيطان وما يريده منكم من الوقوع في الغلو. وهذا كله من أجل حماية حمىٰ التوحيد، وإلا فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو سيد ولد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا فخر، لكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان الخطاب موجهًا له وخشي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم من الوقوع في الغلو فأغلق عليهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الباب وحمىٰ جانب التوحيد، حتىٰ لا يكون ذلك وسيلة تقودهم إلىٰ الوقوع في الغلو والإطراء فيوقعهم الشيطان فيما لا تُحمد عقباه.

❖ ❖ ❖

بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوْا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيْعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ﴾ [الزُّمَر:٦٧]

عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِيْنَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ - تَصْدِيْقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ - ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر:٦٧].

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «وَيَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ» أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوْعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟ ثُمَّ يَطْوِي

الأَرْضِيْنَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟».

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُوْنَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتَ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيْدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيْهَا خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ؛ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ، وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المَسْعُوْدِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنِ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ.

وَعَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُوْنَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيْرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، مَسِيْرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ

مَسِيْرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

❁ ❁ ❁

قال الشارح – وفقه الله –:

هذا هو الباب الأخير في هذا الكتاب المبارك العظيم.

وهذا الباب عقده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ليبين لنا أن هذا الرب العظيم الإله جَلَّجَلَالُهُ، الذي تقدم في هذا الكتاب بيان حقه جَلَّوَعَلَا علىٰ عباده، وهو له الكمال المطلق، وله جَلَّوَعَلَا العظمة المطلقة، فهو المستحق للعبادة جَلَّجَلَالُهُ علىٰ ما له من صفات الكمال والجلال، ومن النعوت العظمىٰ والأسماء الحسنىٰ، فهو له حق التعظيم وله حق الإجلال، وواجبٌ علىٰ عباده أن يوقِّروه جَلَّجَلَالُهُ، فيقوموا بحقه وهو إخلاص العبادة له جَلَّجَلَالُهُ، وإفراده بالإخلاص، لا يشاركه أحدٌ من خلقه في ذلك أبدًا.

فعقد المصنف هذا الباب حتىٰ يبين لنا عظمة ربنا جَلَّجَلَالُهُ، حتىٰ تعيننا تلك المعرفة علىٰ القيام بحقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا عقد هذا الباب حتىٰ يبين لنا أن هذا الرب العظيم جَلَّجَلَالُهُ له صفات وله أسماء يجب علينا أن نؤمن بها وأن نُقِرَّ بها، كما أنه يجب علينا أن نفرده

سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالعبادة وإخلاص الدين له، وكما أنه يجب علينا أن نُقِر له سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالربوبية والمُلْك والتدبير والخلق والرِّزق جَلَّوَعَلَا؛ فيجب علينا أن نؤمن بكل ما وصف به نفسه جَلَّوَعَلَا في كتابه وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ثم بوب المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ الباب بآية، وهذه الآية قد فُسِّرت في الحديث وهو حديث ابن مسعود الأول معنا في الباب، الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم أن حبرًا من اليهود جاء إلىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **فقال له: (يا مُحَمَّدُ)**، وهكذا هي عادة اليهود، لا يقولون يا رسول الله أو يا نبي الله، لأنهم لا يؤمنون بنبوته ويجحدونها، ولكن يقولون له: يا محمد أو يا أبا القاسم.

(إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِيْنَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ) إلىٰ آخر الحديث. فضحك النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حتىٰ بدت نواجذه وظهرت، وهذا تصديقًا لقول الحبر؛ لأنه قال حقًّا، ثم تلا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذه الآية التي معنا في الباب التي فيها التأكيد علىٰ ما قاله الحَبر.

وهذا الحديث فيه إثبات صفة الأصابع لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ ما يليق به جَلَّوَعَلَا.

وذكر أيضًا حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ الذي فيه أن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يطوي السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ ثم يقول: «**أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟**» كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، «**ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِيْنَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟**»، وهذا فيه إثبات صفة اليدين لله جَلَّوَعَلَا.

وأما لفظة (بشماله) فقد وقع فيها خلافٌ بين أهل العلم، وربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلتا يديه يمين، ولذلك جاء في بعض الروايات: «**ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بيده**» دون ذكر الشمال.

وعلىٰ كل حال، هذا خلافٌ بين أهل السنة أنفسهم في هذا الأمر.

ثم ذكر حديث ابن عباس الذي يبين فيه أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفِّ الرحمن، وهذا فيه إثبات اليد لله والكف له سبحانه، يقول: «**كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ**»، والخردلة هي الشيء الصغير التافه.

ثم ذكر ما رواه ابن جرير قال: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**»، وهذا يبين لنا صفة الكرسي، وهو خَلْقٌ من مخلوقات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو كما جاء أنه موضع قدمي الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ، كما فسَّره ابن عباس، وهذا الذي عليه السلف، وأما من فسره بالعلم فقد جانب الصواب ووقع في الخطأ والزلل والضلال، فالكرسي هو موضع قدمي الرحمن.

ثم قال: «**إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**»، والتُّرْس هو الدرع الذي يضعه المقاتل بينه وبين من يقاتله حتىٰ لا يصيبه السيف، وقيل أنه قطعة من الحديد تُوضع علىٰ الأرض.

فانظروا إلىٰ عِظَم هذا الكرسي العظيم الذي هو خَلْقٌ من مخلوقات الله جَلَّ جَلَالُهُ، فهذه السماوات السبع العظيمة وهذه الأرض ليست له إلا كهذه الدراهم.

ثم قال ما رواه أبو ذر أن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ**» هذا الكرسي علىٰ عِظَمه إلا أنه بالنسبة للعرش «**كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيْدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ**»، وهذا يدل علىٰ عِظَم العرش، والعرش هو سقف المخلوقات، وهو عرش الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الذي استوىٰ عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، استوىٰ عليه جَلَّجَلَالُهُ، فهذا الكرسي بالنسبة للعرش ما هو إلا كهذه الحَلَقة من الحديد التي إذا أُلقيت في الصحراء، فما نسبة الحديدة إلىٰ الصحراء؟ فإنه شيءٌ يسير.

ثم ذكر حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأيضًا حديث ابن عباس الذي يبين فيه عِظَم هذه السماوات وما بين تلك السماوات من المسيرة العظيمة، خمسمائة عام بين الأرض وبين السماء الأولىٰ وهكذا بين السماوات.

فهذا فيه دلالة عظيمة علىٰ عظمة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وكماله وكبريائه وعظيم قدرته، وأنه جَلَّوَعَلَا العظيم المتعال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومعرفة مثل هذه النصوص تبعث في نفس المؤمن تعظيم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وإكبار ربه جَلَّوَعَلَا، فإذا عَظُم ذلك عَظُم حقه وهو توحيده وإفراده بالعبادة، وإثبات أسمائه وصفاته علىٰ الوجه الذي يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلا يقع في التحريف، ولا يقع في التكييف ولا في التمثيل، ولا في التعطيل، بل يكون مؤمنًا بها كما أراد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وكما بيَّن رسولنا صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وكما هي عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

❁ ❁ ❁

الخاتمة

الحمد لله أولاً و آخرا، وظاهراً وباطنا.

بهذا نكون قد أتممنا التعليق علىٰ هذا الكتاب المبارك بفضل الله ومنته.

فما كان فيه صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
كِتَابُ التَّوْحِيْدِ	٨
بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيْدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوْبِ	١٤
بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٢٠
بَابُ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ	٢٦
بَابُ الدُّعَاءِ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ	٣٧
بَابُ تَفْسِيْرِ التَّوْحِيْدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ	٣٩
بَابُ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَة وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ	٤٦
بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمِ	٥٣
بَابُ مَنْ تبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا	٦٤
بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْح لِغَيْرِ اللهِ	٧٠
بَابُ لا يُذبَحُ للهِ فِي مَكَانٍ يُذبَحُ فِيْهِ لغَيرِ اللهِ	٧٩
بَابُ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ	٨٣

الموضوع	الصفحة

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ ٨٧

بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنَّ يَسْتَغِيْثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ ٩١

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَيُشْرِكُوْنَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُوْنَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُوْنَ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢] ١٠١

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوْبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيْرُ﴾ [سبأ:٢٣] ١٠٧

بَابُ الشَّفَاعَةِ ١١١

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦] ١٢٢

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِيْنَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِيْنَ ١٢٦

بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيْظِ فِيْمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟! ١٣٣

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُوْرِ الصَّالِحِيْنَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ ١٤٠

بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطَفَىٰ جَنَابَ التَّوْحِيْدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيْقٍ يُوَصِّلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ ١٤٤

بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ ١٤٨

بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ ١٥٣

الموضوع	الصفحة

بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ ١٥٩
بَابُ مَا جَاءَ فِي الكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ ١٦٦
بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ ١٧٢
بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ ١٧٦
بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيْمِ ١٨٥
بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ ١٨٩
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البَقَرَة:١٦٥] ١٩٦
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ [آل عِمْرَان:١٧٥] ٢٠٤
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَىٰ اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ [المَائِدَة:٢٣] ٢١١
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُوْنَ﴾ [الأَعْرَاف:٩٩] ٢١٧
بَابُ مِنَ الإِيْمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ ٢٢١
بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ ٢٢٦
بَابُ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا ٢٣١

الموضوع	الصفحة

بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّم اللهُ؛ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ............ ٢٣٦
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]............ ٢٤١
بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ............ ٢٤٦
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]............ ٢٥٠
بَابُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]............ ٢٥٤
بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ............ ٢٥٨
بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ............ ٢٦٠
بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَىٰ اللهَ............ ٢٦٣
بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ............ ٢٦٧
بَابُ احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَغْيِيرُ الاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ............ ٢٦٩
بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ............ ٢٧٣
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فُصِّلت: ٥٠]............ ٢٧٧

الموضوع	الصفحة

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠] ٢٨٢
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠] ٢٨٦
بَابُ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ ٢٩٠
بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ٢٩٢
بَابٌ لَا يَقُوْلُ: عَبْدِي وَأَمَتِي ٢٩٥
بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ ٢٩٧
بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ ٣٠٠
بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ (لَو) ٣٠٢
بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ ٣٠٦
بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤] ٣٠٨
بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ ٣١٢
بَابُ مَا جَاءَ فِي المُصَوِّرِيْنَ ٣١٨
بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ ٣٢٣

الموضوع	الصفحة

بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ٣٢٩
بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَىٰ اللهِ ٣٣٣
بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ٣٣٦
بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَىٰ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ ٣٤٠
بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر:٦٧] ٣٤٣
الخاتمة ٣٤٩
الفهرس ٣٥٠

* * *

ملاحظات

ملاحظات